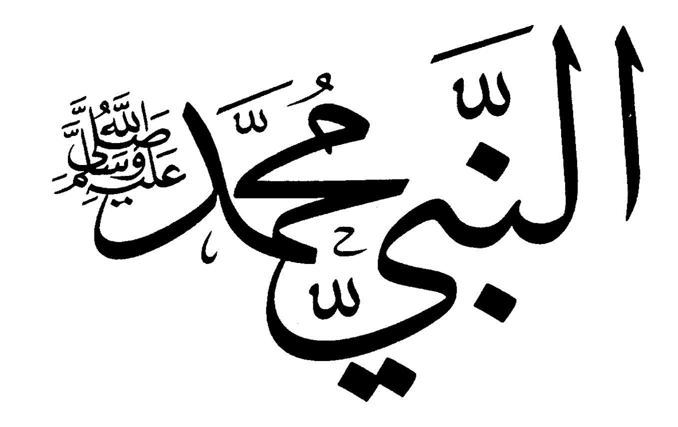


رحمة الأنام وشفيع دار السلام

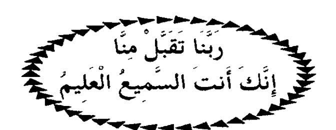
تأليف
أبي عبد الرحمن
نعمان بن عبد الكريم الوتر
عفا الله عنه

قدم له
العلامة القاضي الفقيه
محمد بن إسماعيل العمراني
عفا الله عنه





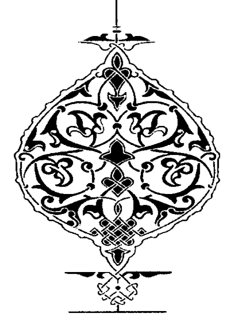




الطبعة الأولي ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٥٢٠٨

الترقيم الدولي
977-331-461-8



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧،١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

تقريظ فضيلة الشيخ

العلامة القاضي الفقيه

محمد بن إسماعيل العمراني

حفظه الله

الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا كتاب **[النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - رحمة الأنام وشفيع دار السلام]** مِنْ أحسن ما كتبه العلماء في موضوع رسالة الرسول الأعظم ، والنبي المكرَّم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ . حيث ذكر المؤلف مولده عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريف ، كما ذكر في هذا الكتاب كلاماً قيِّماً حول بعثته ، ودلائل نبوته ، وصفاته الخَلقية والخُلقية ومعجزاته العظيمة ، وما أجرى الله على يديه من خير للبشرية ، وشهادات المستشرقين وغيرهم لهذا النبي العظيم - ﷺ - ، كما أنه ذكر بحثاً مفيداً حول الشُّبهات التي أوردها أعداء الإسلام وأثاروها حول شخصية الرسول الأعظم ، وحول سيرته العطرة ، وردَّها رداً قوياً مؤيداً بالأدلة العقلية والنقلية ، والوقائع التاريخية ، والحجج العلمية ، بعيداً عن العبارات التي تنفِّر غير المسلمين.

فلله درُّ هذا العالم النحرير ، والباحث الألمعي القدير ، [١] وجزاه الله خيراً.

---

(١) جزى الله شيخنا العلامة العمراني خيراً على حسن ظنه وتشجيعه ، وإلا فأنا أعلم من نفسي – وربُّ البيت أدرى بما فيه – أني دون ما قال بكثير ، وأسأل الله الكريم البر الرحيم أن يبلِّغني ما قال وزيادة ، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل ، آمين.

فهو- والحق يقال - كتاب جيد يحتاجه طالب العلم ، وغيره ، كما لا يستغني عنه العالم الكبير ، والبحَّاثة القدير ، لأنه قد جمع وأوعى.

زاده الله علماً وفضلاً ونشاطاً ، وحبَّاً للعلم ، ولنشر العلم ، وللعلماء والمتعلمين.

وزاد في الشباب الفضلاء من أمثاله ، وفي علماء الدين المخلصين من نظرائه.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، آمين.

والدكم

محمد بن إسماعيل العمراني

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، والصلاة والسلام على مسك الختام نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً مزيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ، شهادةً أخالف بها أصحاب الجحيم وأرجو بها الفوز بجنات النعيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين شهادة أرجو بها شفاعته يوم الدين .

أما بعد:

فقد بعث الله عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه محمداً ﷺ رحمة للعالمين وقدوةً للعاملين ، ومحجَّةً للسالكين ، وحجَّةً على الخلق أجمعين.

بعثه الله للإيمان منادياً ،وإلى دار السلام داعياً، وللخليقة هادياً ، ولكتابه تالياً ، ولمرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً.

أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ،وتعزيره ،وتوقيره ،والقيام بحقوقه ،وسدَّ إلى الجنة جميع الطرق ،فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه ، فلو أتوا من كل الطرق ، واستفتحوا من كل باب لما فُتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقه من السالكين، فسبحان من شرح له صدره،ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره ، وجعل الذُلَّ والصغار على من خالف أمرَه.

فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذَّن بذلك في الأمة ليلاً ونهاراً إلى أن طلع

فجر الإسلام،وأشرقت شمس الإيمان،وعلت كلمة الرحمن،وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها.

فأشرق وجه الدهر حسنا ،وأصبح الظلام ضياء ، واهتدى كل حيران » [١] .

جاء إلى البشرية بصفاته الظاهرة،وأخلاقه الطاهرة،ودلائل نبوته،وفضائل منزلته ، فكانت صورته وهيئته وسمته تدل على صدقه :

لو لم يكن فيه آياتٌ مبينةٌ ... كانت بديهته تأتيك بالخبرِ

أجود الناس راحةً، وأصدقهم لهجةً،وألينهم عريكةً،وأكرمهم عِشرة ، من رآه بديهةً هابه،ومن خالطه معرفةً أحبَّه. قال عنه من عاشره: لم أر قبله ولا بعده مثله.

« أكمل الناس تربيةً ونشأةً ، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم ، لا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جُرِّب عليه كذبٌ قط ، ولا ظلمٌ ولا فاحشة ، كانت صورته من أكمل الصور وأتمها ، وأجمعها للمحاسن الدالَة على كماله.

لم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمِّها من الصدق والعدل والوفاء، فقد كان ـ ﷺ ـ أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم،وأمن وخوف،وغنى وفقر،وقلَّة وكثرة، وظهور على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على ذلك لازمٌ لأكمل الطرق وأتمِّها،حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان،ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق،وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرةً ولا معاداً ، فصاروا أعلمَ أهل الأرض وأدينَهم وأعدَلهم وأفضَلهم، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء.

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم،يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ﷺ مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الأنفس والأموال مات

(١) حادي لأرواح إلى بلاد الأفراح للعلامة ابن القيم -رحمه الله- ص (٢٦/ ٢٧).

ولم يخلِّفْ درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله .

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بما كان وما يكون ، حتى أكمل الله دينه الذي بُعثَ به ، وجاءت شريعته أكملَ شريعةٍ، لم يبق معروفٌ تعرفه العقلاء أنه معروف إلا أمر به، ولا منكرٌ تعرفه العقلاء أنه منكر إلا نهى عنه .

لم يأمر بشيء فقا ل العقل : ليته نهى عنه ،ولم ينه عن شيء فقال العقل :ليته أمر به .

جمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوعاً من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في الكتب ، فليس في الكتب إيجابٌ لعدلٍ وقضاءٌ بفضلٍ وندبٌ إلى الفضائل وترغيبٌ في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه » [١]

وإذا نظر اللبيب في العبادة التي شرعها وجد الحكمة والرحمة والتيسير من أبرز صفاتها ، فبعثته ﷺ وسيرته في سلمه وحربه ، وسفره وحضره،وعسره ويسره،كلها رحمة ، ولم يترك خيراً إلا ودلَّ عليه ، ولا شراً إلا حذّر منه .

بُعثَ - ﷺ - بشريعة سمحة موافقة للعقول السليمة والفطر المستقيمة، آتت كل ذي حق حقه ، لا تبلى بمرور الليالي والأيام ، صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

شهد بصدق نبوته من أرسله من فوق سبع سماوات ، وشهد بذلك الملائكة الأطهار ، ومن آمن من علماء أهل الكتاب الأبرار ، وسيرته العطرة تشهد له بذلك ، ما بقي الليل والنهار .

قال الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴿٢٨﴾ ﴾[الفتح :٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ **لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ**

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٣٨-٤٤١) باختصار وتصرف يسير .

بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)** ﴾ [الرعد : ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)** ﴾ [العنكبوت : ٥٢] .

وشهد بصدق نبوته التاريخ .

فقد حفظ الله دينه مع كثرة الفتن والأعداء ، ووقع ما أخبر به ـ ﷺ ـ كما أخبر .

فقد أخبر ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بفتح مصر، وفتحها أصحابه ﷺ ، بعد وفاته كما أخبر . وأخبر بفتح الشام وأخذ كنوز قيصر وفتحها أصحابه ﷺ ، وكان الأمر كما أخبر . وأخبر بفتح فارس وكان الأمر كما أخبر . وأخبر بفتح القسطنطينية وفتحت كما أخبر . وغير ذلك كثير جداً لا يعده عاد ولا يحده حاد .

وقد شهد له ﷺ بصدق نبوته وسماحة دينه وكريم أخلاقه من اطلع على شيء من سيرته العطرة وأخباره النيِّرة من علماء الغرب ومفكريهم ومستشرقيهم ، فلم يجدوا بداً من تسطير شهاداتهم ليحفظها التاريخ حجَّة عليهم وعلى بني جلدتهم ، والحق ما شهدت به الأعداء .

ومن أولئك:

[١] مايكل هارت في كتابه مئة رجل من التاريخ :

فقد بدأهم بنبينا ﷺ ثم قال معللاً ذلك :

إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القُرَّاء،ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي . فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا .ون إتمامها كالمسيح في المسيحية،أو يشاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليها سواهم

كموسى في اليهودية ، ولكنَّ محمداً ﷺ هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحَّد القبائل في شعب، والشعب في أمة، ووضح لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دينها ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم ، أيضاً في حياته فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمَّها. اهـ .

[٢] برنارد شو الانجليزي له مؤلَف سماه (محمد):

قال: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالداً خلود الأبد ، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوربا) .

إن رجال الدين في القرون الوسطى ـ ونتيجة للجهل أو التعصب ـ قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة ، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية ، بل يجب أن يسمَّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمِّن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها .اهـ.

[٣] سنرستن الآسوجي أستاذ اللغات السامية ومحرر مجلة العالم الشرقي ومؤلف كتاب تاريخ محمد يقول:

إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا ، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مصِّراً على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ اهـ .

ومع إنصاف هؤلاء نجد من بني جلدتهم في الماضي والحاضر من أعمى التعصب والحقد أبصارهم،فراحوا يسخرون بخاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين،ويضربون له أسوء الأمثال بغرض تشويه صورته وسيرته لتنفير الناس عن اتباعه واعتناق دينه؛

وهيهات : لو سترت الصبح بكل شيء ما انستر:وهبك تقول إن الصبح ليلٌ أيعمى الناظرون عن الضياءِ؟.

إن تلك الحملات اللا إنسانية واللا أخلاقية لم ولن تضرَّ نبيَّ الرحمة ﷺ في شيء ، بل قد نفعته ونفعت أتباعه، فقد لفتت أنظار كثيرٍ من غير المسلمين على وجه الأرض للنظر في سيرة هذا النبي الكريم والرسول العظيم ، وقرؤا عن دينه، فآمن الكثيرون برسالته ، وصاروا من أهل ملته عن رغبة واقتناع.

منهم القسيس،والراهب،والعالم،والمفكِّر،والطبيب،والمعلِّم،والتاجر،وغير ذلك. نسأل الله لهم الثبات والفقه في الدين،وأن يكفيهم الله شر الحاقدين والحاسدين.

كما أن تلك الحملات الظالمة الغاشمة أججت عند المسلمين الحميَّة لدينهم ونبيهم ﷺ، فزادت في قلوب المؤمنين محبته ، وأقبلوا على دراسة سيرته ، وبذلوا أموالهم وجهودهم في نصرته،والذَّب عن شخصه وطريقته ، وبثٍّ محاسن دينه ، والردِّ على أعدائه وخصومه ، وما هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم إلا قطرةً من بحر ما ذكر. فيا لله كم في المحن والبلايا من المنح والعطايا.

لقد انتفض المسلمون على وجه الأرض على اختلاف مذاهبهم غيرةً لدينهم ونصرةً لنبيهم على قدر استطاعتهم -في ظروفهم الحاضرة وأحوالهم المعاصرة- قياماً بجزء من واجب المحبة والنصرة لنبي الرحمة ﷺ ولسان حالنا وحالهم كما قيل:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرضِ محمدٍ منكم وقاءُ

وكما قيل:

إمامَ المرسلين فداك روحي ... وأرواح الأئمة والدعاةِ
رسولَ العالمين فداك عرضي ... وأعراض الأحبة والتقاةِ
ويا علم الهدى يفديك عمري ... وما لي يا نبي المكرماتِ
ويا تاج التقى تفديك نفسي ... ونفس أولو الرياسة والولاةِ
فداك الكون يا عطر السجايا ... فما للناس دونك من زكاةِ

ودونك أيها القارئ الكريم هذا السفر المبارك الذي شَرُفَ بشرفِ موضوعه، كيف لا وهو يتحدث عن خير البرية ، وأزكى البشرية ﷺ .

« فيا أيها الناظر فيه لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، و لك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك وبنات أفكاره تُزفُّ إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله » (١)

فالله الكريمَ البَرَّ الرحيمَ أسألُ باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب بأنه الله الذي لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، الحي القيوم ذو الجلال والإكرام ، أن يتقبله مني بقبول حسن ، وأن يضع له القبول بين عباده ، وأن يجعله سبباً لهدايتي وأمني في الدنيا والآخرة ، ونيل شفاعة نبيه ﷺ ،والشرب من حوضه ، والدرجات العالية في جنات ونهر ، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر .

تأليف أبي عبد الرحمن
نعمان بن عبد الكريم الوتر

---

(١) حادي الأرواح للعلامة ابن القيم –رحمه الله– ص ٣٣ .

مدخل الكتاب

تضمن هذا الكتاب مقدمة وخاتمة وبينهما خمسة وعشرون فصلاً:

جعلت الفصل الأول: لبيان عظيم حاجة الناس إلى الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ .

ثم أردفت ذلك بفصل ذكرت فيه نسب نبينا محمد ﷺ الشريف إذ هو ـ ﷺ ـ المقصود أصالة بتأليف هذا الكتاب .

أمَّا الفصل الثاني: فبينت فيه أن عدنان جدٌ نبينا ﷺ من ولد إسماعيل ، وأن إسماعيل هو الذبيح ، ودللت على ذلك .

وأمَّا الفصل الثالث: فذكرت فيه جدَّ نبينا ﷺ الأقرب وهو عبد المطلب .

وأمَّا الفصل الرابع: فذكرت فيه عبدالله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ وزواجه بآمنة بنت وهب الزهرية أم النبي ﷺ ووفاته والنبي ﷺ حمل في بطن أمَّه .

وأمَّا الفصل الخامس: فذكرت فيه رؤيا أم نبينا ﷺ حين حملت به .

وأمَّا الفصل السادس: فذكرت فيه مولده الشريف ﷺ وبينت أنه ﷺ ولد يتيماً كما ذكرت تحت هذا الفصل كفالة جدِّه عبد المطلب له ثم كفالة عمِّه أبي طالب له من بعده وكيف نشأ نبينا ﷺ .

وأمَّا الفصل السابع: فذكرت فيه بعض أحوال النبي ﷺ قبل البعثة وكيف حفظه الله من عبادة الأصنام وأمور الجاهلية .

وأمَّا الفصل الثامن: فذكرت فيه رعيه ﷺ للأغنام قبل بعثته والحكمة من ذلك .

وأمَّا الفصل التاسع: فذكرت فيه إرهاصات بعثته ﷺ التي كانت بمثابة مقدمة لبعثته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وأمَّا الفصل العاشر: فذكرت فيه بعثته ﷺ وسِنَّه حين بعث .

وأمَّا الفصل الحادي عشر: فذكرت فيه مراتب الوحي .

وأما الفصل الثاني عشر: فذكرت فيه حال الجن عند بعثته ﷺ ، وكيف منعهم الله من استراق السمع ،وكيف حُرست السماء والحكمة من ذلك.

وأمَّا الفصل الثالث عشر: فذكرت فيه حال الناس عند بعثته ﷺ عموماً وحال العرب خصوصاً وما كانوا عليه من الجاهلية الجهلاء والضلال والشقاء ، فأزال الله ببعثته الغمَّة وكشف عن الأرض و أهلها الظلمة.

وأمَّا الفصل الرابع عشر: فذكرت فيه أشهر أسماء النبي ﷺوبينت معانيها وأنواعها وكيف دلَّت على صفاته الكريمة ومحاسنه العظيمة ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

وأمَّا الفصل الخامس عشر: فذكرت فيه صفات نبينا الخَلْقية إجمالاً وتفصيلاً وكيف كمَّله الله وجمَّله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ .

وأمَّا الفصل السادس عشر: فذكرت فيه صفات نبينا ﷺ في التوراة والإنجيل وما أخبر به علماء أهل الكتاب مما حفظوه عن أنبيائهم ،ومن ذلك قصة بحيرى ، وحديث هرقل ، وحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه .

وأمَّا الفصل السابع عشر: فذكرت فيه عدَّة أحاديث تضمَّنت أسئلة وجهها علماء أهل الكتاب للنبي ﷺلا يجيب عليها إلا نبي، وأجوبة نبينا ﷺ على تلك الأسئلة.

وأمَّا الفصل الثامن عشر: فذكرت فيه الميثاق الذي أخذه الله على جميع أنبيائه ورسله أن نبينا محمداً ﷺ إن بُعث وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنَّه.

وأمَّا الفصل التاسع عشر: فذكرت فيه آيات نبينا ﷺ ودلائل نبوته العلمية والعمليَّة ، ومن ذلك الإعجاز العلمي في السنَّة المطهرة.

وأمَّا الفصل العشرون: فذكرت فيه دلائل علو رتبة نبينا ﷺ وسموِّ مكانته ، وذكرت تحت هذا الفصل أربعاً وعشرين دلالةً.

وأمَّا الفصل الحادي والعشرون: فذكرت فيه مكارم أخلاقه ﷺ إجمالاً وتفصيلاً، وذكرت تحت هذا الفصل تسع عشرة فقرةً.

وأمَّا الفصل الثاني والعشرون: فقد عقدته لبيان الخير العظيم والنفع العميم الذي قدَّمه نبينا ﷺ للبشريَّة، وقسمت ذلك إلى قسمين:الخير العاجل الذي قدمه ﷺ

للبشرية، والخير الآجل الذي يكون يوم القيامة، وهذا من أهم فصول هذا الكتاب.

وأمَّا الفصل الثالث والعشرون: فذكرت فيه شهادات جماعة من علماء ومفكري وفلاسفة ومستشرقي الغرب لنبينا ﷺ ودينه الحنيف.

وأمَّا الفصل الرابع والعشرون: فعقدته لبيان استحالة الإيمان بنبي من الأنبياء مع جحد نبوة نبينا محمد ﷺ.

وأمَّا الفصل الخامس والعشرون: فعقدته لإيراد أعظم الشبهات التي أثيرت حول نبينا ﷺ وسيرته العطرة وشريعته الطاهرة ،ودحض تلك الشبهات بالحجج النقلية والعقلية والواقعية.

بدأت ذلك بمقدمة مناسبة ثم بدأت بالشبهات المتعلقة بنبينا ﷺ وأجبت عنها ، وهي ثلاث شبهات كبار،ثم ذكرت الشبهات المتعلقة بالشريعة الطاهرة السمحة التي بُعث بها نبينا ﷺ وهي ثلاث شبهات أيضاً ، ثم أوردت الشبهات التي تُثار حول العقوبات الشرعية التي جاء بها نبينا ﷺ وأوردت الأجوبة عنها.

ثم ختمت الكتاب بخاتمة قصيرة ، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومباركاً على كاتبه وقارئه وسامعه، وحجاباً من الكفر والبدعة والنار، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وقد سميت كتابي هذا:

[النبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة الأنام و شفيع دار السلام]

تنبيـه :

لم أستدل في كتابي هذا إلا بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، ولم ألتفت إلى شيء من الأحاديث الضعيفة في هذا الموضوع مع كثرتها عملاً بحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» (١) .

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه) باب (وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ) .

فصل في
حاجة الناس إلى الرسل

« إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضى الله البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يميز أهل الهدى من أهل الضلال .

فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها . فأي ضرورة وحاجة فُرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفةُ عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لايُحسُّ بهذا إلا قلبٌ حي وما لجرحٍ بميت إيلامُ » (١) .

« فالرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ منها،وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ .

والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليها شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينال من حياتها وروحها، فهو في ظلمة وهو من الأموات قال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، فهذا وصف المؤمن ؛ كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به بين الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات .

وسمَّى الله تعالى رسالته روحاً ، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة قال تعالى :

---

(١) زاد المعاد للعلامة ابن القيم –رحمه الله – (١ / ٦٩).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشورى : ٥١] ، فذكر هنا الأصلين وهما : الروح والنور، فالروح : الحياة ، والنور : النور.

والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده ، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا بإتباع الرسالة ، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا بإتباع الرسالة ، فإن الإنسان مضطر إلى الشرع ، فإنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما ينفعه ، وحركة يدفع بها ما يضره.

والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور الله في أرضه ، وعدله بين عباده ، وحصنه الذي من دخله كان آمناً.

ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا دُرست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرَّب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة.

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسل كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته ، ولا كحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك وأشد حاجةً من كل ما يُقدَّر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه،وهم السفراء بينه وبين عباده، وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربِّه : محمد بن عبد الله ﷺ يقول : « **يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة** »،وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، وقال ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: « **إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب** » .

وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل،فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ ، فبعثه رحمة للعالمين ، ومحجَّةً للسالكين ، وحجَّة على الخلائق أجمعين ، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره، والقيام بأداء حقوقه ، وسدَّ إليه جميع الطرق ، فلم يفتح لأحد إلا من طريقه ، وأخذ العهود والمواثيق على جميع الأنبياء

والمرسلين ، وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين .

أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فختم به الرسالة، وهدى به من الضلالة ، وعلَّم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلفاً ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت بها القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملَّة العوجاء وأوضح بها المحجَّة البيضاء ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب ، حين حُرِّف الكلم وبدِّلت الشرائع واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم فهدى الله به الخلائق ، وأوضح به الطريق ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي ، وجعله قسيم الجنة والنار ، وفرق ما بين الأبرار والفجار ، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته ، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته » [١]

« وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلَّقة بهدي النبي ﷺ؛ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم » [٢] .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله - (١٩/٩٣-١٠٣) ، باختصار.

(٢) زاد المعاد للعلامة ابن القيم - رحمه الله - (١/٧٠).



فصل في
ذكر نسبه الشريف وأصله المنيف ﷺ

وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن صفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان منها :

✿ كيف نسبه فيكم؟ ، قال هو فينا ذو نسب، قال هرقل : « كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها »، يعني في أكرمها أحساباً وأكثرها قبيلة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فهو سيد ولد ادم وفخرهم في الدنيا والآخرة » [(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه** » [(٢)] .

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم** » [(٣)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع** » [(٤)] .

« فهو ﷺ خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ،ولهذا شهد له به عدوه ، إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم ، فأشرف القوم قومه،وأشرف القبائل قبيلُه،وأشرف الأفخاذ فخذه.

---

(١) السيرة النبوية للحافظ بن كثير (١ / ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) برقم ٣٥٥٧ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٢٧٦ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٢٧٨ .

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهربن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلى هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسَّابين لا خلاف فيه البتة وما فوق عدنان مختلفٌ فيه » (١) .

---

(١) زاد المعاد (١ / ٧١).

فصل في

بيان أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام
وأن إسماعيل هو الذبيح

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ :

ولا خلاف بينهم ـ أي علماء النسب ـ أن عدنان من ولد إسماعيل، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول:

هذا القول إنما هو متلقَّى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنصٍّ كتابهم فإن فيه :

« إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بِكْرَه » ، وفي لفظ: « وحيده » .

ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غَرَّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: « اذبح ابنك إسحاق » .

قال :وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله :« اذبح بكرك وحيدك » .

ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف،وأحبوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم،ويختاروه لأنفسهم دون العرب،ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

وكيف يسوغ أن يقال : إن الذبيح إسحاق،والله تعالى قد بشَّر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة : إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : ﴿ **قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)** ﴾ [هود: ٧٠ – ٧١] ، فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسياقه.

فإن قيل: لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان « يعقوب » مجروراً عطفاً على إسحاق فكانت القراءة ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ أي: ويعقوب من وراء إسحاق.

قيل: لا يمنع أن يكون يعقوب مبشراً به لأن البشارة قول مخصوص وهي أول خبر سار صادق ،وقوله تعالى ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ جملة متضمنة لهذه القيود، فتكون بشارةً بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية، ولما كانت البشارة قولاً كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول كأن المعنى:

وقلنا لها: من وراء إسحاق يعقوب،والقائل إذا قال: بشرت فلاناً بقدوم أخيه وثَقله في أثره ،لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعاً ،هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتَّة.

ثم يُضْعِفُ الجرَّ أمرٌ آخر وهو ضعف قولك: مررت بزيد ومن بعده عمرو ،ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور كما لا يفصل بين حرف الجر والمجرور.

ويدل عليه أيضًا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) ﴾ [الصافات: ١٠٣-١١٢]، فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أُمر به، وهذا ظاهر جداً في أن المبشَّر به غير الأول، بل هو كالنص فيه.

فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوته. أي: لما صبر الأب على ما أُمر به وأسلم الولد لأمر الله جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة.

قيل: البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده وأن يكون نبياً،ولهذا نصب « نبياً » على الحال المقدر،أي مقدراً نبوته،فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على

الأصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة،هذا محال من الكلام،بل إذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى،وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكَّة ، ولذلك جُعلت القرابين يوم النحر بها ،كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه،وإقامة لذكر الله.

ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمّه.

ولهذا اتصل مكان الذبيح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل ، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زماناً ومكاناً ، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.

وأيضاً فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليماً لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه،ولما ذكر إسحاق سمّاه عليماً فقال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥)** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)** ﴾ [الذاريات : ٢٥-٢٨] .

وهذا إسحاق بلا ريب لأنه من امرأته وهي المبشَّرة به ، وأما إسماعيل فمن السُّرِّيَّة ، وأيضاً فإنهما بُشِّرا به على الكبر واليأس من الولد ، وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك.

وأيضاً فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وإبراهيم - عليه السلام - لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته ،والله قد أتخذه خليلاً ،والخُلَّة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يُشارك بينه وبين غيره فيها.

فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخُلَّة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب،فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خَلَصَت الخلَّة حينئذ من شوائب المشاركة،فلم يبق في الذبح مصلحة إذ

كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود ، فنسخ الأمر وفدى الذبيح ،وصدَّق الخليل الرؤيا ، وحصل مراد الرب .

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود ، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول ، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلَّة ما يقتضي الأمر بذبحه ، وهذا في غاية الظهور .

وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل ﷺ غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة ، فإنها كانت جارية فلما ولدت إسماعيل وأحبَّه أبوه اشتدت غيرة سارة ،فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة .

وهذا من رحمة الله تعالى ورأفته، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله؟،هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها، فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية؟، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السُّرِّية،فحينئ ذيرق قلب السيدة على ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة،ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، وليُري عباده جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدَّة وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة،وهذه سُنَّته تعالى فيمن يُريد رفعه من خلقه أن يمنَّ عليه بعد استضعافه وذلَّه وانكساره ، قال تعالى : ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ۝٥ ﴾ [القصص : ٥] ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم أ هـ[١] .

---

(١) زاد المعاد (١/٧١-٧٥) .

فصل في
ذكر جدّه عبد المطلب

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (١)

اسمه شيبة، يقال: لشيبةٍ كانت في رأسه ويقال له: شيبة الحمد لجوده.

وإنما قيل له: عبد المطلب لأن أباه هاشماً لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد ابن لبيد بن حرام بن خداش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي النجَّاري وكان سيد قومه فأعجبته ابنته سلمى، فخطبها إلى أبيها، فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده. وقيل: بل شرط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة.

فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام، فمات بغزَّة ووضعت سلمى ولدها فسمَّته شيبة، فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين، ثم جاء عمه المطلب ابن عبد مناف فأخذه خفية من أمه فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس قالوا: من هذا معك؟، فقال: عبدي. ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك، فغلب عليه.

وساد قومه سيادة عظيمة، وذهب بشرفهم ورئآستهم، فكان جماع أمرهم عليه، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب، وهو الذي حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جرهم، وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القَلْعية اهـ.

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٨٤-١٨٥).

فصل في
ذكر أبيه ﷺ

هو: عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ،وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب .

قال الزهري: كان أجمل رجال قريش .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله -: [١]

زوَّجه أبوه أشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله ﷺ اهـ.

ثم قال - رحمه الله -:

والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفِّي خمسٌ وعشرون سنة . ا هـ.

(١) المصدر السابق (١ / ٢٠٤).

فصل في

رؤيا أمـــه حين حملت به ﷺ

عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا نبي الله كيف كان أول بدء أمرك؟ .

قال ﷺ : « **دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام** » (١)

قلت: المقصود بدعوة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)** ﴾ [البقرة: ١٢٩] ، وأمَّا بشرى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي قوله: ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف : ٦] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٦٢) والحاكم في المستدرك(٢ / ٦٠٠) وابن حبان في صحيحه برقم ٢٠٩٣ والطيالسي في مسنده برقم ١١٤٠ وابن إسحاق في السيرة (١ / ١٧٥) والبيهقي في دلائل النبوة (١ / ٨٤) وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٤٥ .

فصل في
مولده الشريف ﷺ

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: [١]

قال ابن إسحاق: كان مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ عام الفيل.

وهذا هو المشهور عند الجمهور. قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: وهو الذي لا يشك به أحد من علمائنا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولد عام الفيل ،وبعث على رأس الأربعين سنة من عام الفيل اهـ.

والمشهور عند الجمهور أنه ﷺ ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

قلت: أما مولده يوم الاثنين فمحل وفاق بين العلماء، وقد دلَّ عليه حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: « **فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ** » [٢] .

وقد كفله ﷺ جدُّه عبد المطلب « فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجدِّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب » [٣] .

« فلمَّا حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالبٍ بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته، فكان رسول الله ﷺ بعد جدِّه عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله، وشبَّ رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً،وأحسنهم خلقاً،وأكرمهم مخالطةً،وأحسنهم جواراً ،

---

(١) السيرة النبوية (١ / ٢٠١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصيام) باب(استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين والخميس) برقم ١١٦٢ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير (١ / ٢٣٥).

وأعظمهم حلماً وأمانةً ، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى .

ما رؤي ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتى سمَّاه قومه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات » (١) .

قصة بحيرى الراهب :

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فحلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب،وكانوا قبل ذلك يمرُّون عليه فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إليهم ، قال : فنزل وهم يحلُّون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال : هذا سيد العالمين.

(وفي رواية البيهقي زيادة : هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين) .

فقال أشياخٌ من قريش وما علمك؟ .

فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال :أرسلوا إليه ، فأقبل وغمامة تظلُّه ، فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

قال : بينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال : فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم؟ .

قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريقٌ إلا بُعث إليه ناسٌ، وإنَّا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه .

المصدر السابق (١ / ٢٤٠ – ٢٤٩) .

قال: فهل خلفكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟.

قالوا: لا، إنَّما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟.

فقالوا: لا.

قال: فبايعوه وأقاموا عنده، قال:

فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليُّه؟.

فقال: أبو طالب: أنا.

فلم يزل يناشده حتى ردَّه وبعث معه أبا بكر وبلالاً، وزوَّده الراهب من الكعك والزيت » (١)

قلت: وفي هذه القصة العظيمة من الفوائد ما يلي:

- عظيم عناية الله بعبده ورسوله محمدٍ ﷺ.
- أن علماء أهل الكتاب كانوا يعرفون أوصاف نبينا ﷺ وعلامات نبوته قبل بعثته، بل وقبل مولده حسب ما يجدونه في كتبهم.
- أن مما علمه أهل الكتاب من أوصاف نبينا ﷺ أن الله يبعثه رحمة للعالمين.

---

(١) أخرج هذه القصة الترمذي في سننه (٤/٢١٦) كتاب (المناقب) باب (ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ) برقم ٣٦٢٠ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٥-٦١٦-٦١٧)،حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ،وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٤-٢٥-٢٦)، وقال إن القصة مشهورة عند أهل المغازي.

وقال العلامة الألباني في صحيح السيرة ص ٣١ في الحاشية:

وإعلال الحديث بأن فيه ذكر أبي بكر و بلال، وكان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر إنما هي دعوى مبنية على أن عمره ﷺ يومئذ ثنتا عشرة سنة، وهذا غير محفوظ فيه، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي ،والواقدي متروك متهم، فمن الممكن أن تكون القصة وقعت بعد ذلك بسنتين.

فلا يجوز إعلالها بمثل قول الواقدي المنكر. وقد بسطت القول في تصحيح الحديث والجواب عمَّا أُعلَّ به في الرد على الدكتور البوطي ص ٦٢ - ٧٢، وذكرت سبعة من الحفاظ سبقوني إلى تصحيحه فراجعه. اهـ.



فصل في

أحوال النبي ﷺ قبل البعثة
وحفظ الله له من عبادة الأصنام وأمور الجاهلية

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله -: [١]

فصل في منشئه - عليه الصلاة والسلام - ومرباه، وكفاية الله له وحياطته وكيف كان يتيماً فآواه، وعائلاً فأغناه.

قال محمد بن إسحاق: « فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة اهـ.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني جارٌ لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ - أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة رضي الله عنها: أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزَّى - أوثان كان يعبدها أهل الجاهلية - والله لا أعبد أبداً، قال: فتقول خديجة رضي الله عنها: خلِّ اللات خلَّ العزَّى » [٢].

عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ البيت - الكعبة - وأنا معه فطاف به وكان بالبيت صنمان أحدهما من نحاس، يقال لأحدهما: يساف، وللآخر: نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبي ﷺ: «**لا تمسحهما فإنهما رجسٌ**، قال: فقلت في نفسي: لأمسحهما حتى أنظر ما يقول، فمسحتهما، فقال: **يا زيد ألم تنه؟**» [٣].

---

(١) السيرة النبوية (١ / ٢٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٢٢)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣ / ٢٨٣) وغيره، وسنده حسن.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بنيت الكعبة كان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس - عمه - يا ابن أخي لو حللت عليك إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة . قال فحلّه فجعله على منكبه فسقط مغشياً عليه قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً » [١] .

وعنه رضي الله عنه قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة رضي الله عنهما فقال العباس للنبي ﷺ :اجعل إزارك على رقبتك ، فخرَّ وطمحت عيناه إلى السماء ، فقال: إزاري إزاري فشدَّ عليه » [٢] .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري: [٣]

فيه أنه ﷺ كان مصوناً عمّا يستقبح قبل البعثة وبعدها . اهـ.

وكان أهل الجاهلية من كفار قريش إذا حجوا لم يقفوا مع الناس في عرفات، بل يقفون في المزدلفة لأنها من الحرم ، وكانوا يقولون نحن أهل الحرم فلا نقف في الحل - يعني في عرفة - ، وكان يقال لهم الحُمس، لحماستهم وشدتهم في دينهم، فكان من توفيق الله لنبيه ﷺ قبل البعثة أنه لا يقف مع قومه إنما يقف مع سائر الناس في عرفات حيث يريد الله - سبحانه وتعالى - .

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال :أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة فقلت: هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا » [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (كراهية التعري في الصلاة وغيرها) برقم ٣٦٤ ومسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (الاعتناء بحفظ العورة) برقم ٣٤٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الحج) باب (فضل مكة وبنيانها) برقم ١٥٨٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (الاعتناء بحفظ العورة) برقم ٣٤٠ .

(٣) (٥٥٦/١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الحج) باب (الوقوف بعرفة) برقم ١٦٦٤ .

فصل في

رعي النبي ﷺ الغنم قبل البعثة
وكذلك سائر الأنبياء، والحكمة من ذلك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم** » فقال أصحابه: وأنت؟ ، فقال: « **نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكَّة** »[١].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: [٢]

قال العلماء: والحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرُّن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم،ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة،لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح،ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق،وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها،فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة ، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الأغنام.

وخصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر ، لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادا من غيرها.

وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن عَلِمَ كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربِّه ، والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ـ صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء ـ . اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإجارة) باب (رعي الغنم على قراريط) برقم ٢٢٦٢ .
(٢) (٤/٥١٦) .

فصل في
إرهاصات بعثته ﷺ

لقد وقعت عدَّة أحداث كانت بمثابة إرهاصات ومقدمات لنبوته ﷺ منها:

[١] حادثة شقّ صدره ﷺ وهو يلعب مع الغلمان :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ،فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه ، فاستخرج منه علقةً ،فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ،ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ أي مرضعته ـ فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس رضي الله عنه وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره ـ ﷺ ـ » [١] .

[٢] تسليم الحجر عليه ﷺ بمكة قبل البعثة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن** » [٢] .

[٣] الرؤيا الصالحة في النوم.

[٤] حُبب إليه ﷺ التخلي والعزلة للتعبد في غار حراء بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء والمعراج برسول الله إلى السماوات،وفرض الصلوات) برقم ١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) برقم٢٢٧٧ .

فجاءه الملك فقال : اقرأ. فقال : ما أنا بقارئ. قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ،فقال : اقر . قلت : ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال : اقرأ. فقلت : ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ ﴾ [العلق : ١ - ٣] .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة - رضي الله عنها - كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم ،وتحمل الكلَّ ،وتُكسب المعدوم ، وتُقري الضيف ، وتُعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة يا ابن عمٍّ اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟.

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى،يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ :**أو مخرجيَّ هم؟**، قال: نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي » [١] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب الثالث رقم ٣ .

فصل في
مبعث النبي ﷺ

« **بعث الله نبيه على رأس أربعين سنة** » (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشراً ثم توفي ﷺ »(٢).

ولا خلاف أن النبي ﷺ بعث على رأس أربعين سنة ، قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ(٣) : وهي سن الكمال ،قيل: لها تبعث الرسل اهـ.

وقال - رحمه الله -: (٤)

لما كمل له ـ ﷺ ـ أربعون أشرق عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى ، ولا خلاف أن مبعثه ﷺ كان يوم الاثنين ، واختلف في شهر المبعث اهـ.

قلت: كانت ولادته يوم الاثنين وبعثته يوم الاثنين، فقد سئل نبينا ﷺ عن صومه يوم الاثنين فقال: فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ » (٥) .

قال العلامة الفوزان في الخطب المنبريه(١/٩٠) :

إن الله تعالى لم ينوه بولادة الرسول ـ ﷺ ـ وإنما نوه ببعثته فقال:

﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [آل عمران :١٦٤] ، فهي التي تحققت بها المنة الربانية ،ومنذ بعثته إلى وفاته وكل لحظه من حياته الطيبة نعمة على البشرية، فكل حياته بعد البعثة عبادة وجهاد ونفع للمسلمين،لا يختص ذلك بيوم معين من حياته ا هـ.

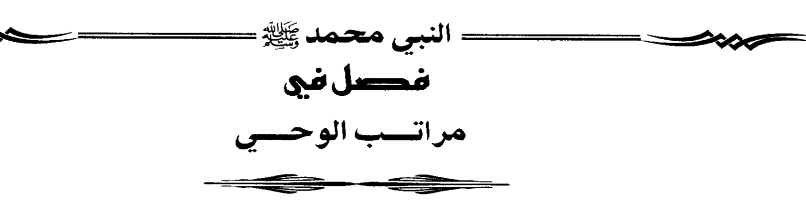
(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) برقم ٣٥٤٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة النبي ﷺ) برقم ٢٣٤٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار) باب (مبعث النبي ﷺ) برقم ٣٨٥١ .

(٣) زاد المعاد (١ / ٨٤).

(٤) زاد المعاد (١ / ٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار) باب (مبعث النبي ﷺ) برقم ٣٨٥١ .



فصل في
مراتب الوحي

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله -: (١)

وكمَّل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ : « **إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملَّنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته** » .

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثَّل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة ﷺ أحياناً.

الرابعة: أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وكان أشدُّه عليه ، فيتلبَّس به الملك حتى إنَّ جبينه ليتفصَّدُ عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها.

الخامسة: أنه ﷺ يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم.

السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة عليه وغيرها.

---

(١) زاد المعاد (١ / ٧٨- ٨٠) .

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ،كما كلَّم الله موسى بن عمران عليه السلام ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء اهـ.

فصل في
حال الجن عند مبعث النبي ﷺ

قال الله تعالى عن الجن إنهم قالوا:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن : ٨-١٠] .

قال الحافظ بن كثير -رحمه الله - في تفسيره: (١)

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن،وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً،وحفظت من سائر أرجائها،وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهان فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق من الكاذب،وهذا من لطف الله تعالى بخلقه،ورحمته بعباده،وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن :٨-٩]: أي من يروم أن يسترق السمع يجد له شهاباً مُرصداً له لا يتخطَّاه ولا يتعدَّاه بل يمحقه الله اليوم ويهلكه.

﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن ١٠] : أي ما ندري هذا الأمر الذي حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ،وهذا من أدبهم في العبارة ،حيث أسندوا الشرّ إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله ـ عز وجل ـ اهـ.

ثم قال -رحمه الله-: (٢)

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب في السماء والرمي،هال ذلك

---
(١) (١٨٩/٨) .
(٢) (١٩٠/٨) .

الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السُّدِّي :لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين الله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد من السماء الدنيا يستمعون ما يحدث من أمر ، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رُجموا . ا هـ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ما سمعت عمر لشيء قط يقول : إنِّي لأظُنه كذا إلا كان كما يظن. فبينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال عمر : لقد أخطأ ظنِّي أو أن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم. عليَّ بالرجل.

فدعي له فقال له ذلك.

فقال الرجل : ما رأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم. قال عمر : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني .

قال : كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال : فما أعجب ما جاءت به جنيتك؟ ، قال : بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت : ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عمر : بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ بعجلٍ فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صراخاً قط أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمرٌ نجيح رجلٌ فصيح يقول : لا إله إلا أنت. فوثب القوم.

قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا.

ثم نادى : يا جليح أمرٌ نجيح رجلٌ فصيحٌ يقول : لا إله إلا الله.

فقمت فما نشبنا أن قيل : هذا نبي » [١] .

معاني بعض الكلمات:

« الكاهن : الذي يتعاطى الخبر من الأمور الغيبية،وكانوا في الجاهلية كثيراً،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه) برقم ٣٨٦٦ .

فمعظمهم كانوا يعتمدون على تابعه من الجن.

إبلا سها: معناه اليأس، أي أن الجن فقدت أمراً فشرعت تفتش عليه.

ويأسها بعد إنكاسها: معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد أَلِفَتْهُ ،فانقلبت عن الاستراق، قد يئست من السمع.

جليح: يحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من كان بتلك الصفة » [١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حِيْلَ بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حِيْلَ بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا: ﴿ **فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②** ﴾[الجن : ٢] .

فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ** ﴾ وإنَّما أوحي إليه قول الجن » [٢] .

كل ما سبق يدل على أن بعثته ﷺ حدث عظيم جرت بسببه حوادث عظيمة في الأرض والآفاق دلالة على شرف بعثته ، وأنها حدث عظيم في تاريخ البشرية.

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧ / ٢١٨-٢٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (الجهر بقراءة صلاة الفجر) برقم ٣٧٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (الجهر بالقراءة بالصبح والقراءة على الجن) ، برقم ٤٤٩ .



فصل في
حال الناس عند مبعث النبي ﷺ

لقد بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ وأهل الأرض أحوج ما يكونون إلى رسالته ، فإنهم كانوا بين عُبَّاد أوثان ،وعباد صلبان،وعباد نيران، وعباد كواكب، بعثه الله في حين فترة من الرسل وانطماس من السبل ، نظر الله إلى أهل الأرض قبل بعثته فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

أما المجتمع الذي بعث فيه محمد ﷺ فقد كانوا أهل جاهلية بكل ما تحمله الكلمة من معنى،لا يحكمون بشريعة ولا يتحاكمون إلي شريعة، إنما هي شريعة الغاب، يأكل قويهم ضعيفهم، من استحسن شيئاً دعا إليه، وقاتل من خالفه عليه شعارهم:

ومن لا يذدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناسَ يُظْلَمِ

عقائدهم من أفسد العقائد ،يعبدون الأوثان ويتلاعب بعقولهم الشيطان ،يصنع أحدهم إلاهاً له في أول النهار من التمر فإذا جاع آخر النهار أكله.

إذا اجتمع أشرافهم وبلغاؤهم فللتفاخر بالآباء والأجداد ولتعداد المآثر والأمجاد ، أمَّةٌ أميةٌ لا تقرأ ولا تكتب.

من وُلدت له أنثى بادر بدفنها وهي حية خشية العار ـ كما زعموا ـ لا تُعطى المرأة شيئاً من الميراث ، بل تعدُّ من سقط المتاع.

يأكلون الميتة والدم، ويشربون الخمور،حتى أن أحدهم كان لا يتحاشى ما أكل، فقد قيل لبعضهم ما تأكل قال:كل ما دبَّ ودرج إلا أم حبين.فقيل:ليهنأ أم حبين العافية.

بعث الله النبي ﷺ والنكاح فيهم على أضرب كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليَّته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها ـ أي حيضها ـ

أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها لا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ، ومر ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله ، إلا نكاح الناس اليوم » [١] .

« فأغاث الله به البلاد والعباد ،وكشف به تلك الظلم،وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة،وعلّم به من الجهالة ،وكثّر به بعد قلة وأعزّ به بعد ذلّة ، وأغنى به بعد العيلة ، وفتح به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلفاً ، فعرَّف الناس بربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تنال قواهم من المعرفة.

وابدأ وأعاد وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين ،وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره،ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف،لا إلى من قبله ولا إلى من بعده،بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل متكلم في هذا الباب ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [العنكبوت :٥١] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (من قال لا نكاح إلا بولي) ، برقم ٥١٢٧ .

وعرَّفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته ، ولم يدع حسناً إلا أمرهم به ، ولا قبيحاً إلا نهى عنه ،كما قال أبو ذر رضي الله عنه : « لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه إلا وذكر لنا منه علماً » .

وعرَّفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف ، فكشف الأمر وأوضحه ، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرِّب لهم إلى ربهم إلا فتحه ، ولا مشكلاً إلا بيّنه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها ، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها من جهلها »[١] .

فصلوات ربي عليه وسلامه آناء الليل وأطراف النهار .

---

(١) جلاء الأفهام (٢٨٥-٢٨٨) ، باختصار .



فصل في
أشهر أسمائه ﷺ وبيان معانيها

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾ [الصف : ٦] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لي خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب** » [١] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسمِّي لنا نفسه أسماءً فقال: « **أنا محمد ،وأحمد ،والمقفِّي ،والحاشر ،ونبي التوبة، ونبي الرحمة** » [٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ : محمد رسول الله عبدي ورسولي ،سمَّيته المتوكل،ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق،ولا يجزي بالسيئة السيئة،بل يعفو ويصفح ،ولن أقبضه حتى أقيم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عُمياً،وآذاناً صُمَّا، وقلوباً غُلفاً» [٣] .

أسماؤه ﷺ أعلام وأوصاف :

قال العلامة إبن القيم ـ رحمه الله ـ : [٤]

وكلها ـ أي أسماء النبي ﷺ ـ نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف،بل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ) ، برقم ٣٥٣٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (أسمائه ﷺ) ، برقم ٢٣٥٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (أسمائه ﷺ) ، برقم ٢٣٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾) برقم ٤٨٣٨ .

(٤) زاد المعاد (١ / ٨٦) وانظر أيضاً جلاء الأفهام (٢٧٨) .

أسماء مشتقَّة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال أ هـ .

أنواع أسماء النبي ﷺ:

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله - [١]: **وأسماؤه ﷺ نوعان:**

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل كمحمد، وأحمد، والعاقب ، والحاشر، والمقفَّي، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله ، فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ،ونبيه ،وعبده ،والشاهد ،والمبشِّر ،والنذير، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة.

وأما إن جُعل له من كل وصف من أوصافه اسمٌ تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق،والرؤوف والرحيم،إلى أمثال ذلك،وفي هذا قال من قال من الناس: إن له ألف اسم. وللنبي ﷺ ألف اسم قاله أبو الخطاب بن دحية ومقصوده الأوصاف أ هـ.

شرح معاني أسمائه السابقة - ﷺ - :

أمَّا اسمه محمد - ﷺ - « هو أشهر أسمائه،سَّماه الله بذلك،وهو اسم مفعول من حَمدَ،فهو محمود،كثير الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته.

وأمَّا اسمه أحمد - ﷺ - فقد بشَّر به بهذا الاسم عيسى ابن مريم عليه السلام وسَّمى به نفسه نبينا ﷺ،وأحمد مشتق أيضاً من الحمد، وقد اختلف فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول ، فتقدير أحمد على القول: الأول: أحمد الناس لربه ، وعلى الثاني: أحق الناس وأولاهم بأن يُحمد، فيكون كمحمد في المعنى، إلا أن الفرق بينهما أن محمداً هو كثير الخصال التي يحمد عليها ،وأحمد هو الذي يُحمد أفضل مما يُحمد غيره ، فمحمد في الكثرة والكمية ، وأحمد في الصفة والكيفية.

وهذان الاسمان إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لأجلها استحق أن يُسَّمى محمداً وأحمداً.

وهو الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وأهل الدنيا وأهل الآخرة، لكثرة

---

(١) زاد المعاد (١ / ٨٨).

خصائصه المحمودة التي تفوق عدَّ العادِّين وإحصاء المحصين. » (١) .

قال القاضي عياض -رحمه الله-: (٢)

أمَّا اسمه أحمد فأفعل مبالغة من الحمد، ومحمَّد مفعَّل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجل من حَمِدَ،وأفضل من حُمِدَ،وأكثر الناس حمداً ،فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين،ومعه لواء الحمد يوم القيامة،ليتمَّ له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ،ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم،ويُفتح عليه فيه من المحامد ـ كما قال ﷺ ـ ما لم يعط غيره وسمَّى أمته في كتب أنبيائه بالحمَّادين، فحقيق أن يسمى محمداً وأحمداً.

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فنٌّ آخر ، هو أن الله ـ جلَّ ـ اسمه حمى أن يسمَّى بهما أحدٌ قبل زمانه.

أمّا أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمَّى به أحدٌ غيره،ولا يدعى به مدعوّ قبله،حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شكٌّ.

وكذلك محمد أيضاً لم يسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث من العرب اسمه محمد فسمَّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو،و ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ . [الأنعام : ١٢٤] .

وهم: محمد بن أصيحة بن الجلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن البراء البكري ،ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفي ، ومحمد بن خزاعي السلمي. لا سابع لهم ثم حمى الله كل من تسمَّى به أن يدَّعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما . اهـ.

وأمَّا اسمه الماحي-ﷺ-: فقد قال: « **وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر** » .

---

(١) زاد المعاد (١ / ٩٣).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ﷺ - (١/ ٢٩٩ - ٣٣١) .

فلم يُمح الكفر بأحد من الخلق مامُحي بنبينا ﷺ ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفَّاراً إلا بقايا من أهل الكتاب فمحى الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين،وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار،وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار.

وأمّا اسمه الحاشر ﷺ :فقد قال عنه ﷺ :«**وأنا الحاشر يُحشر الناس على قدمي**».

فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يُحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشر الناس.

وأما اسمه العاقب ﷺ:

فالعاقب الذي جاء عقب الأنبياء،فليس بعده نبي ، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتِم، ولهذا سُمِّي العاقب على الإطلاق. أي: عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما اسمه ﷺ نبي التوبة:

فلأنه الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله،وكان ﷺ يقول:«**يا أيها الناس توبوا إلى الله ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرَّة** » أخرجه مسلم في صحيحه. وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولاً وأسهل تناولاً،وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء ، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم.

وأمَّا هذه الأمَّة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأمّا اسمه ﷺ نبي الرحمة:

فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين،فرحم الله به أهل الأرض كلهم،مؤمنهم وكافرهم.

أمَّا المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة،وأمَّا الكفَّار فأهل الكتاب عاشوا في ظلِّه وتحت حبله وعهده، وأمَّا من قتله منهم هو وأمَّته فإنَّهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدَّة العذاب في الآخرة.

وأما اسمه المتوكل - ﷺ - :

فهو أحق الناس بهذا الاسم ، لأنه توكل على الله في إمامة الدين توكلاً لم يشركه فيه غيره »[1] .

(١) زاد المعاد (١/٩٣-٩٦) . باختصار

فصل في
صفات نبينا محمد ﷺ الخَلْقية إجمالاً وتفصيلاً

أولاً : صفة النبي ﷺ وجمال خِلقته على سبيل الإجمال :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه **قال:** « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خَلْقاً ، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير » [١] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه **قال:** « كان النبي ﷺ مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حُلَّة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه » [٢] .

وسُئل البراء رضي الله عنه :« أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟، قال :لا،بل مثل القمر »[٣] .

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه **قال:** « كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنَّه قطعة قمر، وكنَّا نعرف ذلك منه » [٤] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ ،لا مسست شيئاً قط ديباجاً ولا حريراً ألين مسَّاً من رسول الله ﷺ »[٥] .

وعنه رضي الله عنه قال : كان رسول الله أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشي تكفأ ، ولا مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرةً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ » [٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبيﷺ) ، برقم ٣٥٤٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة النبيﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً برقم ٢٣٣٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٥١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً) ، برقم ٢٣٣٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٥٢ .

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٥٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (التوبة) باب (حديث كعب بن مالك وصاحبيه برقم ٢٧٦٩ .

(٥)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (طيب رائحة النبي ﷺ) ، برقم ٢٣٣٠ ، واللفظ لمسلم .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (طيب رائحة النبي ﷺ) ، برقم ٢٣٣٠ .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه **قال:** صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأمَّا أنا فمسح خدَّي، قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً، كأنَّما أخرجه من جُؤْنَة [١] عطار » [٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون[٣]، ليس بأبيض أمهق[٤]، ولا آدم [٥]. [٦].

وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ أبيض مليح الوجه » [٧].

ومن الأحاديث السابقة يتبين مايلي:

- أن النبي ﷺ كان من أجمل خلْق الله.
- أنه ﷺ كان متوسِّط القامة، ليس بالطويل البائن ولا القصير.
- أنه ﷺ كان أبيض مستنيراً مليح الوجه مثل القمر.
- أنه ﷺ كان بعيد مابين المنكبين كأحسن ما أنت راءٍ من الرجال.
- أن أثر السرور كان يظهر على وجهه ﷺ وهكذا أثر الغضب كما بينته الأحاديث الأخرى.

ثانياً: صفة نبينا ﷺ الخَلْقية تفصيلاً:

صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه:

قال الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشَّار قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت

---

(١) الجؤنة: هي التي يعد فيها الطيب ويحفظ. قاله ابن الأثير في النهاية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥ / ٤٧٨): أزهر اللون هو الأبيض المستنير، وهي أحسن الألوان اهـ.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥ / ٤٩٠): الأمهق: شديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهمه الناظر أبرص. اهـ.

(٥) الآدم: الأسمر، قاله النووي في المصدر السابق

(٦) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة النبي ﷺ)، برقم ٣٥٤٧.

(٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كان النبي ﷺ مليح الوجه)، برقم ٢٣٤٠.

جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العين منهوس العقبين.

قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟. قال: عظيم الفم.

قال: قلت: ما أشكل العين؟. ، قال: طويل شقّ العين.

قال: قلت: ما منهوس العقب؟ . قال: قليل لحم العقب » (١) .

صفة رأس النبي ﷺ ويديه وقدميه ولحيته :

عن عليّ رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ ضخم الرأس » (٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين لم أر بعده شبيهاً له » (٣) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ كثير شعر اللحية فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا ، بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديراً » (٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قُبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء » (٥) .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : كان في عنفقة النبي ﷺ شعرات بيض »(٦) .

صفة شعر رأسه ﷺ :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ رَجِلاً ليس بالسَّبِط ولا الجَعدِ بين أذنيه وعاتقه » (٧) .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه لمسلم (١٥/٤٨٤):

رَجِلاً ليس بالجعد ولا السبط هو بفتح الراء وكسر الجيم ،وهو الذي بين الجعودة

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة فم النبي ﷺ وعينه وعقبه) ، برقم ٢٣٣٩ .
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب (المناقب) باب (ما جاء في صفة النبي ﷺ)برقم٣٦٣٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب (اللباس) باب (الجعد) ، برقم ٥٩١١ .
(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (في شيبة النبي ﷺ) ، برقم ٢٣٤٤ .
(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٤٧ .
(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٤٦ .
(٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب (اللباس) باب (الجعد برقم ٥٩٠٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة شعر النبي ﷺ) ، برقم ٢٣٣٨ .

والسبوطة قاله الأصمعي وغيره . اهـ .

إثبات خاتم النبوة وصفته :

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وقع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه » [١] .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: « رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام » [٢] .

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أوقال: ثريداً، قال: ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض[٣] . كتفه اليسرى جُمعاً[٤] . عليه خيلان [٥] . كأمثال الثآليل » [٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها « جيْ » وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل حبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية.

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة قال: فَشُغِلَ في بنيان له يوماً فقال لي: يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطَّلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي: ولا تحتبس عنِّي فإنك إن احتبست عنِّي كنت أهمَّ إليَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (خاتم النبوة)، برقم ٣٥٤١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات خاتم النبوة) ، برقم ٢٣٤٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات خاتم النبوة) ، برقم ٢٣٤٤ .

(٣) الناغض: قال الجمهور : الناغض أعلى الكتف وقيل: هو العظم الرقيق الذي على طرفه ،وقيل: ما يظهر منه عند التحرك . قاله النووي في شرح مسلم.

(٤) جمعاً: بضم الجيم وإسكان الميم ومعناه أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها قاله النووي في شرح مسلم.

(٥) خيلان: بكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء جمع خال وهي الشامة في الجسد قاله النووي في شرح مسلم.

(٦) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات خاتم النبوة) ، برقم ٢٣٤٦ .

من ضيعتي وشغلتني عن كل شئ من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها.

ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟، قالوا بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كلَّه، فلما جئت قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن أعهد إليك ماعهدته؟، قال: قلت: يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني مارأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه.

قال: قلت كلا والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم.

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجاراً فأخبروني بهم فقلت:

إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟، قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال فجئته فقلت إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل، فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها أشياءً اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق.

قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع. ثم مات فاجتمعت إليه النصارى

ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوءٍ يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً.

قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟، قال: قلت: أنا أدلُّكم على كنزه، قالوا: فدلنا. قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة. ثم جاءوا برجلٍ آخر فجعلوه بمكانه.

قال يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه.

قالَ: فأحببته حباً لم أحبَّه من قبله،فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له: إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبّه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ .

قال:أي بني والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل،وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به.

قال: فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب الموصل فقلت: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجلٍ على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات.

فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من الله - عز وجل - ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان،فالحق به.

قال: فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال: فأقم عندي. فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت،فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلانٌ إليك فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ .

قال: أي بني والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا قال: فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب عموريَّة، فأخبرته خبري فقال أقم عندي. فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة.

قال: ثم نزل به أمر الله فلما حُضِرَ قلت: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي؟ ، وما تأمرني؟، قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة،بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغيِّب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث،ثم مر بي نفرٌ من كلب تجاراً فقلت لهم تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا نعم.فأعطيتموها وحملوني ، حتى قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلاد الذي وصف لي صاحبي ولم يحقَّ لي في نفسي،فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي،فأقمت بها وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق،ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال :فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي قال: فلما سمعتها أخذتني العَرْواء حتى ظننت سأسقط على سيدي قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ، ماذا تقول؟ ، قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدةً ثم قال: ما لك ولهذا!، أقبل

على عملك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته،فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ: « **كلوا** » وأمسك يده فلم يأكل قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً،وتحول رسول الله إلى المدينة ثم جئته به فقلت:إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها ؛ قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه ﷺ فأكلوا معه قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو في بقيع الغرقد قال:وقد تبع جنازةً من أصحابه عليه شملتان له وهو جالسٌ في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصفه لي صاحبي؟، فلمَّا رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ: تحول، فتحولت ،فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ﷺ.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد،ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشر - يعني: الرجل بقدر ما عنده - حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية ، فقال لي رسول الله ﷺ: « **اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي** » قال: ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، ما ماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقي المال، فأُتيَ رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاج من

ذهب من بعض المغازي فقال : « **ما فعل الفارسي المكاتب** » قال : فدعيت له فقال : « **خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان** »، فقلت : وأين تقع هذه مما علي؟! قال : «**خذها فإن الله سيؤدي بها الذي عنك** » قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ، ثم لم يفتني معه مشهد » (١) .

قلت : يستفاد من هذه القصة العظيمة عدة فوائد منها:

[١] أن أهل الكتاب كانوا يعرفون أوصاف النبي ﷺ وعلامات نبوته وصفة موضع هجرته قبل بعثته بمقتضى ما في كتبهم ، وما أخبرهم به أنبياؤهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

[٢] ما في هذه القصة العظيمة من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ، فقد بارك الله لسلمان رضي الله عنه بالذهب القليل ووفَّى ما عليه من الأربعين الأوقية ،كما أخبره النبي ﷺ حين قال له : « **خذها فإن الله سيؤدي بها الذي عنك** » .

[٣] أنه ينبغي لأهل الكتاب اليوم من اليهود والنصارى الذين يشكون في صدق نبوة محمد ﷺ ، أو يجهلون ذلك أن يبحثوا عن الحقيقة ويقرؤا عن هذا الدين وهذا النبي الكريم ﷺ « **ومن يتحرى الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه** » ولهم في قصة سلمان رضي الله عنه عظة وعبرة .

[٤] ما كان عليه النبي ﷺ من مكارم الأخلاق،ويتجلى في هذه القصة تواضعه ﷺ في اتباع جنائز أصحابه والأكل معهم،وتفقد أحوالهم ومواساتهم بالمال والنفس .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخٍ من قريش فلما أشرفوا على الراهب ـ يعني بحيرى ـ هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب،وكانوا قبل ذلك يمرُّون عليه فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إليهم قال : فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٤١-٤٤٤) .

فقال: «**هذا سيد العالمين** »، رواية البيهقي زيادة: « **هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين**» . فقال أشياخٌ من قريش وما علمك؟.

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً،ولا يسجدون إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال:أرسلوا إليه،فأقبل وغمامة تظلُّه، فلما دنا من القوم قال:انظروا إليه،عليه غمامة،فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه،قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: بينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ .

قالوا: جئنا أن هذا النبي خارجٌ في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنَّا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

قال:فهل خلفكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟ قالوا:لا،إنما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردَّه؟.

فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده، قال:

فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليُّه؟.

قال أبو طالب: أنا.

فلم يزل يناشده حتى ردَّه وبعث معه أبو بكر وبلالاً،وزوده الراهب من الكعك والزيت »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٢١٦) كتاب (المناقب) باب (ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ) ، برقم ٣٦٢٠ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢(٦١٥ – ٦١٦ – ٦١٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٤– ٢٥–٢٦) ، قال إن هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي.

وقال العلامة الألباني في صحيح السيرة ص ٣١في الحاشية:

وإعلال الحديث بأن فيه ذكر أبي بكر و بلال ، وكان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر،إنما هي دعوى مبنية على أن عمره ﷺ يومئذ ثنتا عشرة سنة،وهذا غير محفوظ،فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي،والواقدي متروك =

قلت: وفي هذه القصة العظيمة من الفوائد أيضاً مايلي:

- أن علماء أهل الكتاب كانوا يعرفون أوصاف نبينا ﷺ وعلامات نبوته قبل بعثته ، بل وقبل مولده حسب ما يجدونه في كتبهم.
- عظيم عناية الله بعبده ورسوله محمد ﷺ.
- أن مّما علمه أهل الكتاب من أوصاف نبينا ﷺ أن الله يبعثه رحمة للعالمين.

= متهم، فمن الممكن أن تكون القصة وقعت بعد ذلك بسنتين.
فلا يجوز إعلالها بمثل قول الواقدي المنكر. وقد بسطت القول في تصحيح الحديث،والجواب عمّا أعلّ به في الرد على الدكتور البوطي ص ٦٢– ٧٢ ، وذكرت سبعة من الحفاظ سبقوني إلى تصحيحه فراجعه . اهـ.



فصل في
ذكر أوصاف نبينا ﷺ في التوراة و الإنجيل
وما أخبر به علماء أهل الكتاب مما حفظوه عن أنبيائهم

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾
[الفتح: ٢٩].

وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل. والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن. «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمًّا، وقلوباً غُلفاً» [١].

وقد جاء في التوراة ما ترجم بالعربية:

«تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران» [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾) برقم ٨٤٣٨.
(٢) سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون ١ – ٣ العهد القديم ٢٦٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذا النص في الجواب الصحيح:

قال كثيرٌ من العلماء، واللفظ لأبي محمد بن قتيبة ،(ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء: إنزاله التوراة على موسى ﷺ من طور سيناء، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح ﷺ من ساعير ـ أرض الخليل ـ بقرية تسمَّى ناصرة، وباسمها يسمى من اتبعه نصارى ؛ وكما يجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ﷺ فكذلك يجب أن يكون إستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ ؛ وجبال فاران هي جبال مكة.

قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكَّة فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم. قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟ ، وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاباً من بعد المسيح ﷺ.

أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف.

فهل تعلمون ديناً ظهر بعد الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فَشْوَه؟ .

وقال ابن ظفر: ساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاً. جبل حراء الذي ليس حول مكة جبلٌ أعلى منه،ومنه كان نزول أول الوحي على النبيﷺ .

وحوله من الجبال جبال كثيرة ،حتى قد قيل إن بمكة اثني عشر ألف جبل ، وذلك المكان يسمَّى فاران إلى هذا اليوم ،وفيه كان ابتداء نزول القرآن.

والبرية بين مكة وطور سيناء تسمَّى برية فاران،ولا يمكن أحدٌ أن يدّعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيءٍ من تلك الأرض ولا بعث نبي.

فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ ، وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن هذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول: جاء أو ظهر. وفي الثاني: أشرق. وفي الثالث: استعلن.

وكان مجئ التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى.

وأمَّا نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال: « واستعلن من جبال فاران » فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين ،كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سمَّاه الله سراجاً منيراً ، وسمَّى الشمس سراجاً وهاجاً ؛ والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج ، فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت.

وكما قيل: قد ينضرُّون به بعض الأوقات،وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان، ليلاً ونهاراً ، سراً وعلانية اهـ. [١] .

وهذا هرقل كان أجلَّ ملوك النصارى ومن علمائهم لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام سأل عن صفاته فلما أخبر بذلك عرف أنه نبي وإليك قصته.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام، في المدة التي كان النبي ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيليا ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمان فقال:

❁ أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

❁ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً.

❁ فقال: أدنوه مني،وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه:

❁ قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه ، فوالله لولا الحياء أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه.

❁ ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال:كيف نسبه فيكم؟ قلت:هو فينا ذو نسب.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٢٠١-٢٠٣) وانظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص (٥٢-٦٤ - ٦٥).

❁ قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا.

❁ قال: فهل كان من أهله ملك؟ قلت: لا. قال: فهل أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟، فقلت: بل ضعفائهم.

❁ قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

❁ قال: فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

❁ قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا؛ قال: فهل يغدر؟ فقلت: لا، ونحن منه في مدَّة لا ندري ما هو فاعل فيها قال: ولم تمكنني كلمة أدخل فيه شيئاً غير هذه الكلمة.

❁ قال: فهل قاتلتموه؟، قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟.

❁ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال؛ ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

❁ فقال لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

❁ **وسألتك:** هل قال أحد منكم هذا القول؟، فذكرت أن لا، فقلت: لوكان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتَسِي بقولٍ قيل قبله.

❁ **وسألتك:** هل كان من آبائه ملك فذكرت أن لا. قلت: لو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

❁ **وسألتك:** هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

❁ **وسألتك:** أشراف الناس اتبعوه أم ضعفائهم؟، فذكرت أنَّ ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

❁ **وسألتك:** أيزيدون أم ينقصون؟فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمرالإيمان حتى يتم.

❁ **وسألتك:** أيرتد أحدٌ سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك

الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب.

❁ **وسألتك:** هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

❁ **وسألتك:** بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان،ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان كما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية رضي الله عنه إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمَّا بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تُسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابي: حين خرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشة إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

وكان ابن الناطور ـ صاحب إيليا وهرقل ـ سُقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح خبيث النفس،فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك.

قال ابن الناطور وكان هرقل حزَّاءً ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟، قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول ﷺ،فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا :امختتن هو أم لا ؟.

فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن. وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون.

فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر،ثم كتب هرقل إلى صاحبٍ له برومِيَّة، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يَرُمْ حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبيﷺ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت،ثم اطلع فقال :يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ ، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد أغلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليّ ، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل » [١] .

وعن الفلتان بن عاصم رضي الله عنه قال: كنا قعوداً مع النبي ﷺ في المسجد فشخص ببصره إلى رجل يمشي في المسجد فقال: يا فلان قال: لبيك. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا. قال: أتقرأ التوراة؟ قال: نعم. قال: والإنجيل؟ قال: نعم. قال: والقرآن؟ قال: والذي نفسي بيده لو شئت لقرأته. قال: ثم نشده قال: تجدني في التوراة والإنجيل؟ قال: نجد مثلك ومثل أمتك ومخرجك وكنا نرجوا أن تكون فينا فنظرنا فإذا ليس أنت هو. قال: لم ذاك؟ قال: إن معه من أمته سبعين ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب وإنما معك نفر يسير. قال: والذي نفسي بيده لأنا هو وإنها لأمتي وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً» [٢] .

وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه من أعلم الناس بدين النصارى ، وقد كان تيقن خروج رسول الله ﷺ قبل مبعثه ، وكان عنده بعض علامات نبوته، فلما رآه وتحقق من العلامات آمن به ، وقد سبق إيراد قصته كاملة ، وسبق قصة بحيرى الراهب وقد رأى بعض علامات نبوة محمد ﷺ قبل مبعثه ،فعرف أنه النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام وقد سبق ذلك أيضاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب السادس حديث رقم ٧ .

(٢) أخرجه ابن حبان كما في بذل الإحسان (١٣/ ٥٤١ – ٥٤٢) برقم ٦٥٨٠ وغيره ، وسنده حسن.

فصل في

أسئلة وجهها أحبار أهل الكتاب للنبي ﷺ و لا يجيب عنها إلا نبي ، وأجاب عنها ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام - وكان من أحبار اليهود - مَقْدَمَ النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . قال : ما أول أشراط الساعة؟،وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟،ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه،ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟، فقال رسول الله ﷺ : خبَّرني بهنَّ جبريل آنفاً .

فقال عبد الله : ذلك عدو اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله ﷺ :« **أمَّا أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ،وأمَّا أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ،وأمَّا الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها** » .

قال : أشهد أنك رسول الله ثم قال : يا رسول الله،إن اليهود قوم بهت،إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك .

فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ :أي رجل فيكم عبد الله ابن سلام؟،قالوا :أعلمنا وابن أعلمنا،وأخبرنا وابن أخبرنا؛فقال رسول ﷺ : «**أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟**» قالوا :أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا :شرُّنا وابن شرِّنا ووقعوا فيه »[(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يوماً فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي . **قال : سلوني عمَّا شئتم ولكن اجعلوا لي ذمَّة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعنِّي على الإسلام** ، قالوا : فذلك لك .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (خلق آدم وذريته) رقم ٣٣٢٩ .

قال: **فسلوني عمَّا شئتم.**

قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي بالنوم ومن وليَّه من الملائكة؟.

قال: **فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم لتتابعني؟.**

قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

قال: **فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب عليه السلام ـ مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمنَّ أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لُحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها.**

قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ـ عليه السلام ـ هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله.

قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ـ عليه السلام ـ هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعند ها نجامعك أو نفارقك قال: **فإن وليي من الملائكة جبريل ـ عليه السلام ـ ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه.** قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك »[(١)] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٧٨)، وابن سعد في الطبقات (١/١٧٤-١٧٦)، والطيالسي برقم (٢٧٣١)، والطبراني (١/٤٣١-٤٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٦/٢٦٦ - ٢٦٧)، وغيرهم وهو حديث حسن.

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبرٌ من أحبار اليهود :

■ فقال: السلام عليكم يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟.

■ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله.

■ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أهله.

■ فقال رسول الله ﷺ إن اسمي محمد، الذي سمَّاني به أهلي.

■ فقال اليهودي: جئت أسالك.

■ فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟.

■ قال: اسمع بأذني فنكت رسول الله بعود معه، فقال: سل.

■ فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟.

■ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر.

■ قال: فمن أول الناس إجازة؟ ،قال: فقراء المهاجرين.

■ قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنَّة.

■ قال رسول الله ﷺ: زيادة كبد النون.

■ قال اليهودي: فما غذاؤهم على إثرها؟.

■ قال رسول الله ﷺ: يُنحر لهم ثور الجنَّة الذي يأكل من أطرافها.

■ قال اليهودي: فما شرابهم عليه؟قال رسول الله ﷺ :من عين تسمى سلسبيلاً.

■ قال اليهودي :صدقت، وجئتك أسالك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبيٌ أو رجلٌ أو رجلان.

■ قال رسول الله ﷺ: وينفعك إن حدثتك ؟ ، قال اليهودي: اسمع بأذني ثم قال: جئت أسألك عن الولد؟.

■ قال رسول الله ﷺ : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل منّي المرأة أذكرا ، وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله.

■ قال اليهودي: لقد صدقت ، وإنك لنبي ، ثم انصرف فذهب » [١] .

(١) خرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (صفة مني الرجل والمرأة) ، برقم٣١٥ .

فصل في

ذكر الميثاق الذي أخذه الله على النبيين
إن بعث الله نبينا محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنُن به ولينصرُنه

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) ﴾ [المائدة : ٨١-٨٢] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: [١]

« فالرسول محمد خاتم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين - وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقَّدم على الأنبياء كلهم،ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب - جل جلاله - لفصل القضاء ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به - صلوات الله وسلامه عليه - . اهـ.

عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأه فغضب النبي ﷺ فقال: « **أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني** » [٢].

---

(١) (٢/ ٥١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٣٨٧) والدارمي في سننه (١ / ١١٥) وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٥ / ٢) وغيرهم وحسنه العلامة الألباني في الإرواء (٦ / ٣٤) برقم ١٥٨٩ .

فصل في

آياته ﷺ ودلائل نبوته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - في الجواب الصحيح: (١)

وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبريَّة والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحدٍ من النبيين قبله فضلاً عن غير النبيين .اهـ.

آيته الكبرى ومعجزته العظمى القرآن الكريم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» (٢) .

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله - في الفتح: (٣)

أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أُنزل عليَّ وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصَّ بها دون غيره . اهـ.

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث من صحيح البخاري:

حصر آيته في القرآن لأنه يبقى،بخلاف آياته الأخرى فلم تبق بنفسها . اهـ.

فهذا القرآن العظيم هو «المعجز المبين وحبل الله المتين الذي هو كما وصفه من أنزله فقال: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤٢] ،

(١) (٦/ ٨٠) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل القرآن،) باب (كيف نزل الوحي) ، برقم ٤٩٨١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس) ، برقم ١٥٢ .
(٣) (/٨/ ٦٢٣) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾[البروج: ٢١-٢٢]، وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فأبان ـ جل جلاله ـ أنه أنزله على وصف مباين لأوصاف كلام البشر، لأنه منظوم وليس بمنثور، ونظمه ليس نظم الرسائل ولا نظم الخطب، ولا هو كأسجاع الكهان»[١].

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾[الإسراء: ٨٨].

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: [٢]

فعم بالخبر كل الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه، الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث إلى اليوم والأمر على ذلك مع ما علم أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق ممكن، تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوا عن قصة يوسف وأهل الكهف وذي القرنين، وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولون فيه، وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس مثله لمجرد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/١٠-١١).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤٢٦ - ٢٤٨).

شبه ما مع ظهور الفرق، فتارة يقولون: مجنون. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: شاعر. إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحدَّاهم بالمعارضة مرَّة بعد مرَّة وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره » اهـ.

وجوه إعجاز القــرآن :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (١)

« وكون القرآن معجز ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة:

❁ من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك.

❁ ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيَّن فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)** ﴾ [الزمر :٢٨].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له . اهـ.

---

(١) الجواب الصحيح (٥ / ٤٢٨ – ٤٢٩).

ثم قال -رحمه الله-: (١)

فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه،وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه اهـ.

معجزة القرآن أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص:

قال الإمام البيهقي -رحمه الله- في دلائل النبوة: (٢)

وفيما حكى أبو سليمان الخطابي عن بعض أهل العلم أن الذي أورده المصطفى ﷺ على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص،لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان المتقدمين في الألسن بكلام مفهوم المعنى عندهم ، فكان عجزهم أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى،لأنهم لم يكونوا يطيقون فيه ، ولا في إبراء الأكمه والأبرص، ولا يتعاطون علمه ، وقريشٌ كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدلَّ أن العجز عنه إنما كان لأن يصير عَلَماً على رسالته وصحَّة نبوته ، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح اهـ.

فقد أعلم الله نبيه ﷺ أن أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي جاء به؛ فقال سبحانه: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)** ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ثم أمره أن يتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله إن ادعوا أنهم يقدرون عليه أو يظنوه فقال: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)** ﴾ [هود : ١٣] .

ثم نقصها تسعاً فقال: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] .

---

(١) المصدر السابق (٥ / ٤٣٤).
(٢) (١/١٦-١٧).

فكان من الأمر ما يصفه غير أن من قبل ذلك دلالة ،وهي أن النبي ﷺ كان غير مدفوع عند الموافق والمخالف عن الحصافة والمتانة وقوة العقل والرأي.

ومن كان بهذه المنزلة وكان مع ذلك قد انتصب لدعوة الناس إلى دينه لم يجز بوجه من الوجوه أن يقول للناس: إئتوا بسورة من مثل ما جئتكم به من القرآن ولن تستطيعوه ، فإن أتيتم به فأنا كاذب ، وهو يعلم أن القرآن منزل عليه ولا يأمن أن يكون في قومه مَنْ يعارضه ، وأن ذلك كان يبطل دعوته.

فهذا دليل قاطع على أنه لم يقل للعرب إئتوا بمثله إن استطعتموه ولن تستطيعوه إلا وهو واثق متحقق أنهم لا يستطيعونه ، ولا يجوز أن يكون هذا اليقين وقع له إلا من قبل ربه الذي أوحى إليه به فوثق بخبره.

ثم إنه ﷺ قال لهم: إئتوني بسورة مثله إن كنتم صادقين،فطالت المهلة والنظرة لهم في ذلك،وتواترت الوقائع والحروب بينه وبينهم،فقُتلت صناديدُهم،وسُبيت ذراريهم ونساؤهم،وانتُهبت أموالهم،ولم يتعرض أحدٌ لمعارضته،فلو قدروا عليها لافتدوا بها أنفسهم وأولادهم وأهاليهم وأموالهم،ولكان الأمر في ذلك قريباً سهلاً عليهم إذ كانوا أهل لسان وفصاحة وشعر وخطابة،فلمَّا لم يأتوا بذلك ولا ادّعوه صحَّ أنهم كانوا عاجزين عنه ، وفي ظهور عجزهم بيانٌ أنه في العجز مثلهم، إذ كان بشراً مثلهم، لسانه لسانهم ،وعاداته عاداتهم،وطباعه طباعهم، وزمانه زمانهم، فإذا كان كذلك وقد جاء بالقرآن وجب القطع بأنه من عند الله » [١] .

وللإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ كلام حسن على وجوه إعجاز القرآن أنقله لأهمية المقام، قال - رحمه الله -: [٢]

لَمَّا غلب السحر في زمن موسى ﷺ جاءهم بجنسه في معجزاته ، ففلق البحر، وألقى العصا تلقف ما يأفكون، فبطل ما هنالك وانقلبوا صاغرين.

ولما غلب الطب في زمن عيسى ﷺ جاءهم بجنسه،فأحيا الموتى،وأبرأ الأكمه

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١-١٢) .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ (٢٦٧ - ٢٧١) باختصار وتصرف .

بإذن الله ، ولمّا غلبت الفصاحة وقول الشعر والنظم والنثر في زمن نبينا ﷺ جاءهم بالقرآن العظيم.

وهو مُعجز من أوجه:

أحدها: ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة، فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز فلا يخلُّ بمقصود الأولى.

والثاني: مفارقته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار.

وبهذين المعنيين تحدَّث العرب فعجزوا وتحيروا وأقروا بفضله ،حتى قال الوليد بن المغيرة ـ وهو من صناديد كفار قريش ـ « والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة » .

وكان النضر بن الحارث بن كلده يقول: يا معشر قريش لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون.

فلما تحيروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا نودي عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)** ﴾ ثم قال تعالى :﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾[البقرة :٢٣–٢٤] .

ومعلوم أن النفوس الأبيَّة إذا قُرِّعت بمثل هذا استفرغت الوسع.

فلما عدلوا إلى المحاربة والقتال ورضوا بسبي الذراري وأخذ الأموال عُلِمَ عجزهم، وهم معدن البلاغة والفصاحة والقرآن من جنس كلامهم ،ولمّا أقدم بعض الكفار على معارضة بعض سور القرآن فعارض سورة الفيل بما تضحك منه الثكالى، فقال :الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل، وإنَّ ذلك من خلق ربنا لقليل.

وقال أيضاً : يا ضفدع تأنيث ضفدعين ، نقي كم تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين.

وقال : ومن العجاب شاة سوداء تحلب لبناً أبيض.

فظهرت فضائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا لكان أصلح لهم.

الثالث : في معجزة القرآن :

ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب مع كون الآتي بها أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، ولا علم بمجالس الأحبار ولا الكهان ، ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار لم يدرك ما أخبر به القرآن .

الرابع: إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً لوقوعها على ما أخبر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) ﴾ [البقرة: ٩٤]. ثم قال: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) ﴾ [البقرة:٩٥]. ولم يفعلوا ذلك.

وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾ [آل عمران : ١٢] ، وغُلبُوا.

وقال تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه ﷺ : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٧] ، ودخلوا.

وقال تعالى لأبي لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) ﴾ [المسد :٣-٤] ، وهذا في حياتهما وهو دليل على أنهما سيموتان على الكفر ، وكذلك ماتا على الكفر.

الخامس: أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر:٩] اهـ.

قلت: ومن تلكم الغيوب التي أخبر بها القرآن الكريم ما دل عليه من الآيات الباهرات في الأنفس والحيوان والنبات والبحار والكون المحيط بنا مما لم يكن يحيط به علم البشر في عهد النبي ﷺ من تلقاء أنفسهم، ثم يأتي الناس من بعد قرون عديدة وجهود مضنية وأبحاث كثيرة ليكتشفوا شيئاً من أسرارها وقد سبقهم القرآن بقرون متطاولة وكان يتلوه على الناس نبي أمي لم يدرس شيئاً من علوم الفضاء

والبحار والطب البشري وغيرها، ليثبت للعالم أنه رسول رب العالمين الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وأن هذا القرآن الذي جاء به كلام الله ومنزل من عند الله ﴿ **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٦] .

فانظر مثال ذلك في الأنفس في قوله تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴿١٣﴾ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح :١٣-١٤] ،ثم انظر تفسير هذه الأطوار في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴿١٢﴾ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** ﴿١٣﴾ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] .

وانظر مثاله في الحيوان في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ** ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل : ٦٦] .

وتأمل مثاله في البحار في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور : ٤٠] .

وتأمل مثاله في الكون في قوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، وقوله تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** ﴿٣٧﴾ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴿٣٨﴾ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴿٣٩﴾ **لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴿٤٠﴾ ﴾

[يس : ٣٧-٤٠] .

ألا يكفي هذا طلاب الحقيقة الباحثين عن الحق ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،ويعلموا أن هذا القرآن من عند الله ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** ﴿٣﴾ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴿٤﴾ ﴾ [النجم :٣-٤] ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا**

عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [العنكبوت: ٥١] وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾ [فصلت: ٥٣]. بلى يكفي.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾. [الأنعام: ١٢٥].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [ص: ٨٧-٨٨].

انشقاق القمر في زمنه ﷺ تأييداً له:

فقد جعل الله ذلك آية على صدق رسوله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) ﴾. [القمر: ١-٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: [1]

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. اهـ.

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقين على هذا الجبل وهذا الجبل، فقالوا سحرنا محمد؛ فقال بعضهم لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم» [2].

---

(١) السيرة النبوية (٢ / ١١٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٨١) والترمذي في سُننه كتاب (تفسير القرآن) باب (سورة القمر)، برقم٣٢٨٩، والطبراني في الكبير برقم (٣٢٨٩) والبيهقي في الدلائل (٢ / ٢٦٨) وغيرهم، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح سُنن الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقين فقال كفار قريش: هذا سحرٌ سحركم به ابن أبي كبشة - يعنون رسول الله ﷺ - انظروا السفَّار - أي المسافرين - فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحرٌ سحركم به ، فسئل السُفَّار وقد قدموا من كل جهة فقالوا رأينا » [١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرق فوق جبل وفرق دونه فقال رسول الله ﷺ : «**اشهدوا**» [٢] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: « سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر » [٣] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ :« **اللهم اشهد** »[٤] .

مسألة:

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: [٥]

قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض، ويقال: إنه أُرِّخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبُنيَ تلك الليلة وأرِّخ بليلة انشقاق القمر اهـ.

مسألة أخرى:

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: [٦]

والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن وإشارته، فصار فرقين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه ، كما أخبر بذلك ابن مسعود رضي الله عنه أنه شاهد ذلك. ا هـ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢ / ٢٦٦) وغيره .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (انشقاق القمر) برقم ٤٨٦٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر) ، برقم ٣٦٣٧ ، ومسلم في كتاب (صفة القيامة) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب (صفة القيامة) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٠ .

(٥) السيرة النبوية (٢ / ١١٧).

(٦) السيرة النبوية (٢ / ١٢١).

فائدة: قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: [١]

ما يذكره بعض القُصَّاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . اهـ.

هذا وقد اكتشف علماء الفلك في الوقت الحاضر بعد مرور القرون العديدة على انشقاق القمر أن القمر قد انشق فعلاً يوماً،وأن هناك علامات واضحة على جرم القمر.

كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

«**وهذا فيه آية لنبوته من وجوه:**

منها: أن ذلك تصديق لقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦] . فهذا إخبار من الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين.

وأخبره أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾.
[البقرة : ١٣٦-١٣٧] .

فأخبر الله أنه يكفيه هؤلاء المُشاقِّين من أهل الكتاب،وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة : ٦٧] .

فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس.

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة.

(١) السيرة النبوية (٢ / ١٢٠).

❁ **منها:** أنه نصره مع كثرة أعداءه وقوتهم وغلبتهم ،وأنه كان وحده جاهراً بمعاداتهم وسب آبائهم ،وشتم آلهتهم ، وتسفيه أحلامهم ،والطعن في دينهم ، وهذا من الأمور الخارقة للعادة.

والمستهزءون كانوا من أعظم سادة قريش وعظماء العرب ، وكان أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم ، يعظمهم جميع الأمم ، أمَّا العرب فكانوا يدينون لهم ، وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظمونهم ، لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ،كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر.

وهؤلاء بنو إسرائيل بن خليل الله ،وهؤلاء بنو إسحاق بن خليل الله ، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيره.

فكان أهل مكة معظمين ،لأنهم جيران البيت ، ولأنهم أشرف بني إسماعيل ، فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفى محمداً من بني هاشم.

وكان قد عاداه أشراف هؤلاء كما عادى المسيح عليه السلام أشراف بني إسرائيل ، وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار.

وكفى الله رسوله المسيح عليه السلام من عاداه منهم ، ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم ، وكذلك كفى الله محمداً ﷺ من عاداه ، وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم ، فإن الله إنما يثيب بالدين والتقوى لا بالبلد والنسب.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) ﴾ [الأنعام : ٦٧] .

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) ﴾ [محمد: ١٣] .

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١١٢) ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣] .

وقد سمَّى أهلُ العلم بعضَ من كفاه الله إياه من المستهزئين ، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة ﷺ بالرياسة والعظمة بالدنيا، فذكروهم ليُعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟قيل :نعم .فقال :واللات والعزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال:فأتى رسول الله ﷺوهو يصلي زعم ليطأ رقبته،قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له :مالك؟ ، قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهؤلاء وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ :«**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**» ،وأنزل الله تعالى :﴿ **أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩)** ﴾ [العلق: ٩-١٩].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حديث هجرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة قال فيها :« واتبعنا سراقة بن مالك بن جعشم ونحن في جددٍ من الأرض فقلت يا رسول الله أُتينا فقال: لا تحزن إن الله معنا فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال: إني قد علمت أنكما دعوتما عليَّ فادعوا لي والله لكما أن أردَّ عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتم ما هاهنا فلا يلقى أحداً إلا ردَّه» .

وفي الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة نفسه قال:

« جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحدٍ منهما لمن قتله أو أسره .

فبينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج إذا أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه.

فقلت: ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. ثم لبثت ساعة،ثم قمت فدخلت بيتي،فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتجسها عليَّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجِّه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها،فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم،وعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها فخرج الذي أكره،فركبت وعصيت الأزلام فقربت بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات،ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين،فخررت عنها فنهضت،فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان،فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم،ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ .....» وذكر تمام الحديث .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال:

غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي والسيف صلتاً في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ ، قلت: الله. فشام السيف ـ أي رده في غمده ـ فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه فقال: لا أكون في قوم هم حرب لك».

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم تنصَّر فكان يقول:ما يدري محمد إلا ما كتبت له.

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اجعله آية ، فأماته الله فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: مثل الأول. فحفروا له واعمقوا ، فلفظته الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذاً » .

وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من حديث ابن إسحاق قال: حدثني يحي بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ .

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفَّه أحلامنا ،وشتم آباءنا ، وعاب ديننا،وفرَّق جماعاتنا،وسبَّ آلهتنا،لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم أو كما قالوا.

فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى. فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمدٍ بيده لقد جئتكم بالذبح.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً.

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحِجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه.

فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد فأحاطوا به يقولون له :أنت الذي تقول:كذا وكذا،لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم.

قال: فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذي أقول ذلك.

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه» .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟. فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه.

قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما رفع رأسه حتى انطلق إنسان إلى فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته ثم أقبلت عليهم تسبُّهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبه، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع فلم أحفظه. فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمَّى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر» .

ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبُّه ويذم دينه بأنواع من العقوبات، وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره، وما من طائفة من الناس إلا عندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب.

ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام، إذا حاصروا حصون أهل الكتاب أنه يتعسَّر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلى أن يَسبَّ العدو الرسولَ ﷺ، فحينئذٍ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك

قريباً كما قد جرَّبه المسلمون غير مرَّة تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ٣] . ولما مزَّق كسرى كتابه ﷺ مزَّق الله ملك الأكاسرة كل ممزَّق ، ولَمَّا أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي ملكهم اهـ [١] .

قلت: ومن أعجب ما ذكرته كتب التواريخ في هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله -: [٢]

أن بعض أمراء المغول تنصَّر فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول، فجعل واحد منهم يتنقَّص النبي ﷺ، وهناك كلب صيد مربوط ، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلَّصوه منه.

وقال بعض من حضر هذا بكلامك بمحمد ﷺ فقال: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه ، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال فوثب هذا الكلب مرَّة أخرى فقبض على زردمته[٣] فقلعها فمات من حينها فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول اهـ. ترجمة علي بن مرزوق الربعي السلامي.

تكثير الطعام القليل ببركة دعائه ﷺ وبصاقه فيه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما حُفِرَ الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً - يعني جوعاً شديداً - فانكفيت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه.

فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً - أي صنيعاً - فحيَّ هلاً

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦ / ٢٧٣ - ٢٩٦) باختصار.

(٢) في الدرر الكامنة (٣ / ١٢٨) .

(٣) الزردمة من الإنسان تحت الحلقوم واللسان مركب فيها. لسان العرب (٦ / ٣٤).

بكم فقال رسول الله ﷺ : لا تُنزلنَّ برمتكم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت : بك و بك . فقلت : قد فعلت الذي قلتِ .

فأخرجت له عجيناً فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال :ادع خابزة فلتخبز معي،واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها،وهم ألف،فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطُّ كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو » [١] .

وفي لفظ آخر قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه **:** إنَّا يوم الخندق نحفر فتعرضت لنا كيدة شديدة[٢] فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كديةٌ عَرضت في الخندق فقال ﷺ : أنا نازل،ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل أو أهيم [٣] .

فقلت : يا رسول الله إئذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ ، فقالت : عندي شعير وعناق [٤] .

فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي [٥] قد كادت أن تنضج فقلت : طُعيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان .

قال : كم هو؟ ، فذكرت له فقال : كثير طيب، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال : قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .

قالت : هل سألك؟ ، قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويُخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه رضي الله عنهم ثم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١٠٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه) ، برقم ٢٠٣٩ .

(٢) هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض قاله الحافظ في الفتح (٧ / ٤٥٧) .

(٣) أي : صار رملاً يسيل ولا يتماسك . قاله الحافظ .

(٤) هي الأنثى من المعز .

(٥) أي الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة . قاله الحافظ .

ينزع ، البرمة فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقيَّة . قال : كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » [١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء؟ ، قالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدي لا تثني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ .

قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة؟، فقلت : نعم، قال : بطعام؟،قلت : نعم .

فقال رسول الله ﷺ : لمن معه قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت : الله ورسوله أعلم .

فانطلق أبو طلحة رضي الله عنه حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله وأبو طلحة معه .

فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّة فأدمته ، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلُّهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً » [٢] .

تكثير الثمار ببركته ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه استُشْهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ديناً ، فلما حضر جذاذ النخل أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد علمت أن والدي استُشْهِد يوم أُحد وترك ديناً كثيراً وإني أحب أن يراك الغرماء .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) برقم ٤١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) برقم ٣٥٧٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه) ، برقم ٢٠٤٠ .

قال: اذهب فبيدر كل تمر على ناحية، ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أُغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال: ادع أصحابك، فما زال يكيل لهم حتى أدّى الله أمانة والدي وأنا والله راضٍ أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي تمرةً، فسلم والله البيادر كلها حتى إني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة»(١).

وفي رواية أخرى قال جابر رضي الله عنه: إن أباه توفِّيَ وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود فاستنظره جابر رضي الله عنه فأبى أن ينظره.

فكلَّم جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ليشفع له إليه فجاء رسول الله ﷺ فكلَّم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى فدخل رسول الله ﷺ فمشى فيها ثم قال لجابر رضي الله عنه: جُدَّ له فأوف له الذي له. فجَدَّه جابر رضي الله عنه بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقاً وفضلت له سبعة عشر وسقاً.

فجاء جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبرته بالفضل فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر رضي الله عنهما فأخبره فقال له عمر رضي الله عنه: لقد علمت حين مشى رسول الله ﷺ لَيُبارَكَنَّ فيها»(٢).

تكثير الماء القليل وثورانه بين أصابعه ﷺ:

عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة(٣) فتوضأ فجهش(٤) الناس نحوه فقال: ما لكم؟، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا.

قلت: كم كنتم؟، قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوصايا) باب (قضاء الوصي ديون الميت)، برقم ٢٧٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستقراض) باب (إذا قاصَّ أو جازمه في الدين تمراً بتمر أو غيره)، برقم ٢٣٨٦.

(٣) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. قاله ابن الأثير في النهاية (٢ / ٢٦١).

(٤) أي أسرعوا لأخذ الماء.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة بالإسلام)، برقم ٣٥٧٦.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير فأدلجوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصباح عرَّسوا،فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس رضي الله عنه فكان أول من استيقظ أبو بكر رضي الله عنه وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ فاستيقظ عمر رضي الله عنه فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبِّر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم ولم يصل معنا فلما انصرف قال: يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا؟ قال: أصابتي جنابة فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلَّى.

وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسير إذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء؟، فقالت :إنه لا ماء.

فقلنا: كم بين أهلك والماء؟، قالت: يوم وليلة.

فقلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ . قالت: وما رسول الله؟. فلم نكلمها حتى استقبلنا بها النبي ﷺ فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها مؤتَمَةٌ فأمر بمزادتيها فمسح في العزلاوين فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا ، فملأنا كل قربة معنا وأداة غير أنا لم نسق بعيراً ، وهي تكاد تَنُضُّ من المَلْئ ثم قال: هاتوا ما عندكم فجمع لها من الكِسَر والتمر حتى أتت أهلها قالت: لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا ، فهدى الله ذلك الصِّرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا» [١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقلَّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده ﷺ في الإناء ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ ، ولقد كنَّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» [٢] .

شهادة السباع له ﷺ بالرسالة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

بينما راعٍ يرعى بالحرَّة إذ عرض ذئبٌ لشاةٍ فحال الراعي بين الذئب والشاة فأقعى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامة النبوة في الإسلام) ، برقم ٣٥٧١ .

(٢) المصدر السابق برقم ٣٥٧٩ .

الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقي الله؟، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟، فقال الراعي: العجب من ذئب مُقعٍ على ذنبه يتكلّم بكلام الإنس! ، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب منّي؟ رسول الله ﷺ بين الحرتين يُحدِّث الناس بأنباء ما قد سبق.

فساق الأعرابي شاءَهُ حتى أتى المدينة فزواها إلى زاوية ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدَّثه بحديث الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم. قال: فأخبر الناس بما قال الذئب. فقال الرسول ﷺ : صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة: كلام السباع الإنسَ ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلِّم السباعُ الإنسَ ، ويُكلم الرجلَ شراكُ نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» [(١)] .

أدب الحيوان معه ﷺ وتعظيمه له:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليه فمنعهم ظهره وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ظهره ،وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: قوموا ، فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب وإنا نخاف عليك صولته فقال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر، أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقّه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته،ما أدَّت حقه » [(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٨٣-٨٤) ، وعبد بن حميد في مسنده (٢ / ٦٣ برقم ٨٧٥) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٤٦٧-٤٦٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٤١-٤٢) ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ١٥٨) ، والضياء في المختارة (١٨٩٥)، والبزار (٢٤٥٤) ، وجوَّد إسناده ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية (٦ / ١٥٥) .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه، وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّز كان أحب ما تبرَّز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له، فلمَّا رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه [١] وسراته[٢] فسكن فقال: من رب هذا الجمل؟، فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا. فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكاك إليَّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه.

ثم ذهب رسول الله ﷺ في الحائط فقضى حاجته، ثم توضأ، ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره، فأسر إليَّ شيئاً لا أحدث به أحداً، فحرَّجنا عليه أن يحدثنا، فقال: لا أفشي على رسول الله ﷺ سرَّه حتى ألقى الله» [٣].

إخباره ﷺ بأمور غيبية فوقعت كما أخبر:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسُنَّة عامَّةٍ، وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم فيستبح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنَةٍ عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضاً» [٤].

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- في الجواب الصحيح: [٥]

وهذا أخبر به ﷺ في أول الأمر وأصحابه رضي الله عنهم في غاية القلَّة قبل فتح مكة، وكان كما أخبر، فإن ملك أمته انتشر في الشرق والغرب ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب، إذ كانت أمته أعدل الأمم، فانتشرت دعوته

---

(١) ذفْرَى البعير: أصل أذنه. النهاية لابن الأثير (٢ / ١٦١).
(٢) سَراة كل شيء ظهره وأعلاه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٤).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٥٠) وسنده صحيح.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفتن) باب (هلاك هذه الأمة بعضها ببعض)، برقم ٢٨٨٩.
(٥) (٦/٩٩).

في الأقاليم التي هي وسط المعمورة من الأرض . اهـ.

وعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**تفتح الشام ويخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون**[1] ،**والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون ،والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،ثم تفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون ،والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**»[2] .

وقد وقع هذا كما أخبر به النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[3]**:** وفي الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه ،ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء ، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم . ا هـ.

وعن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : حين أجلى الأحزاب عنه : «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم**» [4] ، وكان كما أخبر النبي ﷺ ، فلم يغزه كفار قريش بعدها حتى فُتحت مكة وصارت دار إسلام .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: [5]

وفي الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة ،فإنه ﷺ اعتمر في السَنة المقبلة فصدَّته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها،فكان ذلك سبب فتح مكة . اهـ.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه **قال:** كنا مع رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ،ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل؛فقال ﷺ : «**يا عدي : هل رأيت الحيرة ؟** ، قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : **فإن طالت بك حياة لترينَّ الظعينة** [6]

---

(١) قال الإمام النووي -رحمه الله -: معناه الإخبار عمن يخرج من المدينة متحملاً بأهله باساً في سيره مسرعاً إلى الرخاء والأمصار المفتتحة اهـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل المدينة) باب (من رغب عن المدينة) ، برقم ١٨٧٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار) ، برقم (١٣٨٨) .

(٣) (١١٠/٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١١٠ .

(٥) (٤٦٨/٧) .

(٦) المرأة في الهودج.

ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دعَّارُ [١] طي الذي قد سعروا البلاد؟ . **ولئن طالت بك حياة لتُفْتَحنَّ كنوزُ كسرى**. قلت : كسرى بن هرمز؟، **قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لتَرَينَّ الرجل يُخرِج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد .**

قال عدي رضي الله عنه**:** فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترَوُنَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ ، يخرج ملء كفه » [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:**

دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها في مرضه الذي مات فيه فسارَّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت فسألناه عن ذلك فقالت : «**سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارَّني فأخبرني أنّي أول من يتبعه من أهله فضحكت**» [٣] .

وقد مات النبي ﷺ في مرضه ذاك،وكان أول من مات بعده من أهله فاطمة رضي الله عنها .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: [٤]

وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ﷺ فإنهم اتفقوا على أن فاطمة -عليها السلام- كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه . اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**» [٥]

---

(١) الدعار : جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد ، قاله الحافظ في الفتح (٦ / ٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة بالإسلام) ، برقم ٣٥٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ ووفاته) ، برقم ٤٤٣٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ) ، برقم ٢٤٥٠ .

(٤) (٧/٧٤٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (خروج النار برقم)،٧١١٨ ومسلم في صحيحه كتاب(الفتن) باب (لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز) ، برقم ٢٩٠٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: [١]

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى تحرق الحجر ولا تنضج اللحم اهـ.

وعن سلمة كهيل قال حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذي كان مع عليّ رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رضي الله عنه : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلا تهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة** » .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلّوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض ، والله إني لأرجوا أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله.

قال زيد بن وهب: فقتل بعضهم على بعض فما أصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان.

فقال عليّ رضي الله عنه : التمسوا فيهم المخدَّج [٢] ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام عليّ رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض ، قال: أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبَّر ثم قال: صدق الله وبلَّغ رسوله. فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين: آلله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ ، فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف له» [٣] .

وعن جابر عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : قد تُوفي اليوم رجلٌ صالحٌ من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦ / ٨٩).
(٢) هو ناقص اليد، قاله النووي -رحمه الله- في شرح مسلم (٧ / ١٤٠).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (تحرض على قتل الخوارج) ، برقم ١٠٦٦ .

الحبشة فهلُمَّ فصلُّوا عليه ، قال : فصففنا فصلى النبي ﷺ ونحن صفوف »[١] .

وفي هذا الحديث آية ظاهرة على نبوة نبينا محمد ﷺ ، فالنجاشي مات بالحبشة والنبي ﷺ أطلعه الله على ذلك في اليوم نفسه وهو في المدينة فأخبر أصحابه ﷺ بذلك وصلوا عليه صلاة الغائب .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه **قال:** سمعت النبي ﷺ على المنبر ، والحسن إلى جنبه ، ينظر إلى الناس مرَّة وإليه مرَّة ويقول : « **ابني هذا سيدٌ ، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين من المسلمين** »[٢] .

وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ ، فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الملك لمعاوية لا لقلَّة ولا لذلَّة ولا لعلَّة ، بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة ، فاجتمعت كلمة المسلمين بتنازله بعد التفرق حتى سُمِّي ذلك العام بعام الجماعة .

ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصر، حتى أفردها علماء المسلمين بالمصنفات الكبيرة والكثيرة،وإنما ذكرت هنا ما يناسب حجم هذا الكتاب،والله الموفق للصواب .

الإعجاز العلمي في السُنّة المطهرة:

لقد مرّ بالناس أزمنةً غلو في العقل حتى ألَّهه بعضهم من دون الله،وقدمه آخرون على شريعة خالقه ومبدعه - سبحانه وتعالى - ومع التقدم العلمي الكبير في وقتنا الحاضر ، وما حصل من اكتشافات واختراعات، غلا أناسٌ في هذا الباب ونسوا أو تناسوا أن ما في الكون من عجائب وأسرار فإن الله هو خالقها وموجدها، وأن الله - سبحانه - هو الذي علّم أبا البشر آدم أسماء كل شيء،كما قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة: ٣١] ، وهو سبحانه الذي عَلّم الإنسان ما لم يعلم،كما قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** ﴾ [النساء:١١٣] .

وقال تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (الصفوف على الجائزة) ، برقم ١٣٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب الحسن والحسين) ، برقم ٣٧٤٦ .

الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق : ٥] .

وقد أخبر الله ـ سبحانه ـ أن العلم الذي آتاه عباده قليل ، مهما تقدموا علمياً .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وليعلم الذين يفاخرون بما توصلوا إليه من الاكتشافات العلمية في العصر الحديث بعد أبحاث مضنية وأوقات طويلة وجهود كبيرة بذلت فيها الأموال الطائلة في مجال الطب والطبيعة وغيرها أن الله هو الذي علمهم وهداهم ،وأن كثيراً من الأشياء الصحيحة التي توصلوا إليها مؤخراً قد أخبر الله بها نبيه ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ،وهو رجل أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى فجميع تلك الاكتشافات الحديثة الصحيحة من دلائل نبوته وبراهين رسالته وعظمة من أرسله سبحانه وتعالى،وسأكتفي ببعض الأمثلة خشية الإطالة :

[١] ما يسمى الآن بالحَجْر الصحّي :

الذي يعتبر من أهم الوسائل المقاومة لانتشار الأمراض الوبائية حيث يمنع حامل المرض من الخروج من بلده ويمنع السليم من الذهاب إلى تلك البلاد .

وقد أخبر بمقتضى هذا صراحةً نبيُنا محمدٌ ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان وإليك بعض النصوص في ذلك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :« **لا توردوا الممرض على المُصِحْ** »[١] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها** » [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام؛قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء وقع بأرض الشام ، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب (الطب) باب (لا عدوى) ، برقم ٥٧٧٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب (الطب) باب (ما يذكر في الطاعون) ، برقم ٥٧٢٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (الطاعون والطيرة) ، برقم ٢٢١٨ .

معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعُ لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى عمر في الناس إني مُصَبِّحٌ على ظهر فأصبحوا عليه.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ .

فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة !! نعم، نفرّ من قدر الله، إلى قدر الله أريت إن كان لك إبل هبطت وادياً له عَدْوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيتها بالجدبة رعيتها بقدر الله؟.

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف: وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحمد الله عمر ثم انصرف»[١].

قال الدكتور محمد علي البار بعد أن ذكر أحاديث الطاعون: [٢]

إن الحَجْر الصحي يعتبر من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية، ويظهر بجلاء مما تقدم أنَّ الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت مبادئ الحجر الصحي كأوضح ما يكون التحديد، فهي تمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون، كما أنها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها.

ومفهوم الحَجْر الصحِّي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولا تزال تتعثر في تنفيذه إلى اليوم.

ومنع السليم من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون مفهوماً بدون الحاجة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (ما يذكر في الطاعون)، برقم ٥٧٢٩، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (الطاعون والطيرة)، برقم ٢٢١٩.

(٢) العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ ص (١٠٠-١٠٠٣).

معرفة دقيقة بالطب ،ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج وخاصة منع الأصحاء منهم يبدوا عسيراً على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبيَّة الحديثة، فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفر منها إلى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء.

هكذا يقول العقل والمنطق: لماذا تبقى في بلاد الوباء وتنتظر حتى يأتيك الوباء والموت؟.

والفرار من الوباء والهلاك تفرضه غريزة حب البقاء كما يفرضه المنطق والعقل.

وقد يقول لك قائل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، والبقاء في أرض الوباء تهلكة ، وأي تهلكة؟! .

ولكن الطب الحديث يقول لك إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للميكروب ، وكثيرٌ من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضاً ، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدوا عليه أي أثر من آثار المرض.

فالحمَّى الشوكية وحمى التيفود والزحار الأميبي والباسيلي والسل بل حتى الكوليرا والطاعون قد تصيب أشخاصاً عديدين دون أن يبدوا على أي منهم علامات المرض ، بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم،ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء. وهناك أيضاً فترة الحضانة وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب وتكاثره حتى يبلغ أشده، ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذا أنه يعاني من أي مرض ،ولكن بعد فترة قد تطول وقد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه...... .

والشخص السليم الحامل للميكروب أو الشخص المريض الذي لا يزال في فترات الحضانة يعرِّض الآخرين للخطر دون أن يشعر هو أو يشعر الآخرون.

ولذا جاء منع الرسول ﷺ أهل البلدة المصابة بالوباء أن ينتقلوا منها تشريعاً رائعاً

ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان .

فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة قد يكون حاملاً للميكروبات كما قد يكون في فترة الحضانة ، فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء فيعدي غيره ، وينقل بذلك المرض إلى آلاف بل إلى ملايين البشر . اهـ .

[٢] معجزة وصف الجنين بعد الليلة الثانية والأربعين :

« كان علماء الأجنة إذا حسبوا عمر الجنين قبل اكتشاف بيضة المرأة يقعون في خطأ يتراوح ما بين زائد أو ناقص يوماً ، ولم يتمكنوا من تحديد عمر الجنين في مراحله المختلفة إلا في القرن العشرين .

وكان علماء الأجنة يعجزون عن تتبع التطورات التي تحدث على جسم الجنين البشري، وزمن حدوثها إلى بعد الأربعينيات من القرن العشرين ، وبخاصة بعد أن تمكنوا من النظر إلى داخل أجزاء الجنين ، وذلك بما تيسر لهم من آلات للتصوير والتكبير ، ووسائل الكشف عن المواد المختلفة .

لكن الله الذي يعلم ما في الأرحام ويعلم السر في السماوات والأرض أخبر رسوله ﷺ النبي الأمِّي في الأمة الأمية قبل ألف وأربعمائة عام بالليلة المحددة التي يبدأ بعدها الجنين البشري في أخذ صورته الآدمية والتي يأخذ بعدها في تشكيل وتكوين أعضائه الآدمية المعروفة لنا، وحجم الجنين لا يزيد في تلك الليلة على ١١ مم »[١] .

دليل ذلك حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء . ويكتب الملك ، ثم يقول يا رب رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص» [٢] .

---

(١) بيانات الرسول ﷺ ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ١٧١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (القدر) باب (كيفية خلق الآدمي في بطن أمه) ، برقم ٢٦٤٥ .

وقد جاء التقدم العلمي مصدِّقاً لما أخبر به الرسول ﷺ بعد مرور أربعة عشر قرناً من الزمان ، فدلنا ذلك على أن العلم الذي حمله لنا الحديث الشريف لا يمكن أن يكون من مصدر بشري،وأنه لابد أن يكون من عند الله المحيط علماً بكل شيء ، لأن البشرية لم تقف على هذه الحقائق إلا في القرون الثلاثة الأخيرة الثامن عشر والتاسع عشر والقرن العشرين،وبهذا التطابق بين ما أخبر به النبي ﷺ من دقائق علم الأجنة وبين ما كشفه العلم الحديث من حقائق يتضح برهان من براهين صدق الرسول ﷺ .

إنه برهان العلم الإلهي الذي تلقاه النبي الأمي ما نفرد بالأخبار به من بين جميع البشر ، فجاء تقدم العلم بعصرنا مصدقاً لكل ما قاله الرسول ﷺ » (١) .

[٣] معجزة الإخبار بعدد المفاصل في جسم الإنسان :

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ : « إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبَّر الله وحمد الله وهلَّل الله وسبح الله واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى ، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار» (٢)

قال الإمام النووي -رحمه الله -:

سلامى : أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله . اهـ.

لقد اخبر بهذا نبينا ﷺ في زمن يتعذر على أي أحد الإخبار بمثل هذا إلا بوحي من الخلاق العليم ـ سبحانه وتعالى ـ ، وقد توصل العلم الحديث بعد قرون عديدة وأبحاث مضنية إلى هذه الحقيقة ، وهي أن في جسم الإنسان ثلاث مئة وستين مفصلاً ، فصدق الله وصدق رسوله ﷺ .

---

(١) بيانات الرسول ﷺ ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ١٧٩ – ١٨٠ ، باختصار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف) برقم١٠٠٧ .

[٤] معجزة إخباره ﷺ عن عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ظلال الطريق**» (١) .

وعنه رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وانهاراً**» (٢)

العود في الأصل هو رجوع الأمر إلى شيء سبق أن كان عليه ، وهذا يدل على أن أرض العرب كانت سابقاً مروجاً وأنهاراً .

والمروج : الرياض والمزارع ، وقد أثبتت دراسات عديدة أنها كانت كذلك وقد أخبر النبي ﷺ أنها ستعود فيما بعد كذلك «وقد نشرت هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسُّنَّة برابطة العالم الإسلامي لقاءاً بين الشيخ عبد المجيد الزنداني والبروفيسور ألفريدكروز الذي يقول عنه الزنداني إنه من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا .

قال الشيخ الزنداني : لقد سألناه : هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهار؟ .

فأجاب : نعم .

فقلنا : متى كان هذا؟ .

قال : في العصر الجليدي الذي مر بالأرض، إن الجليد يتراكم في القطب المتجمِّد الشمالي ثم يزحف نحو الجنوب فإذا اقترب من جزيرة العرب قرباً نسبياً تغير الطقس وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم بساتين وأنهار .

قلنا له : وهل ستعود بلاد العرب بساتين وانهار؟ .

قال : نعم . هذه حقيقة علمية .

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (٢ / ٣٧٠-٣٧١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها) برقم ١٠١٠ .

فسألناه : لماذا؟ .

قال :لأن العصر الجليدي قد بدأ،فهذه الثلوج تزحف من القطب المتجمد الشمالي مرَّة ثانية نحو الجنوب وهي في طريقها لتقرب من المناطق القريبة من بلاد العرب .

ثم قال : إن من أدلتنا على ذلك ما تسمعون عنه من العواصف الثلجية التي تضرب في كل شتاء المدن في أوربا وأمريكا ، هذه من أدلة العلماء على ذلك ، ولهم أدلة كثيرة ، إنها حقيقة علمية .

فقلنا له : إن هذا الذي تذكره أنت لم يصل إليه العلماء إلا بعد حشد كبير من الاكتشافات وبعد آلات دقيقة يسرت لهم مثل هذه الدراسات، لكنَّا قد وجدنا هذا مذكوراً على لسان محمد النبي الأمي ﷺ قبل، ثم ذكر له الحديث .

فقلنا له : من قال لمحمدٍ أن بلاد العرب كانت بساتين وانهار؟ .

فأجاب : الرومان .

فقلنا له : ومن أخبره بأنها ستعود مروجاً وأنهاراً؟ .

فقال : إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحي من أعلى » (١)

[٥] معجزة إخباره ﷺ أن في أحد جناحي الذباب داءً وفي الآخر شفاءً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلَّه ثم ليطرحه ، فإن في إحدى جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً**» (٢) .

أخبر بهذا النبي الأُمِّي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد أجريت في العصر الحديث عدة دراسات وأبحاث انتهت إلى صحة ما أخبر به النبي ﷺ، بعد أن تجرَّأ بعض ضعفاء العلم والدين على ردِّ هذا الحديث، والطعن فيه بلا برهان إلا ما زعموه من أنه يخالف عقولهم .

قبحاً لهاتيك العقول فإنها ... عُقَلٌ على أصحابها ووبالُ

---

(١) نقلاً عن كتاب (الإعجاز العلمي في السُّنَّة النبوية (٢/٩٢٥-٩٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (إذا وقع الذباب في الإناء) برقم ٥٧٨٢ .

«ومن تلكم الدراسات العلمية التي شهدت بصحة ما أخبر به النبي ﷺ ما قام به فريق من الباحثين المتخصصين بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية ـ حرسها الله وسائر بلاد المسلمين ـ بحضور بعض أهل العلم الشرعي وقد قاموا بإجراء تجربة دقيقة لإثبات صحة ما دلَّ عليه الحديث.

فقد جعلوا ذباباً يقع في ماءٍ نقي تماماً ثم فحصوا ذلك الماء فوجدوه قد تلوث ولما غمسوا الذباب كله وجدوا أن التلوث قد زال تماماً من الماء» [١]، فسبحان الخلاق العليم الحكيم، وصدق رسوله الكريم ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أو لاهن بالتراب» [٢]

فأخبر النبي ﷺ أنه يُجمع في تطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بين الماء والتراب. وقد أثبت العلم الحديث أن في لعاب الكلب مكروبات ضارة لا يزيلها مع الماء إلا التراب.

قال الشيخ عبد الرحمن البسام -رحمه الله-: [٣]

ثبت طبياً واكتشف بالآلات المكبرة والمجاهر الحديثة أن في لعاب الكلب ميكروبات وأمراضاً فتَّاكة لا يزيلها الماء وحده ما لم يستعمل معه التراب خاصَّة؛ فسبحان العليم الخبير. اهـ.

والسُّنَّة النبوية طافحة بأمثال ما سبق، وفيما ذكر كفاية لمن أراد الله له الهداية.

وبعد هذه الدلائل الواضحة التي انتخبناها بما يناسب حجم هذا الكتاب نستفيد ما يلي:

[١] ثبوت نبوته ﷺ بما لايدع مجالاً للشك، فكل عاقلٍ منصف أراد الله به خيراً وقف عليها لايملك إلا أن يشهد له ﷺ بأنه مرسل من عند الله.

---

(١) انظر: كتاب (الإعجاز العلمي في السنَّة النبوية) (٢/٩٢٥-٩٢٦).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطب) باب (حكم ولوغ الكلب) برقم ٢٧٩.
(٣) توضيح الأحكام (١ / ١٠٨).

[٢] أنه ﷺ صادق فيما جاء به من عند الله.

[٣] علو رتبته ﷺ وعظيم مكانته عند الله ، فقد أعطاه الله من الآيات ما يتناسب مع عموم بعثته وعلو رتبته.

[٤] زيادة الإيمان، فإن مطالعة هذه الدلائل وإمعان النظر فيها يزيد الإيمان ويقويه.

[٥] زيادة المحبة والتعظيم - الشرعي - للنبي ﷺ .

[٦] تجلي عظمة الله وكمال قدرته وبديع حكمته.

فصل في
بيان سموّ مكانته ﷺ وعلوّ رتبته

أولاً: أن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ، لكن صاحبكم خليل الرحمن** » (١) .

والخُلة أعلى درجات المحبَّة .

ثانياً: أن الله تعالى ختم به النبيين :

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره:

هذه الآية نصٌّ في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأوْلى والأخرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أهـ.

قلت: ومن هذه الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » (٢) .

ثالثاً: أن الله بعثه إلى أهل الأرض جميعاً عربهم وعجمهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) ، برقم ٢٣٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (خاتم النبيين ﷺ) ، برقم ٣٥٣٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين) ، برقم ٢٢٨٦ .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (١)

يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] اهـ.

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ [الفرقان : ١] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٦٤] . وهذه الآية كان النبي ﷺ يجعلها في كتاباته إلى ملوك الأرض في زمنه يدعوهم إلى الإسلام.

قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (٢)

هذا خطاب يعمّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ ، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما هاهنا ، ثم وصفها بقوله: ﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي عدل ونَصَفٌ نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسَّرها بقوله : ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع

(١) (٣٥٢/٣) .

(٢) (٤١/٢) .

الرسل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء :٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل :٣٦] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ قال ابن جريج : يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله .

وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم اهـ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي وذكر منهن :وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافَّة**» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» (٢) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: قوله ﷺ : « لا يسمع بي أحد من هذه الأمة » أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته ، وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهاً على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً ، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى ، والله أعلم . اهـ .

رابعاً: أن الله سبحانه وتعالى أرسله ﷺ رحمة للعالمين :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء :١٠٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة باب قول النبي ﷺ «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** ») برقم ٤٣٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب (الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) برقم ٢٤٠ .

قال الحافظ المفسر ابن كثير- رحمه الله - في تفسيره: (١)

يخبر تعالى أنه جعل محمداً رحمة للعالمين،أي أرسله رحمة لهم كلهم،فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة،ومن ردّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة،كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)** ﴾ [إبراهيم : ٢٨-٢٩] .

وقال تعالى في صفة القرآن: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع الله على المشركين. قال: « **إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمة** » . اهـ.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله -: (٢)

وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . **أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:**

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته ﷺ ، أمَّا أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة. وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عَجَّل قتلهم وموتهم فهو خيرٌ لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء ، فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر وأمَّا المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظلّه وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأمَّا المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأمَّا الأمم النائية عنه فإن الله ـ سبحانه ـ رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض

(١) (٢٧١/٣) .

(٢) جلاء الأفهام (٢٨٨-٢٨٩) .

فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحدٍ، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها في دنيا وأخرى ،والكفار ردُّوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال: هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض. ا هـ. وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لجوانب هذه الرحمة.

خامساً: أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)** ﴾.

[الفتح: ١-٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (١)

﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره،وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ،وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم يَنَلْهَا بشرٌ سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة. ا هـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله - في تفسيره:

﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ وذلك - والله أعلم - بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمَّل ﷺ من تلك الشروط التي لم يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته ﷺ أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اهـ.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلَّى حتى انتفخت قدماه فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، فقال: « **أفلا أكون**

(١) (٧/٢٥٣).

عبداً شكوراً»[1] ، وعن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، قالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : « **أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً** »[2] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح:[3]

في الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه ، قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، والله أعلم . اهـ.

سادساً: أن الله تعالى وملائكته يصلون عليه ﷺ :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

قال الحافظ بن كثير في تفسيره:[4]

المقصود من هذه الآية أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه .

ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً . اهـ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً** »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الصبر عن محارم الله) برقم ٧١٦٤ ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة) برقم ٢٨١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له كتاب (التفسير) باب ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ برقم ٤٨٣٧ ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة) باب(إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم)٢٨٢٠ .

(٣) (٣/ ٢٠) .

(٤) (٣/ ٦٦٩) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب (الصلاة) باب (استحباب القول مثل ما يقول المؤذن) ، برقم ٣٨٤ .

قال أبو العالية: صلاة الله ـ على رسوله ﷺ ـ ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، وصلاة الملائكة الدعاء [١] .

سابعاً : أن الله تعالى خصه ﷺ بخصائص دون سائر الأنبياء دل عليها حديث الإسراء والمعراج ومنها:

[١] إمامته ﷺ بالأنبياء .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **لقد رأيتني في الحِجْرِ وقريش تسألني عن مسراي ،فسألتني عن أشياءٍ من بيت المقدس لم أثبتها فكُرِبْتُ كُربةً ما كُربتُ مثلها قط ، قال : فرفعه الله إلي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ،وقد رأيتني في جماعة الأنبياء ،فإذا موسى عليه السلام قائم يصلي فإذا رجلٌ ضربٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة ،وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم ،فلما فرغت من الصلاة قال قائل :يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه ، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام**» [٢] .

[٢] رؤيته ﷺ سدرة المنتهى ثم عرج به إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « لمَّا أسري برسول الله ﷺ أُنتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى ، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها ،وإليها ينتهي ما يهبط إليها من فوقها فيقبض منها ، قال : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [النجم: ١٦] ، قال : فراش من ذهب . قال :فأعطي رسول الله ثلاثاً ، أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يُشرك من أُمَّته شيئاً المقحمات » [٣] .

وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمارها كالقلال . قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (صلاة النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام) ، برقم ٤٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (سدرة المنتهى) ، برقم ١٧٣ .

أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها » (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في سياق حديث المعراج قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام**» (٢) .

[٣] رؤيته ﷺ للأنبياء في السماء وكلامه معهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة،ثم عُرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل ، قيل: من أنت؟، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، قيل من أنت؟، قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا - صلوات الله عليهما - فرحبا ، ودعوا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل :وقد بُعث إليه؟، قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وقد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل من أنت؟ ، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟،قال: محمد، قيل :وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ،فرحب ودعا لي بخير. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) ﴾ [مريم :٥٧]، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة ،فاستفتح جبريل،قيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (الإيمان ،) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات) ، برقم ١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (الإيمان ،) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات) ، برقم ١٦٣ .

ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ﷺ ، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟، قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بموسى ﷺ ، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل،فقيل من أنت؟، قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم ﷺ، مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمارها كالقلال. قال: فلمَّا غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة كل يومٍ وليلةٍ . فنزلت إلى موسى ﷺ . فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة ، قال: ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم.قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي – تبارك وتعالى – وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد إنَّهنَّ خمس صلوات كل يومٍ وليلةٍ لكل صلاة عشرٌ ، فذلك خمسون صلاة ، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشراً ، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئاً. فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت حتى استحييت منه » [١] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة) ، برقم ١٦٢ .

[٤] أن الله فرض الصلاة عليه وعلى أمته في السماء كما يدل عليه حديث أنس رضي الله عنه السابق.

[٥] أن الله أعطاه ﷺ لأمته أنَّ من همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً، كما في حديث أنس رضي الله عنه السابق.

[٦] دخوله ﷺ الجنة ورؤيته ﷺ بعض ما فيها، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: في سياق حديث الإسراء قال رسول الله ﷺ: « **ثم أُدْخِلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك** » (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الجواب الصحيح: (٢)

وأحاديث المعراج وصعوده ﷺ إلى ما فوق السماوات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذٍ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة والنار، والملائكة والأنبياء في السماوات، والبيت المعمور وسدرة المنتهى، وغير ذلك معروفٌ متواتر في الأحاديث، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله يظهر به تحقيق قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فالدرجات التي رُفعها محمد ﷺ ليلة المعراج وسيُرفعها في الآخرة في المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون الذي ليس لغيره مثله. اهـ.

ثامناً: أن الله تعالى أعطاه ﷺ خمساً لم يعطهن نبياً قبله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجلٌ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم، وكان**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (كيف فرضت الصلاة في الإسراء)، برقم ٣٤٩ . ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء وفرض الصلوات)، برقم ٢٦٣ .

(٢) (٦/١٦٨-١٦٩) .

النبي يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة» [١] .

قوله ﷺ : (**نُصرت بالرعب...**) معنى الرعب: الخوف والوجل لتوقع نزول محذور .

وقد قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: [٢]

ليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب،بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو . اهـ.

وقال : -رحمه الله-: [٣]

وهذه الخصوصية حاصلة له ﷺ على الإطلاق،حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته بعده؟ فيه احتمال . اهـ.

حكمة الإقتصار على شهر في حصول الرعب لأعدائه ﷺ :

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : [٤]

وظهر لي أن الحكمة في الاقتصار على الشهر أنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار التي حوله أكثر من ذلك ،كالشام والعراق واليمن ومصر ، ليس بين المدينة النبوية للواحدة منها إلا شهر فما دونه . اهـ.

وقوله ﷺ : (**وجعلت لي الأرض مسجداً**) .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: [٥]

معناه أن من كان قبلنا إنما أبيح لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس.

قال القاضي -رحمه الله -: وقيل : كان من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا فيما يتيقنون طهارته من الأرض ،وخصصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنَّا نجاسته . اهـ.

قوله ﷺ : (**وطهوراً**): أي أن التيمم شُرع لنا عند فقد الماء أو تعذر استعماله ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (قول النبي ﷺ : «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**») ، برقم ٤٣٨ ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢١ .

(٢) الفتح (٦ / ١٥٦).

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٢١).

(٤) الفتح (٦ / ١٥٦).

(٥) (٥/١٧٨) .

ولم يشرع لأحدٍ قبلنا.

قوله ﷺ : «**وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي**» .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: (١)

قال العلماء: كانت غنائم من قبلنا يجمعونها ثم تأتي نار من السماء فتأكلها، كما جاء مبيناً في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في حديث النبي عليه السلام الذي غزا وحبس الله له الشمس . اهـ.

قوله ﷺ : (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**) قد سبق بيان أدلة هذا.

وبقي هنا ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: (٢)

ولا يُعترض بأن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان،لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه ومن كان مرسلاً إليهم،لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته وإنما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس؛ أمَّا نبينا محمد ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة ، فثبت بذلك اختصاصه بذلك.

وأمَّا قول أهل الموقف لنوح عليه السلام ـ كما صح في حديث الشفاعة ـ : أنت أول رسول إلى أهل الأرض ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل إثبات أوَّلية إرساله ، وعلى تقدير أن يكون مراداً فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدَّة آيات على أن إرسال نوح إلى قومه ، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم . اهـ.

وقوله ﷺ : (**وأعطيت الشفاعة**) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم: (٣)«هي الشفاعة العامة التي تكون في المحشر بفزع الخلائق إليه،لأن الشفاعة في الخاصة جعلت لغيره ﷺ أيضاً» .اهـ.

علماً بأن خصائص النبي ﷺ وأمته كثيرة جداً حتى أفردها العلماء بالتصنيف ، والحديث لا يفيد الحصر بخمس فقط.

(١)(٥/١٧٨) . (٢)(١/٥٢٠) . (٣) (٥/١٧٨) .

تاسعاً: أن الله تعالى بعثه ﷺ بجوامع الكلم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **بعثت بجوامع الكلم** » (١) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أوتيت جوامع الكلم**» (٢) .

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله - في الفتح: (٣)

دخول القرآن في قوله ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » لا شك فيه،وإنما النزاع هل يدخل غيره من كلامه من غير القرآن؟ ، وقد ذكروا من أمثلة جوامع الكلم في القرآن قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩]،وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (٥٢) ﴾ [النور:٥٢] ، إلى غير ذلك،ومن أمثلة جوامع الكلم في الأحاديث النبوية حديث عائشة رضي الله عنها «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» ، وحديث «**كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**» متفق عليهما،وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «**إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**» ،وحديث المقدام رضي الله عنه «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه**» اهـ.

عاشراً: أنه ﷺ أُتِيَ في المنام بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يده - ورؤيا الأنبياء وحي - :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ :«**بينما أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**» (٤) .

قال الإمام النووي -رحمه الله - في شرح مسلم: (٥)

هذا من أعلام النبوة ، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته ، وقد وقع كما أخبر ﷺ ، ولله الحمد والمنة . اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاعتصام) باب (قول النبي ﷺ : (**بعثت بجوامع الكلم**)) برقم ٧٢٧٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٣) (٢٦٢/١٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التعبير) باب (المفاتيح في اليد) ، برقم ٧٠١٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٥) (١٧٩/٤) .

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله - في الفتح: (١)

ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح للأمة من بعده ﷺ من الفتوح وقيل: المعادن . اهـ.

حادي عشر: في قـــوله تعالى في حق نبينا ﷺ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (٢)

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ قال مجاهد: لا أُذكرُ إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد إلا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ،فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد إلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد ﷺ ، أن المراد بذلك الأذان ، يعني ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغـــرٌّ عـلـيـــه لـلـنـبـــوة خـــاتمٌ ... من الله من نـورٍ يلوحُ ويشـــهـــدُ
وضَمَّ الإله اسم النبي إلى اســمـــه ... إذا قـال في الخـمس المؤذن أشـهـدُ
وشقَّ لـه مـن اســــمـه لـيـــجلَّله ... فذو العرش محـمـودٌ وهذا محـمـدُ

وقـال آخـــرون: رفع ذكره في الأولين والآخرين ،ونوَّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم يشهد ذكره في أمته فلا يذكر إلا معه ، وما أحسن ما قاله الصرصري –رحمه الله– :

لا يـصـلـح الأذان بـالـفــــرض إلا ... بـاسـمـــه العـذب في الفم المرضي

وقال أيضاً:

ألــم تــر أنَّــا لا يــصـــح أذانـــنـــا ... ولا فــرضنا إن لم نكرره فـيـهـمـا

(١) (٦/١٥٦) .

(٢) (٤/٦٧٨) .

ثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ①﴾ [الكوثر : ١] .

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: (١)

قوله تعالى : ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ①﴾ تدل الآية على عطيَّة كثيرة صادرة عن معط كبير غني واسع ،إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :فوصفه بالكوثر ، والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة ، كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الكوثر إنما هو من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ﷺ وإذا كان أقَّل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات ، فما الظن بما لرسول الله ﷺ مما أعده الله له فيها .

فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات، واتصالها وزيادتها، وسموٍّ المنزلة وارتفاعها،وأن ذلك النهر ـ وهو الكوثر ـ أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماءً، وأعذبها وأحلاها وأعلاها .

وذلك أنه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى وتمامه،كقوله: زيد العالم ، زيد الشجاع أي: لا أعلم منه ولا أشجع منه ،وكذلك قوله: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ①﴾ دلَّ على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفوراً ، وإن نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك الذي ناله ببركة إتباعه والإقتداء به، مع أن له ﷺ مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء، ففيه الإشارة إلى أن الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينتقص من أجورهم، فإنه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم ، إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:والمقصود أن الكوثر نهر في الجنة ، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة . اهـ.

ثالث عشر: في قوله تعالى في نبينا محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③ ﴾ [الكوثر:٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (٢)

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ**﴾ أي مبغضك. والأبتر: هو المقطوع النسل الذي لا

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٩-٥٣١) .

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٨).

يولد له خير ولا عمل صالح ، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح .

قيل لأبي بكر بن عياش : إن في المسجد قوماً يجلسون ويجلس إليهم فقال : من جلس للناس جلس الناس إليه ، ولكن أهل السُّنَّة يموتون ويحيا ذكرهم ، وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم ، لأن أهل السُّنَّة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح : ٤] ، وأهل البدع شنئوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر:٣] .

فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فإن الله لم يوجب على أحدٍ طاعة أحدٍ إلا طاعة رسوله ﷺ والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ﷺ ما سأله الله عن مخالفة أحد ، فإن من يطيع أو يطاع إنما يُطاع تبعاً للرسول ﷺ ، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ﷺ ما أطيع .

فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ولا تبتدع تكن أبترًا مردوداً عليك عملك ، بل لا خير في عمل أبتر من الإتباع ، ولا خير من عامله، والله أعلم . اهـ.

وقال -رحمه الله-: [١]

فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ بتر شانئ رسوله ﷺ من كل خير ، فيبتر ذكره وأهله وماله ؛ فيخسر ذلك في الآخرة ، ويبتر حياته ، فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده ، ويبتر قلبه ؛ فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله، ويبتر أعماله؛ فلا يستعمله في طاعته ويبتره من الأنصار، فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة ، فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة ، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٢٦).

وهذا من جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ وردَّه لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميرة أو كبيرة . اهـ.

رابع عشر: أن الله تكفَّل بحفظه ﷺ وعصمته من الناس :

قال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)** ﴾ [المائدة :٦٧] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره: (١)

قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك ،وقد كان النبي ﷺ قبل هذه الآية يُحرس . اهـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ هذه حماية وعصمة من الله لرسوله ﷺ من الناس،وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ ولا يثنيك عنه الخوف من المخلوقين، فإن نواصيهم بيد الله ، وقد تكفل بعصمتك ، فأنت إنما عليك البلاغ المبين اهـ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ فأخرج رسول الله رأسه من القبَّة فقال لهم: «**يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله**» (٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ، فعلق سيفه بغصنٍ من أغصانها.

قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً

---

(١) (٣/١١١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) باب (سورة المائدة) ، برقم ٣٠٤٦ ، وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- .

أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده ، فقال لي : من يمنعك مني؟، قال: قلت: الله. ثم قال في الثانية من يمنعك مني؟ ، قال: قلت: الله . فشام السيف ـ أي أدخله في غمده ـ فها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ » .

خامس عشر: أن الله تعالى تكفّل بحفظ دينه :

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⑨ ﴾ [الحجر: ٩] .

قال الحافظ المفسر ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره: (١)

« قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر ، وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل . اهـ».

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره:

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ** ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكر لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة ،وفيه يتذكر من أراد التذكر ﴿ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ أي في حال إنزاله ، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان ، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ﷺ واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ، ومعانيه من التبديل ، فلا يحرِّف محرِّف معانيه إلا وقيَّض الله من يبيِّن الحق المبين وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين ، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ، ولا يسلِّط عليهم عدواً يجتاحهم . اهـ.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله -: (٢)

إن هذه الشريعة المباركة معصومة ،كما أن صاحبها ﷺ معصوم وكما كانت أمَّته فيما اجتمعت عليه معصومة ، ويتبين ذلك من وجهين :

أحدهما: الأدلَّة الدالة على ذلك تصريحاً وتلويحاً،كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⑨ ﴾ [الحجر: ٩] .وقوله: ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** ﴾ [هود: ١] .

---

(١) (٤/٣٦٨) .

(٢) الموافقات (٢/ ٩١-٩٣) .

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِه ﴾[الحج :٥٢].

فأخبر أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها ولا يداخلها التغيير ولا التبديل ، والسُّنَّة وإن لم تذكر فإنها مبينة له دائرة حوله، فهي منه وإليه ترجع في معانيها ، فكل واحد من الكتاب والسُّنَّة يعضد بعضه بعضاً، ويشدُّ بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ﴾ [المائدة :٣] .

حكى أبو عمرو الداني في طبقات القراء له عن أبي الحسن بن المنتاب قال:

كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟.

فقال القاضي: قال الله عز وجل في التوراة: ﴿ اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾[الحجر: ٩] . فلم يجز التبديل عليهم.

قال عليٌّ: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال:ما سمعت كلاماً أحسن من هذا.

وأيضاً: ما جاء من حوادث الشهب أمام بعثة النبي ﷺ ومنع الشياطين من استراق السمع لمّا كانوا يزيدون فيما سمعوا من أخبار السماء ،حيث كانوا يسمعون الكلمة فيزيدون معها مئة كذبة أو أكثر، فإذا كانوا قد منعوا من ذلك في السماء ، فكذلك في الأرض ، وقد عجزت الفصحاء اللُّسن عن الإتيان بسورة من مثله، وهو كله من جملة الحفظ، والحفظ دائم إلى أن تقوم الساعة ، فهذه الجملة تدلك على حفظ الشريعة وعصمتها من التغيير والتبديل.

والثاني: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ، وذلك أن الله عز وجل وفَّر دواعي الأمة للذَّب عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة

والتفصيل ، أمَّا القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حفظةً بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلاً عن القراء الأكابر. وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة فقيض الله لكل علمٍ رجالاً حفظه على أيديهم . اهـ.

وفي هذا المقام ساق الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ قصة عجيبة في تفسيره: [١]

فقد ذكر بإسناده إلى يحيى بن أكثم أنه قال: كان للمأمون ـ وهو أميرٌ إذ ذاك ـ مجلس نظر، فدخل من جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب ،حسن الوجه، طيب الريح. قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما تقوَّض [٢] المجلس دعاه المأمون فقال: إسرائيلي؟ قال: نعم.

قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ـ يرغبه ويوعده ـ .

فقال : ديني ودين آبائي وانصرف.

فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟، قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ ، قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن امتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط فعَمدت إلى التوراة فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتُريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتُريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها مني ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان سبب إسلامي.

قال يحي بن أكثم: فحججت تلك السَنة فلقيت سفيان بن عيينه فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل ، قلت: في أي موضع؟. قال: في قوله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿ **اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ٤٤] ،

---

(١) (١٠/٥-٦).

(٢) أي انفضَّ وتفرَّق .

فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع . اهـ.

سادس عشر: في سور وآيات أنزلها الله على نبينا محمد ﷺ لم ينزل مثلها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان :

عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه **قال:** قال لي رسول الله ﷺ : « **أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ؟** قلت: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ :**كيف تقرأ في الصلاة ؟**، فقرأت عليه أم القرآن ـ الفاتحة ـ، فقال رسول الله ﷺ :**والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم**» [١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** بينما جبريل قاعدٌ عند رسول الله ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة : لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » [٢] .

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **إقرأ سورة البقرة فإني أعطيتها من كنزٍ تحت العرش**» [٣] .

سابع عشر: في هداية الله نبينا ﷺ وأمته ليوم الجمعة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ، وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غداً**

---

(١) أخرجه النسائي في التفسير (١ / ٥٢٣) برقم ٢٢٥ وهو حديث حسن.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة) ، برقم ٨٠٦ .
(٣) صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم ١١٧٢ .

والنصارى بعد غدٍ »⁽¹⁾ .

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ،فكان لليهود يوم السبت ،وكان للنصارى يوم الأحد ،فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ،فجعل الله الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ،المقضي لهم قبل الخلائق»[٢] .

ثامن عشر: أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع»[٣] .

تاسع عشر: أنه ﷺ أول من يدعى يوم القيامة :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: يُجمع الناس في صعيدٍ واحد ، فأول مدعوٍ محمد ﷺ فيقول : لبيك وسعديك ، والخير بين يديك ، والشر ليس إليك ، المهدي من هديت ، عبدك وابن عبدك وبك وإليك ،تباركت وتعاليت . فهذا قوله : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[٤] .

وهذا حديث موقوف له حكم الرفع .

العشرون: أنه ﷺ صاحب المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون يوم القيامة.

قال الله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء :٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) ، برقم ٣٤٨٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٥ ، واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٦ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق) ، برقم ٢٢٧٨ .

(٤) أخرجه النسائي في تفسيره في تفسير سورة الإسراء برقم ٣١٤ وغيره ، وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري (٨ / ٢٥١) .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (١) .

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] يحمدك الخلائق كلهم وخالقهم - تبارك وتعالى - .

قال ابن جرير- رحمه الله-: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . اهـ.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الشمس تدنو من الخلائق حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم بمحمدٍ ﷺ ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلُّهم** » (٢) .

وعنه رضي الله عنه **قال:** « إن الناس يصيرون جثا - أي جلوساً على ركبهم - كل أُمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » (٣) .

الحادي والعشرون: أنه ﷺ إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم يوم القيامة:

عن أُبّي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر**» (٤) .

الثاني والعشرون: أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة** » (٥) .

---

(١) (٣/ ٧٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (من سأل الناس تكثراً) ، برقم ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾) برقم ٤٧١٨ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ١٣٧) والحاكم في المستدرك (١ / ٧١) ، وابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم ٧٨٧ وغيرهم ، وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب («**أنا أول الناس يشفع في الجنة**») ، برقم ١٩٦ .

وعنه رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**لم يصدق بنبي من الأنبياء ما صُدِّقتُ، وإن من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقه من أمته إلا رجلٌ واحد**» [١] .

الثالث والعشرون: أنه ﷺ أول الناس يشفع في دخول الجنة يوم القيامة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ :«**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»[٢] .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ،فيقول الخازن : من أنت ؟ ،فأقول :محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك** » [٣] .

الرابع والعشرون: في الوسيلة والفضيلة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**من قال حين يسمع النداء :اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ،حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة**» [٥] .

الوسيلة: فسرت في الحديث الثاني بأنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، رجى النبي ﷺ أن يكون هو صاحبها.

وأمّا الفضيلة: فقد قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: [٦]

أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق . اهـ.

وبعد كل ماسبق فإن المؤمن يزداد حمدا لله وشكراً أن جعله من أمة هذا النبي

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق برقم ١٩٧ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (الدعاء عند النداء) ، برقم ٦١٤ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (استحباب القول مثل ما يقول المؤذن) ، برقم ٣٨٤ .
(٦) فتح الباري (٢ / ١١٣)

الكريم ، وشرفه باتباعه ﷺ .

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

كما أن ذلك يزيد في محبة المؤمن لهذا النبي العظيم،ويزداد له اتباعًا،وبه اقتداءً، ولمن أرسله ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ عبوديةً وافتقاراً ، الذي يختص برحمته من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

فصل في
مكارم الأخلاق التي اتصف بها نبينا ﷺ ودعائه إليها

أولاً: في مكارم أخلاقه ﷺ إجمالاً :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم :٤] .

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: [١]

لم يُذكَر خُلُقٌ محمودٌ إلا وكان للنبي ﷺ الحظ الأوفر منه .

وقال الجنيد: سُمِّي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى .

وقيل : سُمِّي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، يدل عليه قوله ﷺ : «**إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق**» . اهـ.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله - : [٢]

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف :١٩٩] .

قال جعفر بن محمد -رحمه الله -:

أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق ، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية . اهـ.

وقد استدلت أم المؤمنين خديجة ﵂ بمكارم أخلاقه التي كان عليها قبل بعثته ﷺ على حسن عاقبته ، لَمَّا جاء من غار حراء بعد أن لقيه جبريل ﵇ وغطَّه، فجاء خديجة يرجف فؤاده ، فقالت له ﵂ :مسلِّية له ﷺ :« كلا والله لا يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ [٣] ، وتكسب المعدوم [٤]، وتقرئ الضيف [٥] ،

---

(١) (١٨/ ٢٢٧) .
(٢) مدارج السالكين ٢ / ٨٩ ، ٩٠
(٣) الكلّ: هو من لا يستقل بامره .
(٤) تكسب المعدوم: أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك .
(٥) تطعمه وتكرمه .

وتعين على نوائب الحق [١] » [٢] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح: [٣]

استدلت - خديجة ﷺ - على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي، وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإمَّا بالبدن أو بالمال ، وإمَّا على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به .اهـ.

وقد كان كفار قريش يشهدون له ﷺ بالصدق قبل بعثته.

فعن ابن عباس ﷺ قال لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء :٢١٤] ، صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدى، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال النبي ﷺ : **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً. **قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » [٤] .

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبتُّ وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجه كذَّاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: **أيها الناس أفشوا السلام ،وأطعموا الطعام ،وصلوا والناس نيام ،تدخلوا الجنة بسلام**» [٥] .

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله -: [٦]

كانت صورة نبينا ﷺ وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه. اهـ .

---

(١) هذه كلمة جامعة لأفراد ما تقدَّم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي برقم ٣ . (٣) (١ / ٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ برقم ٤٧٧٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾) ، برقم ٢٠٤ .

(٥) أخرجه الترمذي في سُننه برقم ١٣٣٤ ، والدارمي في سُننه (٢ / ٢٧٥) وغيرهم ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله -.

(٦) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ ص ٢٦٥ .

ولقد صدق من قال في وصفه ﷺ :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبينةٌ كانت بديهته تأتيك بالخبرِ

وقال هرقل ملك الروم لأبي سفيان رضي الله عنه حين سأله عن أوصاف النبي ﷺ :

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت : أن لا . فقد أعرف أنَّه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » (١) .

وسأل سعد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ . قال : بلى . قالت : فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن . قال : فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت » (٢)

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (٣)

ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً ،تطبَّعه وترك طبعه الجلي ،فمهما أمره القرآن فعله ،ومهما نهاه عنه تركه،هذا مع ما جبله الله من الخلق العظيم من الحياء،والكرم،والشجاعة،والصفح،والحلم،وكل خُلُق جميل . اهـ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ خادم رسول ﷺ ـ قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً » (٤) .

وفيما سبق شهادة الله ـ سبحانه ـ بحسن خُلق نبيه ﷺ ، ثم شهادة أزواجه، وبعض خدمه ، وأعدائه .

ثانياً: في بعض صفة خَلْقه ﷺ في التوراة :

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) برقم ٧ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (جامع صلاة الليل) برقم ٧٤٦ .
(٣) (٥١٧/٤) .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً) ، برقم ٢٣٠١ .

أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يعفو ويغفر ،ولن يقبضه الله حتى يقيم به المِلَّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إلـه إلا الله ، ويفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلفاً » [١] .

ثالثاً: في قوله ﷺ بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « **بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » [٢] .

وسيرة رسول الله ﷺ في السلم والحرب مع أوليائه وأعدائه، في سفره وحضره وعسره ويسره ، ورضاه وغضبه ، خير شاهد على ذلك.

رابعاً: في سماحته ﷺ ومجانبته للآثام ومحبته للتيسير :

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ــ عز وجل ــ** » [٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ،ولا خادماً ،إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهَكَ شيء من محارم الله فينتقم لله ــ عز وجل ــ » [٤] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره قال: « **بشِّروا ولا تنفِّروا ،ويسِّروا ولا تعسِّروا** » [٥] .

وعن أنس رضي الله عنه **قال:** « ما صليت وراء إمام قط أخفَّ صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب (البيوع) باب (كراهية السخب في الأسواق) ، برقم ٢١٢٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٨١) والحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٠ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل ،) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق ، برقم ٢٣٢٨ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

وان كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه » [١] .

وعن أنس رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه** » [٢] .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رجل يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الفجر مما يطيل فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذٍ ثم قال: « **يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فمن أمَّ الناس فليتجوَّز ، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة** » [٣] .

إن كل عاقل يقرأ مثل هذه الأحاديث من سيرة هذا النبي العظيم الدالة على سماحته ومحبته للتيسير ليدرك عظمته وعظمة الدين الذي بعث به وأنه الدين الكفيل بحل مشكلات البشر في كل زمان ومكان،وأنه الدين الذي يرفض التكلف والتنطع والتشدد والعنت فنحمد الله الذي جعلنا من أمته، وأكرمنا باتباعه،ونسأله سبحانه أن يحشرنا تحت لوائه ، وأن يسقينا من حوضه وأن يكرمنا بشفاعته ﷺ .

خامساً: صدقه ﷺ وشهادة أعدائه له بذلك :

فقد سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان آنذاك مشركاً ، فقال هرقل : بماذا يأمركم؟، فقال أبو سفيان : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

ومما سأل عنه هرقل أيضاً أنه قال:هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

فقال أبو سفيان : لا . فقال هرقل: قد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » [٤]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من أخفَّ الصلاة عند سماع الصبي) ، برقم ٧٠٨ .
(٢) المصدر السابق برقم ٧٠٩ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من شكا إمامه إذا طوَّل) ، برقم ٧٠٤ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب السادس حديث رقم ٧ .

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الحديث إليَّ أصدقه**» (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أُمية ابن خلف أبي صفوان،وكان أُمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنتظر حتى إذا انتصف اليوم وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا بأبي جهل فقال: من هذا الذي يطوف بالبيت؟ فقال: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً؟، فقال: نعم. فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام.

قال فجعل أُمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك ،وجعل يمسكه،فغضب سعد، فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟، قال: نعم.

قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟. قالت: وما قال؟ ، قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد ، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟.

قال: فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم فقتله الله» (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (٢١٤) ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدى، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (إذا وهب لوكيل أو شفيع قوم جاز) ، برقم ٢٣٠٧ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) ، برقم ٣٦٣٢ .

فقال: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.**

فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟، فنزلت: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②** ﴾ [المسد: ١-٢] [١].

وإليك أخي القارئ الكريم قصة عظيمة عجيبة:

قصة فيها بيان أن مما كان يدعو إليه نبينا ﷺ الصدق، وكيف انطبع ذلك على أصحابه حتى في أحرج الأوقات، وأحلك المواقف، وكيف كان صدقهم سبباً لنجاتهم وفلاحهم.

فعن أم سلمة رضي الله عنها **زوج النبي ﷺ قالت،** لَّما نزلنا أرض الحبشة جاوَرنا فيها خير جار: النجاشي أمِنَّاً على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، وجمعوا له أدماً كثيرة، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدِّموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم قالت: فخرجنا، فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريقاً إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منَّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنردَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهم: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾)، برقم ٤٧٧٠.

ثم إنهم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منَّا غلمان فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ،وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ،وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائرهم لنردَّهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردوهما إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا ها الله أيم الله إذاً لا أسلمهم إليهم ولا أكاد ، قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟.

قالوا: نقول والله ما عَلِمنا وما أَمَرَنَا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الأمم؟ .

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له:أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ،ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف ،فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ،ونخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث ،وأداء الأمانة ،وصلة الرحم ، وحسن الجوار ،والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل

مال اليتيم ،وقذف المحصنة ،وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنَّا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء .

قالت : فقال لهم جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ .فقرأ عليه صدراً من ﴿ كٓهيعٓصٓ ① ﴾ [مريم :١] .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد .

قالت أم سلمة ﵂ : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لأنبئهم غداً عيبهم و أستأصل به خضراءهم .

قالت : فقال له عبد الله وكان أتقى الرجلين فينا . : لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا .

قال : والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى عبد .

قالت : ثم غدا عليه الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه .

قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه . قالت : فلم ينزل بنا مثله .

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ .

قالوا : نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟.

فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته القاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال :ما عدا ابن مريم ما قلت هذا العود . فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال . فقال : وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم : الآمنون ـ من سبَّكم غرم،ثم من سبَّكم غرم، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وإني آذيت رجلاً منكم . والدبر بلسان الحبشة : الجُعل.

ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لنا بها ، ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ علي ملكي فآخذ الرشوة فيه ،وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا فيه وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار» (١) .

حقاً إنه رسول الله ـ ﷺ ـ الصادق الأمين الذي جاء بالصدق، قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً في أحسن أحواله وأشدها،كرباً فهو القائل ﷺ : «**إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ،وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار**».

فالنبي ﷺ دعا إلى الصدق ورغب فيه لما فيه من صلاح العباد والبلاد،الصدق في كل نواحي الحياة ، في العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والمعاملة ، والسياسة مع الأولياء ومع الأعداء ،وبذلك ينعم النّاس بالثقة والطمأنينة ،وبهذا تعرف زيف وقبح إطلاق المقولة المشهورة إن السياسة مبنية على الكذب.

فنقول نعم إن السياسة الشيطانية سياسة شريعة الغاب مبنية على الكذب، أما السياسة الشرعية التي جاء بها من أراد صلاح الراعي والرعية فمبنية على الصدق والعدل.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٠١) ، وسنده حسن .

سادساً: وفاؤه ﷺ ومجانبته للغدر:

« عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هرقل سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ هل يغدر؟ ، فقال أبو سفيان ـ وكان آنذاك مشركا ـ : لا. فقال ، هرقل: وكذلك الرسل لا تغدر » (١) .

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلْقِي في قلبي الإسلام ، فقلت: يا رسول الله والله لا أرجع إليهم أبداً.

فقال رسول الله ﷺ : **إني لا أخيس** (٢) **بالعهد ، ولا أحبس البُرُد** (٣) **، ولكن ارجع إليهم فإن كان في نفسك الذي بنفسك الآن فارجع.**

قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت » (٤)

وعن حذيفة رضي الله عنه **قال:** ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل قال: فأخَذَنَا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا ما نريده،ما نريد إلا المدينة،فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه فقال: **انصرفا. نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**» (٥) .

وفي صحيح مسلم أن شاعر رسول الله ﷺ حسَّان بن ثابت رضي الله عنه هجا بعض المشركين دفاعاً عن رسول الله ﷺ ، فكان مما قال:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً براً تقياً ... رسولَ اللهِ شيمته الوفاءُ
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمدٍ منكم وقاءُ» (٦)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**أربع من كن فيه كان**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي الباب السادس) برقم ٧ .
(٢) أي لا أنقضه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٩٢).
(٣) في النهاية لابن الأثير: أي لا أحبس الرسل الواردين عليّ . اهـ .
(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الجهاد) باب (في الإمام ويُستجن به في العهود) ، برقم ٢٧٥٨ ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الوفاء بالعهد) ، برقم ١٧٨٧ .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٩٠ .

منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلَّة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » [١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غَدْرَةُ فلان** » [٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً** » [٣] .

هذا ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ غدر ولا خيانة ، لا قبل البعثة ولا بعدها ، شهد بذلك أعداؤه وأولياؤه ، وقد عاهد النبي ﷺ يهود المدينة حين هاجر إليها ووفَّى لهم وكانوا هم الذين نقضوا العهد وغدروا ، وعاهد كفار قريش ووفَّي لهم، حتى كانوا هم الذين نقضوا العهد وغدروا ، وفي قصة صلح الحديبية دليلٌ واضحٌ على وفاء النبي ﷺ بالعهد ،كما أن فيها أن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأسلم ، وأعطى النبي ﷺ المال، فقال له رسول الله ﷺ : **أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء** ، وإنما رده النبي ﷺ لأنه أخذ غدراً .

وسأسوق هنا قصة صلح الحديبية لما فيها من الفوائد العظيمة التي تشهد لكثير مما سبق مع شهادتها بعظيم وفائه ﷺ بالعهد.

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كان ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ،فخذوا ذات اليمين،فوالله ما شعر بهم خالد ،حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش،وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنيَّة التي يهبط عليهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من عاهد ثم غدر) ، برقم ٣١٧٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (خصال المنافق) ، برقم ٥٨ .

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (ما يدعى الناس بآبائهم) ، برقم ٦١٧٨ ، ومسلم في صحيحه ، واللفظ له كتاب (الجهاد) باب (تحريم الغدر) ، برقم ١٧٣٥ .

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من قتل معاهداً بغير جرم) ، برقم ٣١٦٦ .

منها بركت به راحلته،فقال الناس:حل حل[١]، فألحَّت فقالوا: خلأت القصواء[٢].

فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**[٣] ، **ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطَّة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها** ثم زجرها ، فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء يتربَّضه الناس تربُّضاً [٤] ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشُكِي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذالك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفرٍ من قومه خزاعة ، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال للنبي ﷺ: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياة الحديبية ومعهم العوذ المطافيل [٥] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ : **إنا لم نجئ لقتال أحدٍ ولكنا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرَّت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدَّة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فعلوا ، وإلا فقد جمَّوا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم عن أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذنَّ الله أمره.**

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنَّا جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته ، يقول. قال سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

---

(١) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٢) خلأت أي بركت من غير علة ، والقصواء اسم ناقة النبي ﷺ .

(٣) أي حبسه الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٤) أي يأخذه الناس قليلاً قليلاً.

(٥) العوذ : هي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها ، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، قاله الحافظ في الفتح (٥/٣٩٨) .

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟، قالوا بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ ، قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أنِّي استنفرت أهل عكاظ ، فلمَّا بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطَّة رشدٍ فاقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته.

فأتاه فجعل يكلِّم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل.

فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك؟، وإن تكن الأخرى ، فإني لا أرى وجوهاً وإنِّي لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرُّوا ويدعوك.

فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات [1] ، أنحن نفرٌّ عنه وندعه؟! ، فقال: من ذا؟ ، قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك،وجعل يكلم النبيﷺ فكلما تكلم كلمة أخذ عروة بلحية النبيﷺ ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ ، قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غُدر ألست أسعى في غدرتك؟، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ : **أمَّا الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء.**

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبيﷺ بعينه ، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له.

---

(١) البظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم ، فأراد أبوبكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبده مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار. قاله الحافظ في الفتح (٥ / ٤٠١).

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم. والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، والله إن تنخّمَ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطَّة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: هذا فلان وهو من قومٍ يعظمون البُدْن فابعثوها له، فبعثت له فاستقبله الناس يلبون،فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدت وأُشعرت فما أرى أن يصدُّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته .فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلِّم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

فلما جاء قال النبي ﷺ: قد سهل من أمركم، فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سهيل: أمَّا الرحمن فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم.

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن أكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله. فقال له النبي ﷺ : على أن تخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به.

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أننا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب،فقال سهيل:وعلى أن لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ .

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في القيود وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين،فقال سهيل :هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ . فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد .

قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً ، قال النبي ﷺ : فأجزه لي . قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد اجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ، ألا ترون ما قد لقيت؟ ، وكان قد عذِّب عذاباً شديداً في الله .

قال : فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألست بنبي الله حقاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟، قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ .

قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت : أوليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : بلى .

قال : فأخبرتك أنَّك تأتيه العام؟ ، قال : قلت : لا . قال فإنك آتيه ومطوف به .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ .

قال :أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺوليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟، قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟، قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوَّف به .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا .

قال : فوالله ما قام منهم رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاث ، مرات فلمّا لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها : يا نبي الله أتحب ذلك؟ .

اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (١٠) ﴾ [الممتحنة: ١٠].

فطلَّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي، جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبوبصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد، وفرَّ الأخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه يعدوا: لقد رأى هذا ذعراً.

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله وفَّى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم.

قال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحدٌ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر.

قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم.

فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم،فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)** ﴾[الفتح : ٢٤- ٢٦] .

وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت » (١)

إن هذه السيرة العطرة،والأخلاق الزكية النضرة،تطرق قلوب الأحرار الصادقين، وتلفت أنظارهم إلى هذا النبي الكريم القدوة الحسنة لكل المؤمنين،وأنه لاخير في تكذيبه والإعراض عما جاء به من القيم والإصلاحات للبشرية جمعا، والدين الحنيف الذي يحمل السعادة والخير للبشر في معاشهم ومعادهم ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)** ﴾ [ق :٣٧] .

سابعاً: في عظيم شجاعته ﷺ وشدة بسالته وتقدّمه للحروب :

عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال :جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: أرأيت أحمد يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ،فأنهه عن أذانا.

فقال: يا عقيل ائتني بمحمد ،فذهبت فأتيت به فقال :يا ابن أخي إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم فانته عن ذلك.

قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة. يعني الشمس ، فقال أبو طالب: ما كذب ابن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب) ، برقم ٢٧٣١ .

أخي فارجعوا » (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « **كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة فخرجوا نحو الصوت ، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُري وفي عنقه السيف وهو يقول : لم تراعوا لم تراعوا ثم قال : وجدناه بحراً** » (٢) .

وعن أبي إسحاق السبيعي أنه سمع رجلاً من قيس يسأل البراء بن عازب رضي الله عنه فيقول :« أفررتم عن رسول الله يوم حُنين؟ ، فقال البراء رضي الله عنه ولكن رسول الله لم يفر . كانت هوازن رماة وإنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستُقبلنا بالسهام ،ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بزمامها وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه » (٣) .

وهذه شجاعة منقطعة النظير إذ انكشف أكثر الجيش عن قائدهم رسول الله ﷺ وهو ثابت في وسط المعركة ، وليس ذلك فحسب ، بل يصرِّح بأنه النبي ـ ﷺ ـ ، وأنه القائد وأعداؤه أحرص ما يكونون على قتله ومعرفة مكانه .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد ، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي ، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده فقال لي : من يمنعك مني؟ ، قال : قلت : الله . ثم قال

---

(١) السلسة الصحيحة للعلامة الألباني –رحمه الله – حديث رقم ٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد والسير) باب (الحمائل وتعليق السيف بالعنق) ، برقم ٢٩٠٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شجاعة النبي ﷺ وتقدمه في الحرب) ، برقم ٢٣٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من قال خذها وأنا ابن فلان) ،برقم ٤٤٧١ .

في الثانية: من يمنعك مني؟ ، قال: قلت: الله . فشام السيف ـ أي أدخله في غمده ـ فها هو جالس ، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ » (١) .

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟، قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا ،وعاب ديننا، وفرَّق جماعاتنا ،وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، أو كما قالوا.

فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول. قال : فعرفت ذلك في وجهه ﷺ ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى. فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها **فقال** ﷺ: **تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمدٍ بيده لقد جئتكم بالذبح**.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول،حتى إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً » (٢) .

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ، ما كان أو لم يكن أحد أقرب من المشركين منه » (٣) .

وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقرب إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً» (٤) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لقد رأيت يوم حنين وإن الفئتين لمولِّيتان ، وما مع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة بني المصطلق برقم ٤١٣٩) ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (توكله على الله وعصمته من الناس) ، برقم ٨٤٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٢١٨) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٠٣) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٤) المصدر السابق (١ / ٨٦) ، والنسائي في الكبرى (٥ / ١٩١) ، وهو حديث صحيح.

رسول الله ﷺ مئة رجل»[١] .

عدد الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه :

سئل زيد بن أرقم رضي الله عنه كم غزوت مع رسول ﷺ ؟ ، قال : سبع عشرة غزوة . قيل : كم غزا رسول الله ﷺ بنفسه؟ ، قال : تسع عشرة غزوة»[٢] .

وهكذا مواجهة النبي ﷺ كفار قريش بالدعوة مع قلّة من آمن به يدل على شجاعته وبطولته ، ومكاتبته لملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام مع قوة سلطانهم وكثرة عددهم ونفوذهم في الأرض يدل على شجاعته ﷺ ، وسيرته ﷺ قبل الهجرة وبعدها خير شاهد على هذا .

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الجبن ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ يقول : **اللهم إني أعوذ بك من العجز ، والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات**»[٣] .

وقد تمنى صلوات الله وسلامه عليه أن يقتل في سبيل الله مراراً :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**والذي نفس محمد بيده لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنّي ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتلُ ثم أحيا ، ثم أقتل**»[٤] .

إن المتأمل فيما سبق لايساوره شك في صدق هذا النبي الكريم ﷺ ، فهو القدوة الحسنة في سلمه وحربه ، والثبات عند الزلازل والفتن الواثق بوعد الله ونصره لعباده المؤمنين الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة ، الباذل لروحه رخيصة في سبيل الله ،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الجهاد) باب (ما جاء في الثبات عند القتال) ، برقم ١٦٨٩ ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (كم غزا رسول الله ﷺ) ، برقم ٤٤٧١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (التعوذ من فتنة المحيا والممات) ، برقم ١٦٨٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (التعوذ من العجز والكسل) ، برقم ٢٧٠٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (تمني الشهادة) ، برقم ٢٧٩٧ .

من أكرمه بالرسالة إلى البشرية جميعاً ، فإنما أرسله الله لعمارة الأرض بعبادة الله ، وحده لاشريك له، وإزالة الوثنية وأدرانها ، وأن الروح من أرخص مايبذل لتحقيق ذلك ، والفوز برضوان الله.

ثامناً: إرساؤه ﷺ دعائم العدل وتشييده لأركانه :

فعلى العدل قامت السموات والأرض، وبه تستقيم أحوال البلاد والعباد، وبالظلم ترحل النعم ، وتحل النقم ، وتفنى الأمم.

وقد قسَّم النبي ﷺ يوماً قسماً بين أصحابه بحسب سياسته الشرعية ، فقال له قائل: إعدل. فقال ﷺ : **ومن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله**.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بالجعرانة،منصرفه من حنين ، وفي ثوب بلال فضة ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس ، فقال يا محمد: إعدل ، فقال رسول الله ﷺ : «**ويلك ومن يعدل إذا لم اكن أعدل؟ ، لقد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل**» ،فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :دعني يا رسول الله ، فأقتل هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : «**معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّه**» (١) .

جوانب عدالتـــه ﷺ :

[١] عدله ﷺ في أحكامه :

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح ، فقالوا من يكلِّم فيها رسول الله ﷺ ؟ .

فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حِبُّ رسول الله ﷺ .

فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ

(١) أخرج هذا اللفظ مسلم في صحيحة كتاب (الزكاة) باب (ذكر الخوارج وصفاتهم) ، برقم ١٠٦٣ ، وأصل الحديث في الصحيحين .

فقال: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله**؟ ، فقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فأختطب ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطِعَتْ يدها» [١] .

[٢] عدله ﷺ مع أعدائــــه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّام عليكم - أي الموت - قالت عائشة رضي الله عنها: ففهمتها فقلت: عليكم السام واللَّعنة، فقال رسول ﷺ :**مهلاً يا عائشة ،فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**، فقلت: يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا؟ ، **قال رسول الله ﷺ : فقد قلت لهم: وعليكم**» [٢] .

ولما فتح النبي ﷺ مكة ودخلها مظفراً منصوراً، واستعدَّ لملاقاة هوازن وثقيف، احتاج إلى دروع،فطلب من صفوان بن أمية ،وكان آنذاك مشركاً ،أن يعيره دروعاً، فقال صفوان : أغصبٌ يا محمد؟ فقال: لا بل عاريَّةٌ مضمونة ،مع أنه ﷺ كان يستطيع أن يأخذها قهراً ، ولكنه ﷺ بُعث بالحق والعدل فما كان من صفوان عند أن ردَّ عليه النبي ﷺ دروعه إلا أن أسلم وتنازل عمَّا فقد منها.

فعن أمية بن صفوان بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبيه: يا صفوان،هل عندك سلاح؟، قال: عاريةً أم غصباً؟، قال: بل عارية مضمونة،فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً،وغزا رسول الله ﷺ حُنيناً، فلما هُزِم المشركون جُمعت دروع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) برقم ٣٤٧٥ ومسلم في صحيحه ، واللفظ له كتاب (الحدود) باب (قطع يد السارق الشريف وغيره) برقم ١٦٨٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (كيفية الرد على أهل الذمة بالسلام) برقم ٦٢٥٦ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) برقم ٢١٦٤ .

صفوان ففقدوا منها أدرُعاً،فقال النبي ﷺ لصفوان: إنا قد فقدنا من أدرعك أدراعاً فهل نغرم لك؟، قال: لا يا رسول الله ، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ » (١) .

قال أبو داود في سننه: وكان أعاره قبل أن يسلم ، ثم أسلم رضي الله عنه . أهـ.

[٣] عدله ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**إنكم تختصمون إليَّ،ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له به قطعة من النار**» (٢) .

[٤] عدله ﷺ بين نسائه رضي الله عنهن :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على بعض في القَسْم من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها » (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه » (٤)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: **غارت أمكم** ، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة إلى التي كُسِرَت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسرت فيه» (٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه كتاب (البيوع) باب (تضمين العارية)، برقم ٣٥٦٣ ، وهو حديث صحيح صححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأقضية) باب (الحكم بالظاهر)، برقم ١٧١٣

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (النكاح) باب (القسم بين النساء)، برقم ٢١٣٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (القرعة بين النساء إذا أراد سفراً) ، برقم ٥٢١١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل عائشة رضي الله عنها)، برقم ٢٤٨١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المظالم) باب (إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره) ، برقم ٢٤٨١ .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال رسول الله ﷺ : **لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»** (١) .

هكذا زجر النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أنها أحب الناس إليه لمَّا وقعت في ضرَّتها صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، فلم يحمله حبُّه لهذه على أن لا يزجرها إن وقعت في محظور ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

[٥] حثه ﷺ أصحابه على العدل بين أولادهم،وامتناعه من الشهادة على جور:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه **قال:** تصدَّق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تُشْهِدَ رسول الله ﷺ ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليُشْهِدَه على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ : « **افعلت هذا بولدك كلهم**؟،قال:لا. قال: **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» فرجع أبي فردّ تلك الصدقة (٢) .

وفي رواية: « **فلا تُشْهِدني إذاً فإني لا أشهد على جور**» (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** كان رجلٌ جالساً مع النبي ﷺ فجاءه ابن له فأخذه فقبَّله ثم أجلسه في حَجْرِه، وجاءت ابنةٌ له فأخذها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ : «**ألا عدلت بينهما**» (٤) .

[٦] حثه ﷺ أمته على العدل وتحذيرهم من الظلم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُوا**» (٥) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ : «**اتقوا الظلم فإن الظلم**

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه كتاب (الآداب) باب (في الغيبة) ، برقم ٤٨٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الهبة) باب (الإشهاد في الهبة) ، برقم ٢٥٨٧ ومسلم في صحيحه كتاب (الهبات) باب (كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة) ، برقم ١٦٣٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في الموضع السابق

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٨٨٣ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل) ، برقم ١٨٢٧ .

ظلمات يوم القيامة» [١] .

أيها القارىء الكريم : لعلك انبهرت بما قرأت؟، إن الذي سطرته ليس إلا قطرة من بحر، وقليلاً من كثير،إن العدل الذي اتصف به رسولنا الكريم ﷺ وحث أمته عليه وأرسى دعائمه .كفيل في إنقاذ البشرية ـ بإذن الله ـ من ظلمات الظلم الحالك الذي ملئوا به الأرض،وحصل بسببه العدوان على الدماء والأموال والأعراض والعقول والقلوب، إن هذه العقائد والأعمال والأخلاق والمبادئ التي بعث بها نبينا ﷺ هي سفينة النجاة للبشرية والمنقذة لهم من شريعة الغاب التي كدرت عليهم حياتهم، إنها الدواء لكل داء والعافية من كل بلاء ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

تاسعاً: عفوه ﷺ وصفحه عن أعدائه الذين ظلموه ورحمته بهم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :قلت : يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟.

قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت ،وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي،فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب،فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني،فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ـ جبلا مكة ـ ، فقال ﷺ : « **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا** » [٢] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدَكيَّة وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عباده رضي الله عنه في بني الحارث بن الخزرج

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم) ، برقم ٢٥٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق ،) باب (إذا قال أحدكم آمين) ، برقم ٣٢٣١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (ما لقي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) ، برقم ١٧٩٥ .

وذاك قبل وقعة بدر .

حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فيهم عبد الله بن أبي . وفي المجلس عبد الله بن رواحه .

فلما غشيت المجلس عُجَاجة الدابَّة خمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا . فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن . فقال عبد الله بن أُبي : أيها المرء لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك فمن جاءك منَّا فاقصص عليه .

فقال عبد الله بن رواحه : اغشنا في مجالسنا فإنا نُحبُّ ذلك .

قال : فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي ﷺ يخفِّضهم ثم ركب دابَّته حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال : **أي سعد ، ألم تسمع إلى ما قال أبو الحباب ؟ ، قال : كذا وكذا .**

قال : أعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ،ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوِّجوه فيعصِّبوه بالعصابة، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ » (١) .

وعن عمر رضي الله عنه قال : لما توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يُكفِّنُ فيه أباه، فأعطاه،ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه،فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال :يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟، فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً** ﴾[التوبة : ٨٠] ، وسأزيد على السبعين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنه منافق ؟، قال : فصلى عليه النبي ﷺ فأنزل الله : ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين) برقم ٦٢٥٤ ،ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين) ، برقم ١٧٩٨ .

وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة : ٨٤] [١] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **قال:** لَمّا مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلمَّا قام رسول الله وثَبْتُ إليه فقلت :أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا؟، قال: أعدُّ عليه قوله. فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: أخِّر عنِّي يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرت فاخترت ، ولو أعلم أني لو زدت على سبعين يغفر له لزدت عليها.

قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيات من سورة براءة ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾** ﴾ [التوبة : ٨٤] [٢] .

أيها القارئ الكريم: لعله ترسخ في عقلك وقلبك أكثر وأكثر، أن هذا النبي الكريم بعثه الله رحمة للعالمين ،وأنه كان رحمة على أوليائه وأعدائه ،ولم يكن يوماً من الدهر نقمة،وأنه سبى القلوب والعقول بعطفه وعفوه وصفحه،لأن همَّه الأكبر تعبيد الناس لرب الناس، إن هذه الأخلاق الطاهرة كفيلة بتهذيب النفوس،وإزالة الشرور، وسلامة الصدور،وتقوية الروابط الاجتماعية،وهضم النفس لأجل الله سبحانه وتعالى.

أيها القارئ الكريم : ماظنك لو كانت هذه الأخلاق الكريمة جزءاً من تعامل الناس في حياتهم اليومية : أي مجتمع سنعيش فيه؟! ، إن هذا جزء مما جاء به نبينا الرحيم ، وأمرنا ربنا أن نكون عليه ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

عاشراً: عفوه ﷺ وصفحه وإعراضه عن الجاهلين :

قال تعالى :﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وكانت سيرته ﷺ واقعاً عملياً لما أمره الله به.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **:** كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾) برقم ٤٦٧٠ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٤٦٧١ .

الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبةً شديدةً حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرداء من شدَّة جذبته ، ثم قال : مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت النبي ﷺ إليه فضحك ثم أمر له بعطاءٍ» (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت :** ابتاع رسول الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ـ وتمر الذخرة هو العجوة ـ فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته فالتمس له التمر فلم يجده،فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له : **يا عبد الله إنَّا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، فالتمسناه فلم نجده .**

فقال الأعرابي : وآ غدراه . فنهمه الناس وقالوا : قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً .

ثم عاد له رسول الله فقال : **يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمَّيناه لك فالتمسناه فلم نجده .**

فقال الأعرابي : وآ غدراه . فنهمه الناس وقالوا : قاتلك الله أيغدر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً .**

فردَّ رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً ، فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجلٍ من أصحابه :

اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها رسول الله يقول لك إن كان عندكِ وسقٌ من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله . فذهب إليها الرجل ثم رجع فقال :قالت نعم هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه،فقال الرسولﷺ للرجل :اذهب به فأوفه الذي له . فذهب به فأوفاه الذي له . فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال : جزاك الله خيراً ، قد أوفيت وأطيبت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أولئك خيار عباد الله يوم القيامة الموفون المطيبون** » (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فرض الخمس) باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) ، برقم ٣١٤٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (إعطاء من سأل بفحش وغلظة) ، برقم ١٠٥٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٢٦٩) ،والحاكم في مستدركه (٢ / ٣٢) والبيهقي في الكبرى (٦ / ٢٠) وغيرهم، وسنده حسن .

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً بيده قط، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله عز وجل» [١] .

عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزاةً قِبَلَ نجدٍ، فأدركنا رسول الله ﷺ في القائله في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلّق سيفه بغصنٍ من أغصانها. وتفرّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: **إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي والسيف صلتاً في يده**، فقال لي: من يمنعك مني؟، **قلت: الله**. فشام السيف ـ أي رده في غمده ـ فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ » [٢] .

حادي عشر: كرمه ﷺ وسخائه وكثرة عطائه، وكيف كان أثر ذلك على الناس:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن مُحمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

قال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها» [٣]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا» [٤].

وعن ابن شهاب رضي الله عنه قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذٍ صفوان بن أمية مئةً من النعم، ثم مئة، ثم مئة.

قال ابن شهاب: حدثني ابن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام)، برقم ٢٣٢٧ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة ذات الرقاع)، برقم ٤١٣٥ .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط)، فقال: لا برقم ٢٣١٢ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (حُسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل)، برقم ٦٠٣٤ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا)، برقم ٢٣١١ .

ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ » [١] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين ، عَلَقَتْ رسول الله الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاة نَعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » [٢] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها ، أتدرون ما البردة؟ ، قالوا : الشملة . قال نعم .

قالت : نسجتها بيدي فجئت لاكسوكها ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج إلينا وإنها إزاره فحسَّنها فلان فقال : اكسنيها ما أحسنها .

قال القوم : ما أحسنت . لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يَرُدُّ؟ ، قال : والله إني ما سألته لألبسها وإنما سألته لتكون كفني .

قال سهل رضي الله عنه : فكانت كفنه » [٣] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى عليَّ النبي ﷺ وقد أعيا بعيري فنخسه [٤] فوثب ، فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه فما أقدر عليه ، فلحقني النبي ﷺ فقال : **بعينه** ، فبعته بخمس أواقي . قال : قلت : على أن لي ظهره إلى المدينة . قال ﷺ : **ولك ظهره إلى المدينة** .

قال : فلما قدمت المدينة أتيته به فزادني وقيَّة ثم وهبه لي » [٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه ، فأغلظ ، فهمَّ به أصحابه رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً** » ، ثم قال : « **أعطوه سنًّا مثل سنّه** » قالوا يا رسول الله : إلا أمثل من سنّ؟ ، فقال : « **أعطوه ، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً** » .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الخمس) باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم) ، برقم ٣١٤٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ) ، برقم ١٢٧٧ .

(٤) أي دَفَعَهُ وحرَّكه .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب (البيوع) باب (بيع البعير واستثناء ركوبه) ، برقم ١١٣ .

فقال لهم: «**اشتروا له سناً فأعطوه إياه**. فقالوا: إنا لا نجد إلا سناً هو خير من سنِّه. قال ﷺ: **فاشتروه فأعطوه إيَّاه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً**» [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بمالٍ من البحرين فقال: **انثروه في المسجد**، وكان أكثر مالٍ أتي النبي به ﷺ، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه.

فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه.

إذ جاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً.

فقال رسول الله ﷺ: **خذ. فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلُّه فلم يستطع**.

فقال: يا رسول الله أومر بعضهم يرفعه إليَّ. قال: لا. قال فارفعه أنت عليَّ. قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقلُّه، فقال: يا رسول الله أومر بعضهم يرفعه عليَّ. قال: لا. قال: فارفعه أنت عليَّ. قال: لا. فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه. فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهم» [٢]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» [٣].

ثاني عشر: تواضعه ﷺ:

[١] قيامه ببعض الأعمال في بيته مما يترفع عنه كثير من الناس:

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟، قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف [٤]نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم» [٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (الوكالة في قضاء الدين)، برقم ٢٣٠٦ ومسلم في صحيحه كتاب (البيوع) باب (من أسلف شيئاً فقضى خيراً منه).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (القسمة وتعليق القنو في المسجد)، برقم ٤٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب (الخامس)، حديث رقم ٦، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة)، برقم ٢٣٠٨.

(٤) أي يجمعه ويضمُّه ويخيطه.

(٥) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (٦ / ١٢١) وغيره، وهو حديث صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ ، قالت: كان بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » (١) .

[٢] ركوبه ﷺ الحمار وإردافه عليه :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: « كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير **فقال: يا معاذ هل تدري حق الله على عباده؟ ، وما حق العباد على الله؟** ، قلت: الله ورسوله أعلم. **قال: فإن حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً** ، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ ، **قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا** » (٢) .

[٣] جلوسه ﷺ على الطعام :

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال له الغراء. فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة ـ يعني وقد ثرد فيها ـ فالتفوا عليها ، فلما كثروا جثا الرسول ﷺ على ركبتيه فقال: **ما هذه الجلسة؟**، فقال النبي ﷺ: **إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً ، ثم قال: كلوا من حواليها ، ودعوا ذروتها يبارك فيها** » (٣) .

[٤] لم يكن النبي ﷺ يأكل متكئاً قط كما يفعله كثيرٌ من المتكبرين :

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إني لا آكل متكئاً** » (٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: ما روئي رسول الله ﷺ يأكل متكئاً قط ولا يطأ عقبه رجلان » (٥)

---

(١) المصدر السابق (٦ / ٢٥٦) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (اسم الفرس والحمار) ، برقم ٢٨٥٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على توحيد دخل الجنة قطعاً) ، برقم ٣٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأطعمة) باب (ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة) ، برقم ٣٧٧٣ وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- تعالى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأطعمة) باب (الأكل متكئاً) ، برقم ٥٣٩٨ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأطعمة) باب (ما جاء في الأكل متكئاً) ، برقم ٣٧٧٠ .

[٥] لعقه ﷺ أصابعه من الطعام :

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها » (١) .

[٦]سلامه ﷺ على الصبيان ومداعبته لهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يمشي مع النبي ﷺ فمرَّ صبيان فسلَّم عليهم (٢) .

وعنه رضي الله عنه **قال:** كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلِّم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم » (٣) .

وعنه رضي الله عنه **قال:** « إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ » (٤) .

وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال :عقلت من النبي ﷺ مجَّة مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو » (٥) .

[٧] عيادته ﷺ مرضى مساكين المسلمين وضعفاءهم وإتباع جنائزهم:

عن أبي أمامة سهل بن حنيف الأنصاري أن بعض أصحاب النبي ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ كان يعود مرضى مساكين المسلمين ،وضعفاءهم ، ويتبع جنائزهم ولا يصلي عليهم أحدٌ غيره.

وإن امرأة مسكينة من أهل العوالي طال سقمها فكان النبي ﷺ يسأل عنها من حضر من جيرانها وأمرهم أن لا يدفنوها إن حدث بها حدث فيصلي عليها فتوفيت تلك المرأة ليلاً واحتملوها فأتوا بها مع الجنائز أو قال: موضع الجنائز عند مسجد رسول الله ﷺ ليصلي عليها رسول الله ﷺ كما أمرهم فوجدوه قد نام بعد صلاة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأطعمة) باب (استحباب لعق الأصابع) ، برقم ٢٠٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (السلام) باب (التسليم على الصبيان) ، برقم ٦٢٤٧ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (استحباب السلام على الصبيان) ، برقم ٢١٦٨ .

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٥ / ٩٢) وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (الانبساط إلى الناس) ، برقم ٦١٢٩ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (متى يصح سماع الصغير) ، برقم ٧٧ .

العشاء فكرهوا أن يجهدوا رسول الله ﷺ من نومه،فصلوا عليها ثم انطلقوا بها فلمَّا، أصبح رسول الله ﷺ سأل عنها من حضره من جيرانها،فأخبروه خبرها وأنهم كرهوا أن يجهدوا رسول الله ﷺ لها،فقال لهم رسول الله ﷺ : ولم فعلتم؟ انطلقوا مع رسول الله ﷺ حتى قاموا على قبرها،فصفوا وراء رسول الله ﷺ كما يُصفُّ للصلاة على الجنائز ، فصلى عليها رسول الله ﷺ وكبَّر أربعاً كما يكبر على الجنائز » (١) .

[٨] كان ﷺ يجيب دعوة المملوك،ويأكل على الأرض،ويجلس على الأرض.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض،ويأكل على الأرض،ويعتقل الشاة،ويجيب دعوة المملوك » (٢) .

[٩] كان ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتهم.

عن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ، ويقلُّ اللَّغو، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة » (٣) .

[١٠] قوله ﷺ لمن هابه: هو ن عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد :

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترتعد فرائصه فقال له ﷺ : **هوِّن عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد** (٤) » (٥) .

[١١] كونه ﷺ ما عاب طعاماً قط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه » (٦) .

---

(١) أخرجه البيهقي في سُننه (٤ / ٤٨) وغيره هو حديث صحيح.
(٢) صحيح الجامع برقم ٤٩١٥ .
(٣) أخرجه النسائي في سُننه (٣ / ١٠٨) برقم ١٤١٤ ، وحسنه العلامة الألباني.
(٤) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس. النهاية لابن الأثير (٤ / ٢٢).
(٥) أخرجه ابن ماجة في سُننه كتاب (الأطعمة) باب (القديد برقم٣٣١٢)، وصححه العلامة الألباني ـرحمه الله ـ.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ برقم ٣٥٦٣) ، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (لا يعيب الطعام) ، برقم ٢٠٦٤ .

[١٢] كان ﷺ يعمل مع أصحابه وينقل التراب وقد ربط حجراً على بطنه من الجوع:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا	**ولا تصدقنا ولا صلينا**
فأنزلن سكينة علينا	**وثبِّت الأقدام إن لاقينا**
إن الأولى قد بغوا علينا	**إذا أرادوا فتنة أبينا» (١)**

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنَّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل،ثم قام وبطنه معصوب بحجر،ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل (٢). فقلت يا رسول الله إئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر،فعندك شيء؟ ،فقالت: عندي شعير وعناق ،فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة،ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر واللحم بين الأثافي قد كادت أن تنضج.

فقلت: طُعَيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان.قال:كم هو؟ ، فذكرت له ، فقال: كثير طيب. قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي.

فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

قالت: هل سألك؟ ، قلت: نعم. فقال ﷺ: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، فقال: كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابهم مجاعة» (٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١٠٤ .
(٢) أي: صار رملاً يسيل ولا يتماسك. قاله الحافظ.
(٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم ٤١٠١ .

وفي القصة السابقة من تواضعه ﷺ خدمته لأصحابه – رضي الله عنهم – .

[١٣]بغضه ﷺ للمبالغة في مدحه ونهيه عن ذلك :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله** »[١] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -:

الإطراء: المدح بالباطل تقول: أطريت فلاناً: مدحته فأفرطت في مدحه »[٢] .

« كما أطرت النصارى ابن مريم » : قال ابن التين: « لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في عيسى – عليه السلام – فجعله إلهاً مع الله، وبعضهم ادَّعى أنه هو الله ، وبعضهم ادَّعى أنه ابن الله »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله ويا سيدنا وابن سيدنا فقال: « **يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ،أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل** »[٤] .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا، فقال: **السيد الله تبارك وتعالى.**

قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال: **قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** »[٥]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (قول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾) ، برقم ٣٤٤٥ .

(٢) فتح الباري ٦ / ٥٦٥ .

(٣) فتح الباري ١٢ / ١٥٤ .

(٤) أخرجه النسائي في أعمال اليوم والليلة برقم ٢٤٨ ، وسنده حسن.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٥) ، وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) ، باب (كراهية التمادح) ، برقم ٤٨٠٦ وصححه العلامة الألباني -رحمه الله -.

أجعلتني لله نداً ؟ ، ما شاء الله وحده» [١] .

[١٤] كراهته ﷺ القيام له :

عن أنس رضي الله عنه قال : لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك» [٢] .

وعن أبي مجلز قال : خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **من أحب أن يتمثَّل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار»** [٣] .

[١٥] اختياره ﷺ أن يكون عبداً رسولاً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل عليه السلام : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة،فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك أملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً؟، قال جبريل : تواضع لربك يا محمد . **قال : بل عبداً رسولاً»** [٤] .

[١٦] كان ﷺ يؤتى إليه بالصبيان فيدعو لهم ويبول بعضهم على ثيابه فلا يتضجر :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ، فؤتي بصبي فبال على ثوبه، فدعا بماء فاتبعه إياه ولم يغسله» [٥] .

[١٧] ذبحه ﷺ أضحيته بيده الشريفة :

عن أنس رضي الله عنه قال : ضحَّى النبي ﷺ بكبشين أملحين،فرأيته واضعاً قدمه على

---

(١) أخرجه الإمام احمد في مسنده (١ / ٢١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩٨٨ وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الأدب) باب (ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) ، برقم ٢٧٥٤ وصححه العلامة الألباني –رحمه الله –.

(٣)أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (قيام الرجل للرجل) ، برقم ٥٢٢٩ والترمذي في سُننه كتاب (الأدب) باب (كراهية قيام الرجل للرجل) ، برقم ٢٧٥٥ وصححه العلامة الألباني – رحمه الله –.

(٤)أخرجه الإمام أحمد في مسنده ((٢ / ٢٣١) ، وابن حبا ن في صحيحه كما في بذل الإحسان (١٤ / ٢٨٠) ، وابن أبي الدنيا في التواضع الخمول برقم ١٢٥ وغيرهم ، وسنده صحيح.

(٥)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (الدعاء للصبيان بالبركة) ، برقم ٦٣٥٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غُسله) ، برقم ٢٨٦ .

صِفَاحِهِما يسمِّي ويكبِّر ، فذبحهما بيده » (١) .

[١٨] تعاقبه ﷺ مع أصحابه على البعير الواحد :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا يوم بدرٍ كل ثلاثة على بعير كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه زميلي رسول الله ﷺ وكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا : نحن نمشي عنك . فقال رسول الله ﷺ : **ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما** » (٢) .

[١٩] مسابقته ﷺ لزوجته عائشة رضي الله عنها :

« عن عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت مع النبي ﷺ في سفرة قالت : فسابقته فسبقته على رجلي ،فلما حملت اللَّحم - أي سمنت - سابقته فسبقني ، فقال : **هذه بتلك** » (٣) .

[٢٠] أنه ﷺ لم يكن له بوّاب :

عن أنس رضي الله عنه قال : « مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال : **اتقي الله واصبري** ، قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي . ولم تعرفه .فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك . فقال : **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » (٤) .

[٢١] إخباره ﷺ عن رعيه الغنم قبل بعثته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم** » فقال أصحابه : وأنت؟ ، فقال : « **نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكَّة** » (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأضاحي) باب (من ذبح الأضاحي بيده) ، برقم ٥٥٥٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الأضاحي) باب (استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل) ، برقم ١٩٦٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤٢٤) وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الجهاد) باب (السبق على الرجل) ، برقم ٢٥٧٨ ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (زيارة القبور) ، برقم ١٢٨٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى) ، برقم ٩٢٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيجار) باب (رعي الغنم على قراريط) ، برقم ٢٢٦٢ .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : (١)

وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن أُعلِم أنَّه أكرمُ الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربِّه، والتصريح بمنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ـ صلوات الله عليه ـ وعلى سائر الأنبياء . اهـ .

ثالث عشر: عظيم حيائه ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾ .

[الأحزاب: ٥٣] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها فأولم بخبز ولحم، فأرسلني داعياً إلى الطعام،فيجيء قوم يأكلون ويخرجون،ثم يجيء قوم يأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى لم أجد أحداً أدعو.

فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه فقال: فارفعوا طعامكم،وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها ، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله،كيف وجدت أهلك؟ ، بارك الله لك.

فتقرَّى حُجَرَ نسائه كُلِّهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا الثلاثة رهط في البيت يتحدثون،وكان النبي ﷺ شديد الحياء.فخرج منطلقاً نحو حُجْرة عائشة رضي الله عنها فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجه ـ أي إحدى رجليه

(١) فتح الباري (٤ / ٥١٦) تحت الحديث السابق .

داخل والأخرى خارج ـ أرخى الستر بيني وبينه، وأنزل الله أية الحجاب » (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** « كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عرفناه في وجهه » (٢) .

وعن معاوية رضي الله عنه **قال:** « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً » ، وقال: قال رسول الله ﷺ : « **إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً** » (٣) .

وعن أبي قراد رضي الله عنه **قال:** خرجت مع رسول الله ﷺ إلى الخلاء ، وكان إذا أراد الحاجة أبعد » (٤) .

رابع عشر: زهده ﷺ في الدنيا وعظيم رغبته في الآخرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** نام النبي ﷺ على حصير فقام وقد أثّر في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال: «**مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» (٥) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **قال:** دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير،فجلست،فأدنى عليه إزاره،وليس عليه غيره،وإذا الحصير قد أثر على جنبه ﷺ ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرضاً في ناحية الغرفة ، فابتدرت عيناي ، فقال رسول الله ﷺ : **ما يبكيك يا ابن الخطاب**؟، قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك ! .

فقال رسول الله ﷺ : **يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ برقم ٤٧٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ برقم ٣٥٦٢) ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كثرة حيائه ﷺ) ، برقم ٢٣٢٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٣٥٥٩ومسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم٢٣٢١ .

(٤) أخرجه النسائي في سننه (١ / ١٧) وغيره وهو حديث صحيح صححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الزهد برقم ٢٣٧٧ وابن ماجة في سننه برقم ٤١٠٩ وصححه العلامة الألباني .

الدنيا ؟ ، قلت : بلى » (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا وإحداهما تمرٌ » (٢) .

وعن أبي قتادة قال كنَّا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه وخبَّازه قائم وقال : « كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط » (٣) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : المسموط : الذي أزيل شعره بالماء الساخن وشوي بجلده أو يطبخ وإنما ذلك في الصغير السن الطري . اهـ .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « لقد أصبحتم ترغبون فيما كان رسول ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله يزهد فيها والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما له » (٤) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **يا أبا ذر ؛ ما أحب أن أحداً لي ذهباً تأتي عليَّ ليلةٌ أو ثلاث عندي منه دينارٌ إلا ديناراً أرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا** » (٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : **ما بقي منها ؟** ، قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، **قال : بقي كلها غير كتفها** » (٦) يعني رسول الله ﷺ أن ما تصدقوا به منها فهو الذي بقي أجره وثوابه، والذي ذهب منها هو ما أعدوه للأكل .

وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال : « ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ برقم ٤٩١٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الطلاق) باب (بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً) ، برقم ١٤٧٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (كيف كان عيش رسول الله ﷺ وأصحابه) ، برقم ٦٤٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٦٤٥٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٠٤) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه البخار ي في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (من أجاب لبيك وسعديك) ، برقم ٦٢٦٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (الترغيب في الصدقة) ، برقم ٩٩١ .

(٦) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (القيامة والرقاق) ، برقم ٢٤٧٠ .

السبيل صدقة » (١) .

خامس عشر: شدة حرصه ﷺ على هداية الخلق ، وعظيم فرحه بمن اهتدى منهم وعظيم حزنه وأسفه على من أعرض.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .
[الكهف: ٦] .

وقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ [الشعراء : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .
[فاطر : ٨] .

قال الحافظ بن كثير - رحمه الله - في تفسيره: (٢)

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي مهلكٌ نفسك مما تحرص وتحزن عليهم ألا يكونوا مؤمنين، وهذه تسليةٌ من الله لرسوله ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار .اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت رحمة** » (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **أسلم**. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: « **الحمد لله الذي أنقذه من النار** » (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: إن دوساً عصت فادع الله عليها. فقيل هلكت دوس. فقال النبي ﷺ : « **اللهم أهد دوساً وائت بهم** » (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ ووفاته) ، برقم ٤٤٦١ .
(٢) (٣/٤٤٢) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن لعن الدواب) ، برقم ٢٥٩٩ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب(إذا أسلم الصبي ثم مات هل يصلى عليه) ، برقم ١٣٥٦ .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الدعاء للمشركين بالهدى) ، برقم ٢٩٣٧، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم) ، برقم ٢٥٢٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلي الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادعُ الله أن يهدي أُمّ أبي هريرة.

فقال النبي ﷺ :**اللهم أهدِ أُمّ أبي هريرة** .فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجافٌ فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت :يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده و رسوله .قال :فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أُمّ أبي هريرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال خيراً» (١) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: **أين عليّ بن أبي طالب** فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: **فأرسلوا إليه** ، فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية. فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ ، فقال: **أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعم**» (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم) باب (فضائل أبي هريرة رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٩١ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من أسلم على يده رجل) ، برقم ٣٠٠٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم) باب (فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٠٦ .

سادس عشر: حرصه ﷺ على أمته ورحمته بهم، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرّهم:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله ، ويتمكنون من الأخذ عنه ، ولا يأنفون عن الانقياد له،وهو ﷺ في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم.

﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويُعنتكم.

﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُم** ﴾ : فيحبُّ لكم الخير،ويسعى جهده في إيصاله إليكم،ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان،ويكره لكم الشر،ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ :أي شديد الرأفة والرحمة بهم،أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق ، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره .اهـ.

وإليك أخي القارئ الكريم عدة أمثلة تدل على عظيم حرصه ﷺ على أمته:

[١] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة! فقال :أجل. لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم » (١)

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح مسلم: (٢)

ومراد سلمان رضي الله عنه أنه علمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا حتى الخراءة التي ذكرت أيها القائل ، فإنه علمنا آدابها ، فنهانا فيها عن كذا وكذا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد،**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (الإستطابة) برقم ٢٦٢ ،وأصل الحديث في البخاري ومسلم.
(٢) (١٤٥/٢).

أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه ، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرِّمَّة» (١) .

[٢] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم وأجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق**» (٢) .

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل أستوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهنَّ ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها**» (٣) .

[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣٦) ﴾ [إبراهيم ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١١٨) ﴾ [المائدة: ١١٨]،فرفع يديه ﷺوقال: **اللهم أمتي أمتي**،وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل،اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟ ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال . فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل:«**إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» (٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه ، باب(كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة) ، برقم٨،وحسنه العلامة الألباني .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الانتهاء عن المعاصي) ، برقم ٦٤٨٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في التحذير مما يضرهم) ، برقم ٢٢٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الانتهاء عن المعاصي) ، برقم ٦٤٨٣ . ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شفقته ﷺ على أمته) ، برقم ٢٢٨٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم) ، برقم ٢٠٢ .

[٥] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم» [١] .

[٦] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول : يا رب منِّي ومن أمتي فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟** » والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ، فكان ابن أبي مليكة يقول : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو أن نُفْتَن عن ديننا » [٢] .

[٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (**يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ،فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ،حتى قالها ثلاثاً .فقال رسول الله ﷺ: **لو قلت« نعم» لوجبت ،ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ،وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[٣] .

[٨] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» [٤] .

[٩] عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب،فقال رجل: إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ ، قال: « **أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإنْ عبدٌ حبشيٌ ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً** ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التهجد) باب (تحريض النبي ﷺ على قيام الليل) ، برقم ١١٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الحوض) ، برقم ٦٥٩٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته) ، برقم ٢٢٩٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب (الإقتداء بسُنن رسول الله ﷺ) ، برقم ٧٢٨٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (فرض الحج مرة بالعمر) ، برقم ١٣٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (الإنصات للعلماء برقم ١٢١ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان معنى قول النبي ﷺ : **لا ترجعوا بعدي كفاراً**) ، برقم ٦٥ .

وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ،عضوا عليها بالنواجذ» (١) .

سابع عشر: رحمته ﷺ بالناس رجالاً ونساءً وأطفالاً. :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ـ عز وجل ـ** » (٢) .

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: « أتينا النبي ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون ،فأقمنا عنده عشرين ليلة ،فظن أنا اشتقنا أهلنا ،وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه ،وكان رفيقاً رحيماً ،فقال: **ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ،وصلوا كما رأيتموني أصلي ،وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم**» (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي ،مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**»(٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فَشَقَّ عليهم فأشقق عليه ،ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**» (٥) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **اتقوا الله في النساء ،فإنكم**

---

(١) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (العلم) باب (ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة) ، برقم ٢٦٧٦ ، وغيره وصححه العلامة الألباني –رحمه الله–.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمته ﷺ بالصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم) ، برقم ٦٠٠٨ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من أخف الصلاة عند بكاء الصبي) ، برقم ٧٠٧ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل) ، برقم ١٨٢٨ .

أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (١) .

وعن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال :أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قُبِضَ فأتنا فأرسل يقرئ السلام **ويقول :إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌ شيء عنده بأجل مُسَمَّى فلتصبر ولتحتسبْ**، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينَّها فقام ومعه سعد بن عباده ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم فَرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه ﷺ ، فقال :سعد ما هذا؟، فقال: رسول الله ﷺ **:هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ،وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :«لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ ، أخذه فقَّبلهُ وشمَّه فجعلت عيناه تذرفان ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله؟، فقال : **يا ابن عوف إنها رحمة ، إن العين تدمع ، وإن القلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**» (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : **من لا يَرحم لا يُرحم**» (٤) .

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً وحسيناً، فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، فرفعت رأسي،وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) ، برقم ١٢١٨ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الجنائز) باب(قول النبي ﷺ :يعذب الميت ببكاء أهله عليه) برقم ١٢٨٤ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (قول النبي ﷺ : إنا بك لمحزونون) ، برقم ١٣٠٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة الصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٥ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الولد وتقبيله) ، برقم ٥٩٩٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة الصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٨ .

قد حدث أمرٌ، أو أنه يوحى إليك، قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**» (١) .

وبعد: فإن بعثته ﷺ كانت رحمة، وسيرته رحمة، ودينه رحمة، ومعاملته لأعدائه وأوليائه رحمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، فالذي أرسله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الرحمن الرحيم، وقد ذكر الله هذين الإسمين العظيمين مجتمعين في سورة الفاتحة بعد قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (٢) ﴾ [الفاتحة: ٢] . ليبين ـ سبحانه ـ لعباده أن ربوبيته لهم مبنية على الرحمة.

وهو ـ سبحانه ـ الذي سبقت رحمته غضبه القائل ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، والقائل ـ سبحانه ـ :﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (٤٩) ﴾ [الحجر: ٤٩].

كما أن الكتاب الذي أنزل الله عليه هدى ورحمة، وهو تنزيل الرحمن الرحيم، قال تعالى:﴿ **تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (٢) **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [فصلت: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (٧٦) **وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** (٧٧) ﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

وأمته ﷺ أمة مرحومة، وأعظم أوصاف أصحابه رضي الله عنهم أنهم رحماء بينهم، وهكذا كان أتباع سنته في كل زمان ومكان أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق.

أيها القارئ الكريم: ما ظنك بمجتمع مستقيم على هذا التوجيهات وسائر عليها، أي ترابط يكون بين أفراده، وأي سعادة تغمر أبنائه؛ لأن كل واحد يعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات، ومن حصل منه مخالفة مدّوا إليه يد العون، وأسدوا له النصح ليرجع الى جادة الصواب، يكمل بعضهم بعضاً ، ويرحم بعضهم بعضاً .

---

(١) أخرجه النسائي في سُننه كتاب (التطبيق) باب (هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) برقم ١١٤١ ، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

فالأبوان ينعمان في ظل هذه التعاليم الربانية بالبر والإحسان،والرعاية والإكرام، ليس في يوم واحدٍ من أيام السَنَة بل طيلة الحياة،والأبناء ينعمون برعاية الآباء والأمهات،وهم المسئولون في الدرجة الاولى عن تربيتهم وتوجيههم، وتقويم أخلاقهم، وتأديبهم.

والجيران ينعمون بالإحسان المتبادل من بذل الخير بكافة صوره،وكف الأذى بكافة صوره،وكل واحد يعرف حقوق أقاربه من صلة وإحسان، وتعاون على البر والتقوى، والضيف يعامل بالإكرام والإحسان ولا يشعر بغربة وإن كان بعيداً عن أهله وبلده؛ لأنه بين إخوة له في الدين ، له مالهم وعليه ما عليهم.

والمظلوم يجد المجتمع من حوله خير معين له ونصير في الحق حتى ترد اليه مظلمته.

والفقير والمسكين واليتيم والأرملة ، وكل الضعفاء والمحتاجين ينعمون بعطف إخوانهم، وإحسانهم ، وحمايتهم ، ومد يد العون إليهم ، ودفع الضرر عنهم.

إن تلك التعاليم الربانية السامية كفيلة بترابط الأسر والمجتمعات ظاهراً وباطناً، بحيث يكون المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، فنحمد الله الذي هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثامن عشر: رفقه ﷺ بالجاهل وحسن تعليمه له :

عن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال :بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجُل من القوم ، فقلت :يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت :وآثكل أمّياه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمّتونني سكتُّ فلما صلّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه،فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال:«**إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس،إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ،فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه . فقال رسول الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (تحريم الكلام في الصلاة) ، برقم ٥٣٧ .

ﷺ : «**لا تُزْرِمُوه ، دعوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له** :«**إن المساجد بيوت الله لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله ــ عز وجل ــ والصلاة وقراءة القرآن**» (١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتاً شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله :ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا :مه مه ، **فقال النبي** ﷺ : **أدنه** ، فدنا منه قريباً فجلس ، **فقال له الرسول** ﷺ : **أتحبُّه لأمك ؟** ، قال :لا والله ـ جعلني الله فداءك ـ، **قال ولا الناس يحبُّونه لأمهاتهم ، أفتحبُّه لابنتك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال : ولا الناس يحبُّونه لبناتهم ، قال أتحبُّه لأختك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم . أفتحبُّه لعمَّتك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال : ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم . أفتحبُّه لخالتك ؟** ،قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال : ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصِّن فرجه** ، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :« دخل النبي ﷺ المسجد ، فدخل رجل فصلى ،ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فردّ النبي ﷺ فقال : **ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ** . فصلى ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فقال : **ارجع فصلِّ إنك لم تصلِّ (ثلاثاً)** فقال الرجل : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها ، فعلمني . **قال** ﷺ : **إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم إقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالساً ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجداً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلِّها**» (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الوضوء) باب (غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد)، برقم ٢٨٥ ، وأصل الحديث في الصحيحين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة) ، برقم ٧٩٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) ، برقم ٣٩٥ .

تاسع عشر: في رحمته ﷺ بالحيوان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منِّي. فنزل فملأ خفَّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له.** قالوا يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟، **قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**» [١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُذِّبت امرأة في هرَّة؛ ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لاهي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها؛ ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» [٢] .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّز كان أحب ما تبرَّز فيه هدف يستتر به أو حائش نخلٍ، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح [٣] له، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه [٤] وسراته [٥] فسكن، فقال: **من رب هذا الجمل؟**، فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا. **فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه**» [٦] . أي تجيعه وتعمل عليه كثيراً.

عن قُرَّة بن إياس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم)، ٦٠٠٩ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها برقم ٢٢٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء)، برقم ٣٤٨٢ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (فضل ساقي البهائم وإطعامها)، برقم ٢٢٤٢ .

(٣) هو البعير الذي يُسقى عليه.

(٤) ذِفْرَى البعير: أصل أذنه. النهاية لابن الأثير (٢ / ١٦١).

(٥) سراة كل شيء: ظهره وأعلاه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٤).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٠٥) وهو حديث صحيح.

قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال رسول الله ﷺ: « **والشاة إن رحمتها رحمك الله** » [١].

وبعد كل ما سبق من السيرة العطرة،أحببت أن أسلِّط الضوء على بعض الجوانب من سيرته ﷺ وإن كان قد سبق بعضها،لتتضح معالم الرحمة والسماحة في بعثته وشريعته وسيرته أكثر وأكثر، فهذا الحق ليس به خفاء، فدعني من بنيات الطريق.

❁ النبـــي ﷺ أب :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً قط أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ.

قال: كان إبراهيم ـ ابن النبي ﷺ ـ مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق، ونحن معه،فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجع » [٢].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **ولد لي غلام فسميته باسم أبي إبراهيم** ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين [٣] يقال له أبو سيف فانطلق يأتيه وأتبعه فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد إمتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك ،جاء رسول الله ﷺ، فأمسك. فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، وقبّله وشمّه.

فقال أنس رضي الله عنه: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال:« **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون** » [٤].

❁ النبـــي ﷺ زوج :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله،وأنا خيركم لأهلي**»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٤٣٦)، وهو حديث صحيح

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب (رحمته ﷺ الصبيان والعيال)، برقم ٢٣١٦.

(٣) القين: هو الحداد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (قول النبي ﷺ: وإنّا بك لمحزونون)، برقم ١٣٠٣، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمته ﷺ بالصبيان والعيال)، برقم ٢٣١٥.

(٥) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (المناقب) باب (فضل أزواج النبي ﷺ)، برقم ٣٨٩٥، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

وعنها ﵂ أنه سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (١) .

وعنها ﵂ قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج - أي لسفر - أقرع بين نسائه فأيتهنَّ يخرج سهمها يخرج بها» (٢) .

وعنها ﵂ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارم الله، فينتقم لله - عز وجل -» (٣) .

✿ النبي ﷺ معلمٌ:

عن معاوية بن الحكم السلمي ﵁ قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وآثكل أمَّياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يصمِّتونني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فو الله ما كهرني (٤) ، ولا ضربني، ولا شتمني، وإنما قال: «**إن الصلاة لا يصلح فيها شيئ من كلام الناس، إنما هي التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن**» (٥) .

وعن أبي أمامة ﵁ قال: «إن فتاً شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه (٦) ، فقال النبي ﷺ: **أدنه**، فدنا منه قريباً فجلس، فقال له الرسول ﷺ: **أتحبُّه لأمك؟**، قال: لا والله - جعلني الله فداءك - **قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. أفتحبُّه لابنتك؟**، قال: لا والله يا رسول الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٦) وغيره، وهو حديث صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (حمل الرجل امرأته في الغزو)، برقم ٢٣٢٧ .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام)، برقم ٢٣٢٧ .
(٤) أي: ما انتهرني.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (تحريم الكلام في الصلاة)، برقم ٥٣٧ .
(٦) كلمة تقال للزجر.

ـ جعلني الله فداءك ـ **قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم. قال أتحبُّه لأختك**؟، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم. أفتحبُّه لعمَّتك**؟، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال: ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم. أفتحبُّه لخالتك**؟، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم**، قال: **فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه**. فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء» [١].

٭ النبي ﷺ قاضٍ:

عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا من يكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟، فقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ. فأتى بها رسول الله ﷺ فكلَّمه فيها أسامة بن زيد فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ فقال: **أتشفع في حدٍّ من حدود الله**؟، فقال أسامة بن زيد: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: **أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها**» [٢].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله طهِّرني. فقال: **ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**. قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهِّرني. فقال رسول الله ﷺ: **ارجع فاستغفر الله وتب إليه**. قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: **أبه جنون**؟، فأخبر أنه ليس بمجنون.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٦) وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء)، برقم ٣٤٧٥ ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (الحدود) باب (قطع يد السارق الشريف وغيره)، برقم ١٦٨٨.

فقال: **أشرب الخمر؟** ، فقام رجل فاستنهكه فلم يجد ريح خمر. فقال له رسول الله ﷺ : **أزنيت؟** ، قال: نعم. فأمر به فرُجِم، فكان الناس فيه فرقتين. قائل يقول: لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز ، إنه جاء النبي ﷺ فوضع يده في يده ، ثم قال: اقتلني بالحجارة، فلبثوا في ذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلَّم ثم جلس فقال: **استغفروا لماعز بن مالك**. قال: قالوا: غفر الله لماعز بن مالك. **فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمَّةٍ لوسعتهم** » .

ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرِّني ، فقال: **ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه**. فقالت: أراك تريد أن تردَّني كما رددت ماعز بن مالك قال: **وما ذاك؟**، قالت: إنها حبلى من الزنا. **فقال: آنت؟**، قالت: نعم. **فقال: حتى تضعي ما في بطنك**. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. **فقال: إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه**. فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله. قال: فرجمها ثم قال: « **والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس** (١) **لغفر له، ثم أمر بها فصلَّى عليها ودفنت** » (٢) .

❁ النبي ﷺ قائد للمعارك:

سئل زيد بن أرقم كم غزا رسول الله ﷺ بنفسه؟ قال: تسع عشرة غزوة (٣) .

وعن أبي إسحاق السبيعي أنه سمع رجلاً من قيس يسأل البراء بن عازب رضي الله عنه فيقول: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟، فقال البراء رضي الله عنه : ولكن رسول الله لم يفر. كانت هوازن رماة ، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستُقْبِلنا بالسِّهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث

---

(١) صاحب المكس الذي يجبي أموال الناس بغير حق.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحدود) باب (من اعترف على نفسه بالزنا) ، برقم ١٦٩٥ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (كم غزا رسول الله ﷺ) ، برقم ٤٤٧١ .

آخذٌ بزمامها وهو يقول:

أنـا الـنـبـي لا كـــــذب أنـا ابـن عـــبـــد المطلب

فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه » (١)

وهذه شجاعة منقطعة النظير، إذ انكشف أكثر الجيش عن قائدهم رسول الله ﷺ وهو ثابت في وسط المعركة ،وليس ذلك فحسب ،بل يصرح بأنه النبي وأنَّه القائد، وأعدائه أحرص ما يكونون على قتله ومعرفة مكانه.

وكان ﷺ مع فرط شجاعته وثقته بالله ، وكمال عقله وعلمه يشاور أصحابه امتثالا لقول الله تعالى ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وعملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ، كما شاور أصحابه في الخروج لملاقاة عير قريش يوم بدر ، وهكذا في غزوة أُحد والخندق، وغيرها

النبي ﷺ متعاملاً بالبيع والشراء :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « ابتاع رسول الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، ـ وتمر الذخرة هو العجوة ـ فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته فالتمس له التمر فلم يجده ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: **يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، فالتمسناه فلم نجده.**

فقال الأعرابي: وآ غدراه . فنهمه الناس وقالوا: قاتلك الله ، أيغدر رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : **دعوه ، فإن لصاحب الحق مقالاً.**

ثم عاد له رسول الله ﷺ فقال :**يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمَّيناه لك ، فالتمسناه فلم نجده.** فقال الأعرابي: وآ غدراه.

فنهمه الناس وقالوا: قاتلك الله ، أيغدر رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً.**

فردد رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً، فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من قال :خذها وأنا ابن فلان) ، برقم ٤٤٧١ .

اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها رسول الله يقول لك : إن كان عندكِ وسق من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله ، فذهب إليها الرجل ثم رجع فقال: قالت : نعم ، هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه، فقال الرسول ﷺ لرجلٍ: **اذهب به فأوفه الذي له.**

فذهب به فأوفاه الذي له. فمرَّ الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزآك الله خيراً قد أوفيت وأطيبت. فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك خيار عباد الله يوم القيامة الموفون المطيِّبون**» [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه ، فأغلظ ، فهمَّ به أصحابه رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً** ، **ثم قال : أعطوه سنًّا مثل سنه** ، قالوا : يا رسول الله ؛ إلا أمثل من سنّه ؟ ، فقال : **أعطوه ، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً** » [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد » [٣] .

النبي ﷺ مع أعدائــه :

المتأمل في سيرته ﷺ يجد أنه كان يتعامل مع أعدائه بالصدق،والوفاء بالعهد والرحمة،والحرص على هدايتهم،كما سبق ذكر أمثلةٍ كثيرة على ذلك في الفصل الذي عقد لبيان رحمته ﷺ بأعدائه وعفوه عنهم.

فقد عقد عهداً مع بني قريظة في المدينة،وكانوا هم الذين غدروا ونقضوا العهد، وعقد عهداً مع بني النضير وكانوا هم الذين غدروا ونقضوا العهد،وعقد عهداً مع

---

(١)أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٦٩) ، الحاكم في مستدركه (٢ / ٣٢) ، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٠) . وغيرهم وسنده حسن .

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (الوكالة في قضاء الدين) ، برقم ٢٣٠٦ ومسلم في صحيحة كتاب (البيوع) باب (من أسلف شيئاً فقضى خيراً منه برقم ١٦٠١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (البيوع) باب (شراء النبي ﷺ بالنسيئة) ، برقم ٢٠٦٨ ومسلم في صحيحه كتاب (البيوع) باب (الرهن وجوازه في الحضر والسفر) ، برقم ١٦٠٣ .

غيرهم من اليهود فكانوا هم الذين نقضوا وغدروا ، وعقد ﷺ عهداً مع كفار قريش فكانوا هم الذين نقضوا وغدروا ، وقد كان أعدائه ﷺ يشهدون له بالصدق والأمانة والوفاء ، ولما دخل مكة فاتحاً بعد أن أخرجوه منها وغزوه إلى المدينة مراراً ، وبعد أن نقضوا عهده وغدروا عفا عنهم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

النبي ﷺ مع خدمه :

عن أنس رضي الله عنه قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ،والله ما قال لي : أُوفّ قط . ولا قال لي لشيءٍ : لما فعلت كذا ،وهلا فعلت كذا؟ » (١)

النبي ﷺ مع المماليك :

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال :كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : **اعلم أبا مسعود** فلم أفهم الصوت من الغضب ،فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ . **فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود ؛ اعلم أبا مسعود ، فألقيت السوط من يدي فقال : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام .** فقلت : لا أضرب مملوكاً بعده أبداً » (٢) .

وعن هلال بن يساف قال :عجل شيخ فلطم خادماً له ، فقال له سويد بن مقرن : عجز عليك إلا حُرُّ وجهها؟ لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة، لطمها أصغرنا ، فأمر رسول الله ﷺ أن نعتقها (٣) .

وعن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذر في الرَّبذة وعليه حلَّة وعلى غلامه حلَّة، فسألته عن ذلك فقال : إني ساببت رجلاً فعيَّرته بأمّه فقال لي النبي ﷺ : **يا أبا ذر أعيَّرته بأمّه ! ! إنك امرؤٌ فيك جاهلية ،أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ،ولا تكلّفوهم ما**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء) ، برقم ٦٠٣٨ ، ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (الفضائل) باب (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً) ، برقم ٢٣٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأيمان والنذور) باب (صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده) ،برقم ١٦٥٨ .

(٣) المصدر السابق.

يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١] .

النبي ﷺ مع الأيتام والأرامل والمساكين :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعه السبابة والوسطى**»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ،وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر ،وكالصائم لا يفطر**»[٣] .

النبي ﷺ في العيد :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنيتين . فقال أبو بكر : أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ ، وذلك في يوم العيد ، فقال رسول الله ﷺ : **يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**»[٤] .

وعنها رضي الله عنها قالت : « والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو »[٥] .

وعن أنس رضي الله عنه قال :كانت الحبشة يزفون بين يدي رسول الله ﷺ ويرقصون ويقولون : محمدٌ :عبدٌ صالحٌ ، محمدٌ : عبدٌ صالحٌ . فقال رسول الله ﷺ : **ما يقولون؟** ، قالوا : يقولون : محمدٌ :عبدٌ صالحٌ »[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (المعاصي من أمر الجاهلية) ، برقم ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (فضل من يعول يتيماً) ، برقم ٦٠٠٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقاق) باب (الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ، برقم ٢٩٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (السعي على المسكين) ، برقم ٦٠٠٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقاق) باب (الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ، برقم ٢٩٨٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العيدين) باب (سنة العيدين لأهل الإسلام)، برقم ٩٥٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة العيدين) باب (الرخصة باللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد) ، برقم ٨٩٢ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه الموضع السابق.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ١٥٢) وغيره ، وهو حديث صحيح.

النبي ﷺ مع الأطفــــال :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال : « **يا غلام : إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » (١) .

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ، ثم كبر للصلاة فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها ، فرفعت رأسي ، وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحى إليك . قال : **كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني** ـ أي اتخذني راحلة له ـ **فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته** » (٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (صفة القيامة والرقاق والورع) باب (رقم ٥٩) ، وحديث رقم ٢٥١٦ ، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

(٢) أخرجه النسائي في سُننه كتاب (التطبيق) باب (هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) ، برقم ١١٤١ ، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

فصل في
ما قدمه ﷺ للبشرية من خير عاجل وآجل

لقد بعث الله نبينا ﷺ رحمة للعالمين،وهدى للناس أجمعين،بعثه الله بالحنيفية السمحة، فما ترك خيراً إلا دلَّ عليه،ولا شراً إلا حذر منه،وقد قدَّم للبشرية جمعاء خيراً عظيماً،عاجلاً وآجلاً.

أولاً: الخير العاجل الذي قدمه للبشرية ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ :

[١] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية لينقلها ـ بأمر الله ـ من عبودية البشر إلى عبودية الله وحده لا شريك له ، خالق الخليقة ومالكها ورازقها ومدبر أمورها :

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)** ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقد كان النبي ﷺ يكاتب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ، ويجعل في رسائله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام : إني أعلمك كلمات ،احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[١].

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (صفة القيامة والرقاق والورع) باب (رقم ٥٩)، وحديث رقم ٢٥١٦، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

[٢] أنه ﷺ بعث ليحرر قلوب العباد وعقولهم من التعلق بالأموات والأشجار والأحجار، وسائر ما يعبد من دون الله:

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء ٥٦-٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٥].

[٣] أنه ﷺ بعث ليحرر عقول البشر من الاعتقادات المناقضة للعقول السليمة والشرائع:

كالقول بأن لله ولداً - سبحانه - وانه ضحّى به دون خطيئة أو ذنب فداءً للبشرية.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة – ٧٣-٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء : ١٧١-١٧٢] .

وهكذا القول بأن الله تعب بعد خلق الخلق فاستراح يوم السبت – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

[٤] أنه ﷺ بعث ليحرر عقول البشر من الدجل والخرافات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عدوى ولا صفر ولا هامة ،** فقال أعرابي : يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ ، **فقال : فمن أعدى الأول ؟** » (١) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عدوى ولا طِيَرَةَ ولا غُوْلَ** » (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (لا صفر) برقم ٥٧١٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (لا عدوى ولا طيرة برقم ٢٢٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (لا عدوى ولا طيرة) برقم ٢٢٢٠ .

قوله ﷺ : «لا عدوى»: « أحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح ـ رحمهم الله ـ وغيرهم أن قوله ﷺ : «**لا عدوى**» أي على الوجه الذي كان يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى ، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها ، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك ، ولهذا قال ﷺ : « **فرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد** » ، وقال ﷺ : «**لا يورد ممرض على مُصح**» وقال ﷺ في الطاعون : «**من سمع به في أرض فلا يقدم عليها**» وكل ذلك بتقدير الله » (١) .

قوله ﷺ: «ولا صَفَرَ»: أي لا تشاؤم بشهر صفر كما كان يتشاءم أهل الجاهلية.

قوله ﷺ:«ولا هامَةَ»:

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله- في الفتح: (٢)

ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قُتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة – وهي دودة – فتدور حول قبره فتقول: اسقوني اسقوني ، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت.

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب.

وقال القزاز: الهامة طائر من طيور الليل – كأنه يعني البومة – .

وقال : إن الأعراب كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إليَّ نفسي أو أحداً من أهل داري ، وقال أبو عبيد : كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير اهـ.

قلت: لا مانع أن تلك الخرافات كانت كلها سائدة ، فأبطلها رسول الله ﷺ جميعاً ،وبين ضلال أهل الجاهلية فيما يعتقدون من ذلك.

قوله ﷺ: (ولا طيرة): الطيرة : التشاؤم .

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب (التوحيد) ٣٥١ .
(٢) (١٠/٢٥٢) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: [١]

أصل التطير أنهم كانوا يعتمدون في الجاهلية على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنةً تيمَّن به واستمر ، وإن رآه طار يسرةً تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيِّج الطير فيعتمدها ، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك . اهـ.

قوله ﷺ : «ولا غول»:

قال الإمام ابن الأثير -رحمه الله-: [٢]

الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين ،كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله اهـ.

وعن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنَّا نأتي الكهَّان قال ﷺ : **فلا تأتوا الكُهَّان**، قال: قلت: كنَّا نتطير. قال ﷺ : **ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنَّكم»** [٣] .

الكُهَّان: هم الذين يدَّعون علم المغيبات.

قوله ﷺ: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»

قال الإمام النووي في شرح مسلم: [٤]

معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عمَّا كنتم عزمتم عليه قبل هذا .اهـ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ ،فقال لهم رسول الله: «**ليسوا بشيء** » . قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقًّا، قال رسول الله ﷺ : **تلك الكلمة يخطفها الجني فيقرِّها في أذن وليِّه قرَّ الدجاجة فيخلطون بها أكثر من مئة كذبة»** [٥] .

---

(١) (١٠/٢٢٣) . (٢) النهاية (٣/٣٩٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان) برقم ٢٢٢٧ .

(٤) (١٤/٣٨٦) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان) برقم ٢٢٢٨ .

قوله ﷺ: (ليسوا بشيء) :

قال الإمام النووي -رحمه الله-: معناه بطلان قولهم وأنه لا حقيقة له .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : « أخبرني رجل من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بنجمٍ فاستنار . فقال رسول الله ﷺ : ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ . قالوا : كنا نقول : وُلِدَ الليلةَ رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيمٌ .

فقال رسول الله ﷺ : **فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذي يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا .ثم قال الذين يلون حملة العرش : لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ ، فيخبرونهم ماذا قال .قال فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتخطف الجن السَّمع فيقذفون إلى أوليائهم ويُرمون به ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون** » [١] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كانت اليهود تقول : إذا جامع الرجل امرأته من ورائها في قُبُلها جاء الولد أحول ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٢٣] [٢] .

[٥] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بدين يدعو إلى الإيمان بجميع أنبياء الله السابقين والكتب المنزلة عليهم واحترامهم ومحبتهم والدفاع عنهم، وبيان أنهم صفوة الله من خلقه ، وأكمل الخلق علماً وعملاً ، وأبعدهم عن الفواحش والآثام .

قال تعالى :﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان) ، برقم ٢٢٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾) ، برقم ٤٥٢٨ ،ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (جواز جماع امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها) ، برقم ١٤٣٥ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) ﴾ .

[النساء : ١٥٠–١٥٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾ [الأنعام : ٨٣–٩٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة** ، قالوا: كيف يا رسول الله؟، **قال: الأنبياء إخوة من علات** [1] ، **أمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي**» [2] .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه** » . ثم قال أبو هريرة: إقرأوا

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥ / ٥٠٥): قال العلماء أولاد العلات بفتح العين وتشديد اللام المهملة هم الإخوة لأب من أمهات شتى. قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصل التوحيد ، وأمَّا فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف. أمَّا قوله ﷺ : « **دينهم واحد** » : فالمراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى، وإن اختلفت صفتها. اهـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل عيسى عليه السلام) ، برقم ٢٣٦٥ .

إن شئتم ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] (١) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا خير البريَّة. فقال رسول الله ﷺ : « **ذاك إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ » (٢) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال** : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة ٢٦٠] **ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي** » (٣) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه قال: لا والذي اصطفى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على البشر فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على البشر، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم: إن لي ذمَّة وعهداً، فلانٌ لطم وجهي. فقال رسول الله ﷺ : **لم لطمت وجهه؟** . قال: قال يا رسول الله ﷺ : والذي اصطفى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على البشر وأنت بين أظهرنا.

قال: **فغضب رسول الله ﷺ حتى عُرِف الغضب في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين الأنبياء، فإنه ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعث أو في أول من بُعث، فإذا موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أو بُعث قبلي. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متَّى** عَلَيْهِ السَّلَامُ » (٤) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **مررت على موسى ليلة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ برقم ٣٤٣١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، برقم ٢٣٦٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، برقم ٢٣٦٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ برقم ٣٣٧٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، برقم ٢٣٧٠ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، برقم ٢٣٧٣ .

أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: **أتقاهم**. قالوا ليس عن هذا نسألك. **قال: فيوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله.** قالوا ليس عن هذا نسألك. قال: **فعن معادن العرب تسألوني؟، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»** [٢] .

هذا ومن صميم عقيدة المسلمين أن من كذَّب نبياً واحداً أو قذفه أو قذف أمَّه أو زوجته أو سخر به أو سبَّه فإنه كافر بالله العظيم، فالمسلمون يؤمنون بجميع رسل الله ويحبونهم ويحترمونهم،ويعتقدون أنهم خيرة خلق الله وصفوة عباده،فهم رسل فلا يكذبون،وعباد لله فلا يعبدون،فالمسلمون وسط في أنبياء الله بين من عبدوهم مع الله أو من دون الله وبين من قتلوا الأنبياء ونسبوهم إلى العظائم وافتروا عليهم أقبح الكذب وكذبوهم وسخروا منهم،وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣].

[٦] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بدين «موافق للفطرة السليمة»:

يراعي حاجات الروح ومطالب الجسد ،ويوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ويهذب غرائز الإنسان ونوازعه ولا يكبتها ولا يلغيها ، كما حصل في حضارات أمم أخرى» بعضها أغرقت في المثالية المخالفة للفطرة والعقل فحرمت الراغبين في العبادة والتنسك من حقوقهم الفطرية ، كالزواج ، ورد عدوان المعتدين ، ونحو ذلك.

وأغرقت بعضها في الماديات وأهملت جانب الروح وتهذيب النفوس،ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)** ﴾ .

[القصص: ٧٧] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ برقم٣٣٥٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل يوسف عليه السلام) ، برقم ٢٣٧٩ .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ [الجمعة : ٩-١٠] .

قال تعالى: ﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) ﴾ [طه : ١-٢] .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك : ١٥] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: « **يا عبد الله: ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟** ، فقلت: بلى يا رسول الله. **قال: فلا تفعل. صم وأفطر، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك** - أي ضيفك - **عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك بكل حسنة عشرة أمثالها ، فإن ذلك صيام الدهر كله**. فشَدَّدت فَشُدِّد عليَّ. قلت: يا رسول الله إني أجد قوَّةً. **قال: فصم صيام نبي الله داود** عليه السلام **ولا تزد عليه** ، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ ، **قال: نصف الدهر**. فكان عبد الله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ » (١) .

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء،فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة فقال لها: ما شأنك؟ ، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم ،فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلِّيا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً،ولنفسك عليك حقاً،ولأهلك عليك حقاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصيام) باب (حق الجسم في الصوم) ، برقم ١٩٧٥ .

فأعط كل ذي حق حقَّه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : **صدق سلمان**» (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ،فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها . فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ؟ ، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،فقال أحدهم : أمَّا أنا فأصلي الليل أبداً . وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « **إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**» (٢) .

عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال :لقيني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ ، فقلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ، ما تقول؟ ، قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنَّة حتى كأنَّا نراها رأي العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (٣) الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله « **وما ذاك؟** قلت : نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنَّة حتى كأنَّا نراها رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

فقال رسول الله ﷺ : **والذي نفسي بيده إنْ لوتدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً، ساعةً وساعةً ، ساعةً وساعةً** » (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصيام) باب (من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع) ، برقم ١٩٦٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الترغيب في النكاح) ، رقم ٥٠٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استحبا ب النكاح لمن تاقت نفسه) ، برقم ١٤٠١ .

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٦ / ٢٢٤) : قال الهروي وغيره معناه : حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به ، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا . اهـ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (التوبة) باب (فضل دوام الذكر) ، برقم ٢٧٥٠ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟. وذلك في يوم العيد، فقال رسول الله ﷺ: « **يا أبا بكر إن لكل قومٍ عيداً وهذا عيدنا** » (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر** ، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. فقال رسول الله ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس** » (٢).

[٧] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية بالدعوة إلى توثيق الروابط الاجتماعية:

من برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ونصرة المظلوم، وغير ذلك، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟، قال: **الصلاة على وقتها**. قلت: ثم أي؟، **قال: برُّ الوالدين**. قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله** » (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟، **قال: أمك**. قال: ثم من؟ **قال: أمك**. قال: ثم من؟ **قال: أمك**. قال: ثم من؟، **قال: أبوك** » (٤).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله. **قال: هل من والديك أحدٌ حي؟** ، قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العيدين) باب (سُنَّة العيدين لأهل الإسلام) ، برقم ٩٥٢ ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة العيدين) باب (الرخصة باللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد) ، برقم ٨٩٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر) ، برقم ٩١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (البر والصلة) ، برقم ٥٩٧٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (كون الإيمان بالله أفضل الأعمال) ، برقم ٧٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (البر والصلة) ، برقم ٥٩٧١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (بر الوالدين) ، برقم ٢٥٤٨ .

نعم بل كلاهما. قال: **فتبتغي الأجر من الله؟**، قال: نعم. **قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»** (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟، قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك.**

ثم قال رسول الله ﷺ: إقرأوا إن شئتم: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾** [محمد: ٢٢-٢٣] (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأ له أثره فليصل رحمه**» (٣).

وعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته.** قال: وما جائزته يا رسول الله؟، **قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» (٤).

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن**، قيل: من يا رسول الله؟، **قال: من لا يأمن جاره بوائقه**» (٥) - أي شره -.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب (البر والصلة) باب (بر الوالدين)، برقم ٢٥٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (من وصل وصله الله)، برقم ٥٩٨٧، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (صلة الرحم)، برقم ٢٥٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (الأدب) باب (من بُسط له في رزقه بصلة الرحم)، برقم ٥٩٨٦، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (صلة الرحم برقم)، ٢٥٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، برقم٦٠١٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (إثم من لا يأمن جاره بوائقه)، برقم ٦٠١٦.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** ، فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟، **قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره**» [١] .

أيها القارئ الكريم: ماظنك بمجتمع مستقيم على هذه التوجيهات وسائر عليها، أي ترابط يكون بين أفراده،وأي سعادة تغمر أبنائه؟!، لأن كل واحد يعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات،ومن حصل منه مخالفة مدوا إليه يد العون وأسدوا إليه النصح،ليرجع إلى جادة الصواب،يكمل بعضهم بعضًا،ويرحم بعضهم بعضًا فالأبوان ينعمان في ظل هذه التعاليم الربانية بالبر والإحسان والرعاية والإكرام ليس في يوم واحد من أيام السَنَة،بل في طيلة الحياة،وأبناء ينعمون برعاية الآباء والأمهات فهم المسئولون في الدرجة الأولى عن تربيتهم وتوجيههم،وتقويم أخلاقهم وتأديبهم، والجيران ينعمون بالإحسان المتبادل من بذل الخير بكافة صوره،وكف الأذى بكافة صوره وكل أحد يعرف حق أقاربه من صلة وإحسان ، وتعاون على البر والتقوى.

والضيف يعامل بالإكرام والإحسان ولا يشعر بغربة وإن كان بعيداً عن أهله وبلده ، لأنه بين إخوة في الدين له ما لهم وعليه ما عليهم.

والمظلوم يجد المجتمع من حوله خير معين له ونصير في الحق حتى ترد إليه مظلمته.

والفقير والمسكين واليتيم والأرملة ،وكل الضعفاء والمحتاجين ينعمون بعطف إخوانهم وإحسانهم وحمايتهم ،ومد يد العون إليهم، ودفع الضرر عنهم.

إن تلك التعاليم الربانية السامية كفيلة بترابط الأسر والمجتمعات ظاهرًا وباطنًا، بحيث يكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، فنحمد الله الذي هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإكراه) الباب (السابع) ، برقم ٦٩٥٢ .

[٨] أنه ﷺ حرَّر المرأة من ظلم أهل الجاهلية وأهل الكتاب:

لقد بعث الله محمداً ﷺ والمرأة مظلومة مهضومة تعامل كما يعامل سَقَطُ المتاع، حتى قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه «**والله ما كنا في الجاهلية نعد النساء شيئاً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل**» [١] .

فبعث الله نبيه ﷺ بهذا الدين القويم،فجعل المرأة درَّة مصونةً،وجوهرةً مكنونةً، حررها من ظلم الجاهلية،وأعطاها حقوقها الشرعية التي تناسب فطرتها وطبيعتها ، لا وكس ولا شطط،ومن ذلك ما يلي:

(١) كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياءً خشية العار أو الفقر ـ زعموا ـ فحرَّمت شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ذلك ونفرَّت عنه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾ [التكوير :٨-٩] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: [٢]

الموءودة : هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تُسأل الموءودة على أي ذنب قُتلَت ، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟. ا هـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

وهي ما كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب إلا خشية الفقر فتسأل: ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتلها . اهـ.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال**» [٣] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطلاق) باب (في الإيلاء واعتزال النساء) ، برقم ١٤٧٩ .
(٢) (٤/٦١٤) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإستقراض) باب (ما ينهى من إضاعة المال) ، برقم ٢٤٠٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجه) ، برقم ٢٦٢٩ .

ورتَّب الشرع على تربية البنات والصبر عليهن الأجر العظيم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار**» [١].

(٢) كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المرأة بدعوى أنه لا يرث إلا من حمل السلاح وركب الفرس، فأعطت شريعة نبينا محمد ﷺ المرأة حقها من الميراث، فورثتها أمَّاً وجدَّة وبنتاً وزوجة وأختاً.

(٣) كان أهل الجاهلية يزوجون المرأة دون علمها ولا إذنها ولا رضاها،فجاءت شريعة محمد بن عبد الله ﷺ وأعطت المرأة حقها في ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: «**لا تنكح الأيِّم** [٢] **حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن**» [٣].

(٤) بعث الله نبيه ﷺ ومن أنكحة الجاهلية ما يسمَّى بالشغار، يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك على أن أزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي، دون أن يعطي المرأة شيئاً من المهر ودون رضاها، فأبطل النبي ﷺ هذا النكاح الذي فيه ظلم للمرأة فقال: «**لا شغار في الإسلام**» [٤].

(٥) بعث الله نبيه ﷺ والرجل من أهل الجاهلية يطلِّق زوجته ما شاء ثم يراجع، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة:٢٢٩] ، فرفع الظلم عن المرأة بهذه الشريعة السمحة.

(٦) بعث الله نبيه محمداً ﷺواليهود إذا حاضت فيهم المرأة لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في بيت، فخالفهم رسول الله ﷺ في ذلك، وقال:«**إصنعوا كل شيء إلا النكاح**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (اتقوا النار ولو بشق تمرة) ، برقم ١٤١٨ ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (فضل الإحسان إلى البنات) ، برقم ٢٦٢٩ .

(٢) أي: الثيب .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (لا ينكح الاب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) ،برقم ٥١٣٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استئذان الثيب في النكاح) ، برقم ١٤١٩ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (تحريم نكاح الشغار وبطلانه) ، برقم ١٤١٥ .

فعن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت فيهم المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت ،فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى :﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

فقال رسول الله ﷺ : «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح ،فبلغ ذلك اليهود ،فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه**» (١) .

(٧) بعث الله نبيه ﷺ وأهل الجاهلية لايرون النساء شيئاً (٢) ، فأعطاهن رسول الله ﷺ حقوقهن وأوصى بهن خيراً .

فقد قال النبي ﷺ : « **إنما النساء شقائق الرجال** » (٣) .

وقال ﷺ : «**استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضِلَع ، وإن أعوج شيء في الضِّلَعِ أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ،فاستوصوا بالنساء خيراً**» (٤) .

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (٥)

وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن ،والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن ، وكراهية طلاقهن بلا سبب ، وأنه لا يطمع باستقامتها والله أعلم . اهـ.

وقال ﷺ : «**لا يفرك** (٦) **مؤمن مؤمنة ،إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»(٧) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (جواز غسل الحائض رأس زوجها وطهارة سؤرها) برقم ٣٠٢ .
(٢) كما في صحيح مسلم كتاب (الطلاق) باب (في الايلاء) ، برقم ١٤٧٩ .
(٣) أخرجه النسائي في سننه .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصاة بالنساء) ، برقم ٥١٨٥ ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصية بالنساء) ،برقم ٤٦٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) شرح مسلم (١٢ / ٤٧).
(٦) الفرك : البغض.
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصاة بالنساء) ،برقم ٤٦٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: [١]

أي ينبغي أن لا يبغضها،لأنه إن وجد فيها خلقاً يكرهه وجد فيها خلقاً مرضياً، بأن تكون شرسة الأخلاق لكنها ديِّنةً أو جميلةً أو عفيفةً أو رفيقةً به،أو نحو ذلك اهـ.

وقال ﷺ :«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [٢] .

وقال ﷺ :«**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً،وخيارهم خيارهم لنسائهم**»[٣] .

وحث النبي ﷺ على تعليم المرأة في عدة أحاديث منها:

[١] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدَّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمةٌ فأدَّبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**» [٤] .

[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [٥] . وهذا يشمل الرجال والنساء.

[٣]عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال :أتينا النبي ﷺ ونحن شببه متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً،فظن أنَّا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا،فأخبرناه،وكان رفيقاً رحيماً فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم،وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم**» [٦] .

[٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهنَّ يوماً لقيهنَّ فيه،فوعظهنَّ وأمرهنَّ فكان فيما قال لهنَّ: «**ما منكنَّ امرأة تقدِّم ثلاثة من أولادها إلا كان لها حجاباً من النار،**

---

(١)(١٢ / ٤٧) .

(٢)الطحاوي في مشكل الآثار (٣ / ٢١١) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٧٣) ، وصححه العلامة الألباني .

(٣)أخرجه الترمذي في سننه (٢ / ٢٠٤) وأحمد في مسنده (٢ / ٢٠٥ - ٤٧٢) ، وحسنه العلامة الألباني .

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (تعليم الرجل أمته وأهله) ، برقم ٩٧ .

(٥) **انظر** : صحيح الجامع برقم ٣٩١٣ .

(٦)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم) ، برقم ٦٠٠٨ .

فقالت امرأة: واثنين؟ ، **فقال: واثنين**» [١] .

[٨] ما كان عليه النبي ﷺ من حُسن العشرة مع أزواجه : فهو القائل ﷺ كما سبق: **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي** .

ويتضح ذلك في عدة أمـــور:

(أ) أنه كان في البيت في مهنة أهله ﷺ .

فعن الأسود بن يزيد رضي الله عنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟، قالت: كان يكون في مهنة أهله - يعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» [٢] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: [٣]

وفي الحديث : الترغيب في التواضع وترك التكبُّر ، وخدمة الرجل أهله اهـ.

وقال -رحمه الله -: [٤]

« قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع ، والبعد عن التنعُّم ، وامتهان النفس ، ليُستنَّ بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة » اهـ.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته قالت: « كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » [٥] .

(ب) أنه ﷺ ما عاب طعاماً قط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه » [٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم) ، برقم ١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج)،برقم ٦٧٦ .

(٣) (٢/١٩١) .

(٤) (١٠/٤٧) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٦) وغيره ، وهو حديث صحيح .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (لا يعاب الطعام) ، برقم ٢٠٦٤ .

(جـ) أنه ﷺ ما ضرب امرأة قط :

فعن عائشة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ قالت : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً بيده قط ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله ـ عز وجل ـ » (١) .

(د) رحمته ﷺ بأزواجه ـ رضي الله عنهن ـ وأمره سائق إبلهنَّ أن يرفق بهنَّ :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى على أزواجه وسوّاقٌ يسوق بهنَّ يقال له أنجشة . فقال : « **ويحك يا أنجشة ، رويداً سوقك بالقوارير** » (٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : كان لرسول الله ﷺ حادٍ حسن الصوت،فقال له رسول الله ﷺ « **رويداً يا أنجشة ، لا تكسر القوارير** » ـ يعني ضعفة النساء ـ (٣) .

وبعد كل ما سبق فلا يمتري ذو لبٍّ في أن الشريعة الإسلامية السمحة التي جاء بها محمد ﷺ قد أنصفت المرأة وأعطتها حقوقها العادلة ، بعدما ظلمتها الجاهلية كلُّها ، فحررها الإسلام من قيودها ، وكرَّمها وأعلى مكانتها باعتبارها إنساناً وبنتاً وزوجة وأُمًّا ، وعضواً في الأسرة والمجتمع.

كرَّمها إنساناً منذ أعلن أنها مكلفة كالرجل ، وأنها مثابة ومعاقبة مثله ، وأنها أحد شقي الإنسانية ، فلا بقاء للنوع بغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣٢٣ .
(٣) المصدر السابق.

ويقول الرسول ﷺ : « **إنما النساء شقائق الرجال** » .

❁ وكرَّمها بنتاً فأنكر أشد الإنكار وأدَها خشية الإملاق،أو خوف العار،أو لأي سبب كان،فلو لم يكن من فضل هذه الشريعة إلا تحريم هذه العادة القبيحة لكفاها فخراً .

❁ كما أوجب حسن تأديبها وتعليمها ورعايتها والإنفاق عليها حتى تتزوج ، وفرض على أبيها ألا يزوجها إلا برضاها وإذنها ، وإن كانت بكراً تستحي من إظهار الإذن والرضا بالقول فجعل إذنها صُماتها .

❁ وكرَّمها زوجةً ، فجعل لها مثل ما للرجل من الحقوق ، إلا في درجة القوامة والمسئولية عن الأسرة فجعلها للرجل ، لأنه أكثر بصراً بالعواقب من المرأة ، ولأنه الغارم في بناء الأسرة ، فيظل حريصاً على بقائها ، قال تعالى : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

❁ وأوجب لها النفقة وتمام الكفاية والمعاملة بالحسنى ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء: ١٩] .

❁ وكرَّمها أُمًّا ، وأمر بحسن مصاحبتها ومعاشرتها إكراماً لأمومتها ، وجزاءً لما عانت في سبيل أولادها ، قال تعالى : ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

❁ وكرَّمها باعتبارها عضواً مدنياً في الأسرة والمجتمع ، فأنكر اعتبارها عند موت زوجها شيئاً يورث كما يورث المتاع والدواب ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا** ﴾ [النساء: ١٩] .

❁ وقرر أهليتها للتملك والبيع والشراء وسائر العقود،فهي تملك كما يملك الرجل، قال تعالى : ﴿ **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ [النساء: ٣٢] .

❁ وأصبح لها حظ من الإرث الذي كان من قبل مقصوراً على الرجال،قال تعالى : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)** ﴾ [النساء: ٧] .

وجعل لها حقاً ـ بل واجباً ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس ذلك مما قصر على الرجال في المجتمع المسلم ، قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وفسح لها مجالاً لمشاركة الرجال في ميادين الجهاد فيما يلائم طبيعتها مثل الإسعافات الأولية والتمريض والخدمات ، وعند الضرورة يمكن أن تحمل السلاح وتقاتل ، كما فعل ذلك كثير من نساء الصحابة رضي الله عنهم في غزوات رسول الله ﷺ .

وجعل طلب العلم فريضة عليها كما على الرجال ، ولهذا رأينا منهن العالمات والأديبات والشاعرات ، والحافظات المُسْنِدات في علم الحديث يرحل إليهنَّ الحفاظ والمحدثون ، ويأخذون عنهنَّ بغير تأثُّم ولا حرج ـ من وراء حجاب ـ كما سجل ذلك تأريخ علم الحديث » [١]

[٩] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية بشريعة سمحة ليس فيها آصار ولا أغلال ولا حرج:

قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

---

(١) شريعة الإسلام خلودها وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ص (٤٧-٤٩) ، باختصار .

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كُلِّفْنا ما نطيق ، الصلاة والصيام والصدقة ، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله: « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ، فلما إقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل عز وجل: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ قال الله تعالى :(نعم) .

﴿ **رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ﴾ قال الله تعالى :(نعم) .

﴿ **رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ قال الله تعالى : (نعم) .

﴿ **وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ قال الله تعالى: نعم » [١] .

وفي رواية أخرى بعد كل دعاء مما سبق يقول الله سبحانه وتعالى: قد فعلت[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :«إني أرسلت بالحنيفية السمحة»[٣] .

[١٠] أنه ﷺ حمل إلى البشرية التيسير والتبشير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة**» [٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكلف إلا ما يطيق) ، برقم ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق برقم ٢٠٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ١١٦) وغيره ، وسنده حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدين يسر) ، برقم ٣٩ .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «**بشروا ولا تنفروا ، ويسِّروا ولا تعسروا**» (١) .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن قال « **يسِّرا ولا تعسِّرا ،وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا** » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **يسِّروا ولا تعسِّروا ، وسكِّنوا ولا تنفِّروا**» (٣) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: (٤)

« المراد تأليف من قرُبَ إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل ، وكذلك تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حُبِّب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته الازدياد ، بخلاف ضده ، والله أعلم . اهـ.

[١١] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بنبذ الغلو والتنطع والتطرف:

وذلك أن الله جعل هذه الأمة وسطاً بين الأمم في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها ، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[البقرة : ١٤٣] .

والوسط : العدل الخيار، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا جفاء.

وقد عاب الله على أهل الكتاب الغلو في الدين فقال: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن) ، برقم ٤٣٤١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري كتاب (العلم) باب (ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) ، برقم ٦٩ ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٤ .

(٤) (١/ ١٩١) .

السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة : ٧٧] .

وبعث الله نبينا محمداً ﷺ برفع الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا بشريعة سمحة ، من قواعدها : (رفع الحرج) ، ومن قواعدها :(أن المشقة تجلب التيسير) ومن قواعدها : (لا واجب بلا اقتدار ، ولا محرم مع اضطرار) ومن قواعدها (أن الضرر يزال ، فلا ضرر ولا إضرار) .

ونبينا محمد ﷺ « ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه » [١] .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : كان رسول الله إذا بعث أحداً من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره قال : **«بشروا ولا تنفروا ، ويسِّروا ولا تعسروا»** [٢] .

ولما بعث رسول الله معاذاً وأبا موسى إلى اليمن دعاةً أوصاهما فقال : « **يسَّرا ولا تعسَّرا ،وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**» [٣] .

وقال رسول الله ﷺ : «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً [٤] .

وهذه الجملة يمكن أن تكون:

(١) **إنشائية** : يراد بها الدعاء،ومن دعى عليه النبيﷺعظمت مصيبته وخاب سعيه .

(٢) **خبرية** : بحيث أخبر النبي ﷺ عن مصير الغالي وعاقبته .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « غداة جَمْعٍ [٥] : **هلمَّ القط لي الحصى**، فلقطت له حصيات من حصى الخذف،فلما وضعها في يده، **قال : بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ . من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن) ، برقم ٤٣٤١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (القدر) باب (هلك المتنطعون) ، برقم ٢٦٧٠ .

(٥) أي صبيحة يوم مزدلفة .

الغلو في الدين»[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [٢]

وهذا عام في جميع الغلو في الاعتقادات والأعمال ،وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمرات،وهذا داخل فيه مثل الرمي بالحجار الكبار بناءً على أنها أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم - أي هدي من كان قبلنا - إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك .اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً،فقال رسول الله ﷺ : **لو قلت :«نعم» لوجبت ،ولما استطعتم ،ثم قال: ذروني ما تركتكم ،فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**» [٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها. فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر:أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**» [٤] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ وعندها امرأة فقال: من هذه؟، قلت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «**مه ،عليكم بما تطيقون ،فوالله لا يمل الله حتى تملوا ،**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢١٥-٣٤٧) وابن خزيمة (٤/ ٢٦٧-٢٦٨) والنسائي (٥/ ٢٦٨) ، وابن ماجة برقم (٣٠٢٩) والحاكم ١/ ٤٦٦) وهو حديث صحيح صححه جماعة من الأئمة.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (فرض العمرة) ، برقم ١٣٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الترغيب في النكاح) ، رقم ٥٠٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه) ، برقم ١٤٠١ .

وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» (١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله»** (٢) .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال: **«السيد الله تبارك وتعالى.** قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ، ولا يستجيرنكم الشيطان»** (٣) .

[١٢] أنَّه ﷺ بُعث إلى البشرية بالرحمة والعدل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين، فقال ﷺ : **«إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة»** (٤) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »** (٥) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن المقسطين** ـ أي العادلين ـ **عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»** (٦) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»** (٧) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«من قتل معاهداً لم يرح**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أحب الدين إلى الله أدومه) ، برقم ٤٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضيلة العمل الدائم برقم ٧٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(أحاديث الأنبياء)باب قوله تعالى﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ برقم ٣٤٤٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٥) وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (كراهية التمادح) ، برقم ٤٨٠٦ ، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن لعن الدابة وغيرها) ، برقم ٢٥٩٩ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة النبي ﷺ بالصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٩ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل) ، برقم ١٨٢٧ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم) ، برقم ٢٥٧٨ .

رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا» (١) .

وقال ﷺ : «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة**» (٢) .

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّن عقدة ولا يشدها حتى يمضي أمدها أو ينبذ إليهم على سوء**»(٣).

[١٣] أنه ﷺ بُعِثَ إلى البشرية بالحثّ على إعمال العقل واستغلاله.

لقد جاءت شريعة محمد ﷺ بما يوافق العقول السليمة والفطرة المستقيمة ، فلم يأمر الشرع بأمر قط فقال العقل: ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيء قط فقال: العقل ليته أمر به.

وزوال العقل في الشريعة الإسلامية من موانع التكليف، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بإعمال العقل واستغلاله حسب ما يحبه الله ويرضاه، فقد وردت أحاديث نبوية عديدة تحث على البحث العلمي وإجراء التجارب إعمالاً للعقل واستغلالاً له، وسأكتفي هنا بإيراد حديثين للدلالة على ذلك، وقد سبق مزيد بيان لهذا في دلائل النبوة في الفصل الذي عقد لبيان الإعجاز العلمي في السُّنَّة المطهرة.

أما الحديثان المشار إليهما آنفاً فهما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

❁ قال رسول الله ﷺ : « **ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء**» (٤) .

❁ وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ـ عز وجل ـ** » (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من قتل معاهداً) ، برقم ٣١٦٦ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الخراج والإمارة) باب (في تعشير أهل الذمة) ، برقم ٣٠٥٢ . والبيهقي في سننه (٩ / ٢٠٥) وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٣) أخرجه أحمد في مسندة (٤ / ٣٨٥-٣٨٦)، والترمذي في سُننه في كتاب(السير عن رسول الله ﷺ) باب (ما جاء في الغدر) ، برقم١٥٨٠ والطيالسي في مسنده (١ / ٢٤٠) وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) ، برقم ٥٦٧٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (السلام) باب (لكل داء دواء واستحباب التداوي) ، برقم ٢٢٠٤ .

فعند أن يقرر نبينا ﷺ هذا التقرير الجازم بوحي من الله أنه ليس هناك داءٌ إلا وله دواء ، فإنه بهذا يفتح آفاق العلم والمعرفة والبحث العلمي، وإجراء الاختبارات على مصاريعها لاكتشاف الأدوية لتلك الأدواء التي كان الإنسان يقف مكتوف الأيدي مستسلماً للأمراض ، ولا يدري كيف يتخلص منها، فأرشده نبينا ﷺ ضمناً إلى أن لا ييأس ، وإنما يبحث ويعمل عقله حتى يصل إلى نتيجة ، والله أعلم.

وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمثلة من سيرة النبي ﷺمع أصحابه يحثُّ فيها على الانتفاع بنعمة العقل والاستفادة منه:

[١] بوَّب الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه في كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

ثم أورد تحته حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال: «**إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي؟**، قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله. **قال: هي النخلة** » (١) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٢)

في الحديث من الفوائد : امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى،مع بيانه لهم إن لم يفهموه.

وقال أيضاً: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني،لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة . اهـ.

[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى أعرابي إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسوداً وإني أنكرته. فقال النبي ﷺ : «**هل لك من إبل؟**، قال: نعم. **قال: ما ألوانها؟** ، قال: حمر. **قال: فهل فيها من أورق؟** ، **قال: نعم.**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة) باب (مثل المؤمن مثل النخلة) ، برقم ٢٨١١ .

(٢) (١/١٧٦-١٧٧) .

قال رسول الله ﷺ : **فأنى هو ؟** ، قال: لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له. فقال له النبي ﷺ : **وهذا لعله يكون نزعه عرق له»** (١) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٢)

وفي الحديث ضرب المثل ، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل.

واستُدلَّ به لصحة العمل بالقياس.

قال الخطابي: هو أصل في قياس الشبه.

وقال ابن العربي: فيه دليلٌ على صحة القياس والاعتبار بالنظير . اهـ.

وأما القرآن الكريم الذي بلَّغه الرسول ﷺ عن الله ، ففيه الشيء الكثير،ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (٥٣) ﴾ [فصلت :٥٣] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في التفسير: (٣)

أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسوله ﷺ بدلائل خارجية؛ ﴿ **فِي الآفَاقِ** ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد والحسن والسدّي: ودلائل في أنفسهم ،قالوا :وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلّت بهم، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدالة على حكمة الصانع ـ تبارك وتعالى ـ وكذلك ما هو مجبولٌ عليه من الأخلاق المتباينة ، من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (إذا عرَّض بنفي الولد) ، برقم ٥٣٠٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (اللّعان) ، برقم ١٥٠٠ ، واللفظ للمسلم.

(٢) (٩/٣٥٣) .

(٣) (٣/١٣٣) .

حسن وقبح ، وغير ذلك ،وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي يقدر بحوله وقوّته، وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها . اهـ.

وقال تعالى :﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾ [الغاشية :١٧ـ ١٩] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

يقول تعالى ـ حثًّا ـ للذين لا يصدقون الرسول ﷺ ولغيرهم من الناس أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالّة على توحيده ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ أي : ألا ينظرون إلى خلقها البديع ،وكيف سخرها الله للعباد ،وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها .

﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ بهيئة باهرة حصل بها الاستقرار للأرض وثباتها من الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع .

﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أي مدَّت مداً واسعاً ، وسهلت غاية التسهيل ليستقر العباد على ظهرها،ويتمكنوا من حرثها وغرسها،والبنيان فيها وسلك طرقها .

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دلَّ على ذلك النقل والعقل ، والحس والمشاهدة . اهـ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله - في تفسيره:

في ضمن ذلك حثٌّ للعباد على التفكر فيها ،والتبصر بآياتها ، وتدبر خلقتها .

وأبهم قوله : ﴿ آيَاتٍ ﴾ ولم يقل :« على المطلب الفلاني » إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين،ويقنع المتفكرين،ويجذب أفئدة الصادقين ، وينبه العقول النيِّرة على جميع المطالب الإلهية .

فأمَّا تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن مخلوقاً أن يحصره ويحيط ببعضه ،وفي الجملة : فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها وعظمة سلطانه وشمول قدرته،وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنع ولطائف الفعل يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها وسعة علمه،وما فيها من الإحكام،وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله وعموم فضله وشمول بِّره ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها،وبذل الجهد في مرضاته،وأن لا يشرك به سواه ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخصَّ الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم، لا بأبصارهم . اهـ.

ففي القرآن الذي جاء به محمدٌ بن عبد الله ﷺ من عند الله أوضح الدلالات على حثّ الإنسان على إعمال عقله واستغلاله فيما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه،فقد حثَّه القرآن الكريم على التفكر في نفسه ،وفي الأرض التي يعمرها،وفي الكون الذي يحيط به، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)﴾[الروم:٨].

✿ وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذاريات :٢٠-٢١].

✿ وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾ [الطارق : ٥-٧].

✿ وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾ [الأنبياء : ٣٠].

✿ وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١)﴾ [الرحمن : ١٩-٢١].

✿ أليس في هذا حثٌّ للعقل البشري أن يبحث ويتدبَّر؟.

✿ أليس في القرآن ما يثير في الإنسان الحسَّ العلميَ للتفكر والفهم والتعقل؟ بلى والله.

✿ قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

✿ وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

✿ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

✿ وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾.

[العنكبوت: ٤٣].

✿ وقال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

✿ وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر: ٢٧].

[١٤] أنه ﷺ بُعِثَ إلى البشرية بالدعوة إلى التآلف والتعاطف والتحاب والتكافل، ونبذ أسباب الفرقة والعداوة والبغضاء، كل ذلك حسب شريعة الله.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم)، برقم ٦٠١١، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم)، برقم ٢٥٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الإيمان) باب(من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، برقم ١٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، برقم٤٥.

ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ ، أفشوا السلام بينكم» (١) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»** (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً»** (٣) .

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ،فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري :يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: **ما بال دعوى الجاهلية؟** ، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: **دعوها فإنها منتنة»** (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا ،ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض،وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ،بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ،كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه»** (٥) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان أنَّه لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون)، برقم ٥٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم)، برقم ٢٥٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ ﴾ برقم ٦٠٦٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم والتجسس)، برقم ٢٥٦٣ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً)، برقم ٢٥٨٤ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم ظلم المسلم) ،برقم ٢٥٦٤ .

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [١] .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»** [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فَيُغْفَرُ لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ،فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا »** [٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«حق المسلم على المسلم ست ،** قيل: ما هنَّ؟ يا رسول الله. **قال : إذا لقيته فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه»** [٤] .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**« إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام ، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**[٥] **التي تدفع بأنفها النتن»** [٦] .

وقد كان من أوائل ما فعل النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، ليتكون مجتمعٌ مسلمٌ مترابطٌ متلائمٌ يمثل النواة الأولى للدولة الإسلامية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (الهجر) ، برقم ٦٠٧٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الهجر فوق ثلاث لغير عذر شرعي) ، برقم ٢٥٦٠ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن الشحناء والتهاجر) ، برقم ٢٥٦٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (حق المسلم على المسلم) ، برقم ٢١٦٢ .

(٥) مفردها جُعَل: وهو حيوان معروف كالخنفساء.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٢) ، وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (في العصبية) ، برقم ٥١١٦ ، وحسّنه العلامة الألباني -رحمه الله-.

التي انتشرت بعد ذلك في أرجاء الأرض.

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في التآخي والمحبة والإيثار، يدل على صدقهم وعظيم رغبتهم فيما عند الله،ومن ذلك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري،فقال له سعد: هلُم أقاسمك مالي نصفين،ولي امرأتان فأطلق إحداهما،فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك،دلّوني على السوق، فدلُّوه، فما رجع يومئذٍ إلا ومعه شيء من أقط وسمن قد استفضله» (١) .

[١٥] أنّه ﷺ بُعِثَ إلى البشرية بحقن الدماء وحفظ الأموال والأعراض والعقول:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السَنَة إثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا؟** قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال أليس ذو الحجة؟**، قلنا: بلى. قال: **فأي بلد هذا؟**، قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال: أليس البلدة؟** قلنا: بلى. **قال: فأي يومٍ هذا؟** قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال: أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى. **قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب**» (٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مُسكر خمر، وكل مُسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب، لم**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في مواساة الأخ)، برقم ١٩٣٣، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (حجّة الوداع) ،برقم ٤٤٠٦، ومسلم في صحيحه، باب (تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال)، برقم ١٦٧٩ .

يشربها في الآخرة»[١] .

[١٦] أنّه ﷺ دل أمته على الطريقة المثلى في التعامل مع الحكام الظلمة والفسقة من المسلمين ، ومن ذلك:

(أ) أمره ﷺ بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم بالمال والأعمال :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبراً فمات عليه ، إلا مات ميتة جاهلية**»[٢] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه،فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا،وعسرنا ويسرنا،وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[٣] .

وعن أسيد بن حضير أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استعملت فلان ولم تستعملني . قال: «**إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**»[٤] .

(ب) أمره ﷺ بطاعة الأمراء ، وإن منعوا الحقوق :

عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: «سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه،ثم سأله فأعرض عنه،ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله ﷺ : **اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**»[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (بيان أن كل مسكر خمر) ، برقم ٢٠٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)، برقم ٧٠٥٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن)، برقم ١٨٤٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)،برقم ٧٠٥٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٧٠٥٧ ، ومسلم في صحيحه) باب (الأمر بالصبر عند ظلم الولاة) ، برقم ١٨٤٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق) ، برقم ١٨٤٦ .

(جـ) أمره ﷺ بالسمع والطاعة وإن أخذ الأمير المال وضرب الظهر وخالف السُّنن حفاظاً على الجماعة ودرءاً للفتنة :

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إنَّا كُنَّا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير فنحن فيه،فهل بعد هذا الخير شر؟ **قال: نعم**.قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ **قال: نعم**. قلت: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟، **قال: نعم**. قلت: كيف؟ ،**قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسُنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**. قلت: كيف أصنع إن أدركت ذلك؟، **قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع** » (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (٢)

بعد أن ذكر الأحاديث التي تأمر بالصبر على جور السلطان: « فأمر مع ذكره لظلمهم بالصبر، وإعطاء حقوقهم،وطلب المظلوم حقه من الله،ولم يأذن للمظلوم المبغي عليه بقتال الباغي في هذه الصور التي يكون القتال فيها فتنة ،كما أذن في دفع الصائل بالقتال،حيث قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، من قتل دون دينه فهو شهيد**» ، فإن قتال اللصوص ليس قتال فتنة،إذ الناس كلهم أعوان على ذلك ، فليس فيه ضرر عام على غير الظالم ،بخلاف قتال ولاة الأمر، فإن فيه فتنة وشراً عاماً أعظم من ظلمهم، فالمشروع فيه الصبر. اهـ.

وقال -رحمه الله -: (٣)

ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السُّنَّة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم،كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ،لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة،فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما،ولعله لا يكاد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب(الإمارة) باب(وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) برقم١٨٤٧ .
(٢) الاستقامة (١/٣٥-٣٦) .
(٣) منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٩).

يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته . اهـ.

(د) حثه ﷺ على إنكار المنكرات ـ بالضوابط الشرعية ـ دون لجوءٍ إلى قتال وإثارة فتنة.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع**. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ ، **قال: لا. ما صلوا**» [1] .

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: [2]

«النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر،ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله،فإذا كان الإنكار يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره،وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله،وهذا كالإنكارعلى الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة »، وقال: «**من رأى من أميره ما يكره فليصبر ، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة**» .

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار،رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه،فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها،بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت وردِّه على قواعد إبراهيم،ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك،لقرب عهدهم بالإسلام،وكونهم حديثي عهدٍ بكفر،ولهذا لم يأذن في الإنكارعلى الأمراء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا) ، برقم ١٨٥٤ .

(٢) إعلام الموقعين (٣/٦-٧).

باليد ، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ،كما وجد سواء . اهـ.

(هـ) حذَّر وانذر مَنْ صدَّق الأمراء الكَذَبة،وأعانهم على ظلمهم دون أن يأذن بقتالهم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لكعب بن عجرة: « **أعاذك الله من إمارة السفهاء**، قال: وما إمارة السفهاء؟، **قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسُنَّتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ،فأولئك ليسوا مني ولست منهم ،ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ،وسيردون على حوضي**» [١] .

[١٧] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية بالدعوة إلى اليقين والطمأنينة،ونبذ القلق والشكوك والأوهام:

ويتضح ذلك بما يلي:

(أ) دعوته ﷺ إلى إفراد الله بالعبادة دون ما سواه، بحيث :

لا يبقى القلب متعلقاً إلا بالله ،فلا تعلق بقبرٍ ولا شجرٍ ولا حجرٍ ولا إنسٍ ولا جنٍ، لأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، بيده النفع والضر، إذا اعتقد العبد هذا أراح واستراح وعاش مطمئناً هادئ البال منشرح الصدر، آمناً من عذاب الله ، لأن الشرك بالله أعظم ما عُصِيَ الله به .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد**؟ ، قلت: الله ورسوله أعلم. ، **قال: حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً. يا معاذ بن جبل ، هل تدري ماحق العباد على الله إذا فعلوه؟** قلت: الله ورسوله أعلم. **قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم**» [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**» [٣] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٣٢١) وغيره ، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (اللباس) باب (إرداف الرجل خلف الرجل) ، برقم ٥٩٦٧ ومسلم كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) ، برقم ٣٠ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) برقم ٢٧ .

(ب) دعوته ﷺ إلى الإيمان بالقضاء والقدر مع الأخذ بالأسباب المشروعة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خيرٌ . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لم يصبني كذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان»** (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال : «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان لابدَّ متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ،وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**» (٣) .

(جـ) حثه ﷺ على الإعراض عن الوساوس التي يلقيها الشيطان ليشكك المسلم في عقيدته ، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يأتي الشيطان لأحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ ، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**» (٤) .

(د) تحذيره ﷺ من سوء الظن:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**إياكم والظن ، فإن الظن أكذب**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (القدر) باب (الأمر بالقوة وترك العجز) ، برقم ٢٦٦٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (القيامة والرقاق) ، برقم ٢٦٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (الدعاء بالموت والحياة) ، برقم ٦٣٥١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الذكر والدعاء) باب (كراهية تمني الموات لضر نزل به) برقم ٢٦٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق) باب (صفة إبليس وجنوده) ،برقم ٣٢٧٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان الوسوسة في الإيمان) ، برقم ١٣٤ .

الحديث» (١) .

ثانياً: الخير الآجل الذي سيقدمه ﷺ للبشرية :

وهو على قسمين خير سيقدمه للبشرية جمعاء،وخيرٌ سيقدمه لأمَّته خاصَّة:

أولاً: الخير الذي سيقدمه للبشرية عموماً ومنهم أمَّته :

[١] الشفاعة للناس يوم القيامة إلى الله ليريحهم من هول ما في الموقف وشدته:

وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله عنه : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء : ٧٩] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (٢)

قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . اهـ.

عن عبد الله بن عمر ﭬ قال :قال رسول الله ﷺ : «**إن الشمس تدنو من الخلائق حتى يبلغ العرق نصف الآذان ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده الجميع كلُّهم**» (٣) .

والعلماء يذكرون في هذا الموضع حديث الشفاعة الطويل:

عن أبي هريرة ﭬ قال : أُتيَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم ،فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ،فنهس منها نهسة ،فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ،وهل تدرون بم ذلك ؟ ، يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحدٍ، فيسمعهم الداعي ،وينفذهم البصر وتدنو الشمس ،فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ،ألا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ برقم ٦٠٦٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظن والتجسس) ، برقم ٢٥٦٣ .

(٢) (٧٩/٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (من سأل الناس تكثيراً) ، برقم ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ .

ترون ما قد بلغكم؟ ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ ،فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم .

فيقولون :يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ،ونفخ فيك من روحه ،وأمر الملائكة فسجدوا لك ،اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ ، فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي . اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام .

فيأتون إلى إبراهيم عليه السلام فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم إبراهيم عليه السلام : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ،فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ،ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم موسى : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ،نفسي نفسي ،اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون :يا عيسى أنت رسول الله ،وكلمت الناس في المهد ،وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم عيسى عليه السلام :إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ،ولم يذكر لهم ذنباً ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى محمد .

فيأتونني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح عليَّ الله ويلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك . سل تعطه ، اشفع تشفع ،فأرفع رأسي فأقول : يا رب أُمَّتي أُمَّتي ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر أو كما بين مكة وبصرى» [١] .

[٢] الشفاعة يوم القيامة لأهل الجنة بدخول الجنة :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**» [٢] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن :من أنت؟ ، فأقول :محمد .فيقول :بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك**»[٣] .

ومن تأمل فيما سبق يجد عظيم ما تسبب به نبينا محمد ﷺ للناس من الخير يوم القيامة،إذ بشفاعته أراح الناس من أهوال الموقف وشدته وكربه،وعند وصول أهل الجنة إلى أبواب الجنة وجدوا الأبواب مغلقة، فيشفع للناس بدخول الجنة ويستفتح لهم .

ثانياً: الخير الذي سيقدِّمه ﷺ لأمَّته:

لقد تسبب نبينا محمد ﷺ في خير كثير لأمته في الدنيا والآخرة،فكل خصائص أمته من الخير الذي نالوه ببركة بعثته واتباعه .

ومن الخير الذي يكون لأمته يوم القيامة ببركة بعثته إليهم وإكرام الله له وإتباعهم له ما يلي :

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ برقم ٤٧١٢ ، واخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ، برقم ١٩٥

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (قول النبي ﷺ : **(أنا أول من يشفع في الجنة)**) برقم ١٩٦ .

(٣) المصدر السابق برقم ١٩٧ .

(١) أن أمته ﷺ أول الأمم يقضى لها يوم القيامة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ،وكان للنصارى يوم الأحد ،فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ،فجعل الله الجمعة والسبت والأحد ،وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ،نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ،المقضي لهم قبل الخلائق** » ، وفي رواية واصل : **المقضي بينهم** » [١] .

(٢) أنه ﷺ يشفع لمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون منها :

ففي بعض ألفاظ حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ: فيأتونني فأنطلق ، فأستأذن على ربي فيأذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،ثم يقال لي : ارفع محمد ،قل يسمع ،وسل تعطه ،واشفع تُشفَّع ،فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ،ثم أرجع ،فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،ثم يقال :ارفع محمد وقل يسمع ، وسل تعطى ،واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع ،فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أرجع ،فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ثم يقال : ارفع محمد ،قل يسمع وسل تعطه واشفع تُشَفَّع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود ، فقال النبي ﷺ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة..... ثم ذكر ما يزن بُرَّة ثم ذكر ما يزن ذرَّة » [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً ، لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** » [٣] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة) برقم ٨٥٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾) برقم ٧٤١٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة) برقم ١٩٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (اختبأ النبي ﷺ دعوته الشفاعة لأمته) برقم ١٩٨ .

(٣) أن الله يدخل من أمته ﷺ الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرةً عليه فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، **قال: اللهم اجعله منهم**. ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. **فقال: سبقك بها عكاشة**» (١) .

(٤) أن أمته ﷺ أول الأمم دخولاً الجنَّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنَّة**» (٢) .

(٥) أن أمته ﷺ أكثر أهل الجنَّة :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: **أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**، قلنا: نعم. قال: **أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنَّة؟** ، قلنا: نعم. **قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنَّة؟** ، قلنا: نعم. قال: **والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وذلك أن الجنَّة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**» (٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أهل الجنة عشرون ومئة صف ثمانون منها من هذه الأمَّة وأربعون من سائر الأمم**» (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الرقائق) باب (يدخل الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب) برقم ٦٥٤٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بلا حساب ولا عذاب) ، برقم ٢١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الحشر) ، برقم ٦٥٢٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (كون هذه الأمة نصف أهل الجنَّة) ، برقم ٢٢١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٥٣) ، والترمذي في سننه كتاب (صفة الجنة) باب (ما جاء في صفِّ أهل الجنة) ، برقم ٢٥٤٦ وغيرهما ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

فصل في
شهادات بعض علماء وفلاسفة ومفكري ومستشرقي الغرب

لقد اطلع بعض علماء ومفكري الغرب وخاصَّة المستشرقين منهم على شيء من سيرة نبينا ﷺ العطرة في سلمه وحربه مع أوليائه وأعدائه،واطلعوا على بعض جوانب الدين الإسلامي الحنيف، فلم يجدوا بُدًّا من تسطير شهاداتهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وسماحته وسماحة دينه وعلو رتبته، ليحفظها التاريخ حجة عليهم وعلى بني جلدتهم ، ويكون فيها عظةٌ وعبرةٌ للمخدوعين من جهلة المسلمين بثقافة الغرب وقوانينهم ، وإلا فنحن ولله الحمد على يقين بديننا وصدق نبينا ﷺ وبينة من أمرنا ، وإليك بعض أقوالهم:

[١] مايكل هارت في كتابه : «مئة رجل من التاريخ» :

فقد بدأهم بنبينا ﷺ ثم قال معللاً ذلك: إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القُرَّاء،ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي.

فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية،أو يشاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليها سواهم كموسى في اليهودية،ولكنَّ محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته،ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحد القبائل في شعب، والشعب في أمة ، ووضَّح لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دينها ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم ، أيضاً في حياته فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها. اهـ .

[٢] (ليف تولستوي) :

الأديب العالمي الذي يعد أدبه ـ كما قيل ـ من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية قال: يكفي محمداً فخراً أنه خلَّص أمة ذليلة دموية من مخالب شيطان العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم ، وإنَّ شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة .

[٣] آن بيزيت: صاحب كتاب (حياة وتعاليم محمد) دار مادرس للنشر١٩٣٢م:

قال : من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم،ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علَّم الناس إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل أحد رسل الله العظماء ، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياءً قد تكون مألوفة للعديد من الناس ، فإني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم .

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ، ثم لما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟ ، ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص .

فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن ، لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه،أوالحصول على شيءٍ يعود بالنفع على أصحابه، أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية .

[٤] برنارد شو الانجليزي له مؤلف سماه (محمد):

قال : إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد ؛ هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بيِّنة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا) .

إن رجال الدين في القرون الوسطى ونتيجة للجهل أو التعصُّب قد رسموا لدين محمد صورةً قاتمةً. لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية ، بل يجب أن يسمَّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفِّق في حل مشكلاتنا بما يؤمِّن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها .اهـ

[٥] السير موير الإنجليزي في كتابه (تاريخ محمد) :

قال : إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحُسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمرٍ فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبيرٌ به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم.

[٦] سنرستن الآسوجي أستاذ اللغات الساميــة ومحرر مجلة العالم الشرقي ومؤلف كتاب (تاريخ محمد) يقول:

إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمدٌ معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مصِّراً على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ . اهـ .

[٧] مونتجومري وات في كتابه «محمد في مكة» ١٩٥٣ م صفحة ٥٢ .

قال : إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ،كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه، فافتراض أن محمداً مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعله محمد .

[٨] بوسورث سميث في كتابه (محمد والمحمدية) لندن ١٨٧٤ م صفحة ٩٢.

قال : لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد، لكن لم تكن لديه

عجرفة رجال الدين كما لم تكن له فيالق مثل القياصرة ،ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت.

إذا كان لأحدٍ أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد ، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

[٩] إدوارد جيبون وسيمون أوكلي في كتابه (تاريخ إمبراطورية الشرق) لندن ١٨٧٠ م صفحة ٥٤ :

قال: ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار،وإنما استمراريتها وثباتها على مرِّ العصور، فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن ، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، هي ببساطة شهادة الإسلام ، ولم يتأثر إحساسهم بإلوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر ، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين.

[١٠] المستر سنكس مستشرق أمريكي ولد في بلدته بالاي صاحب كتاب: (ديانة العرب):

قال: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة.

إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي

الكهان ،ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة.

[١١] الدكتور زويمر مستشرق كندي قال في كتابه الشرق وعاداته:

إن محمداً كان لا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً ، وبليغاً فصيحاً ، وجريئاً مغواراً ، ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء.

[١٢] سانت هيلر مستـــشرق ألماني ولد في درسدن ١٧٩٣ - ١٨٨٤-م ، قال في كتابه (الشرقيين وعقائدهم):

كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه ،وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد ، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة.

[١٣] البروفسور رما كريشنا راو قال في كتابه " محمد النبي ":

لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها،ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة،فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال،ومحمد رجل السياسة ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح،ومحمد ملاذ اليتامى وحامي العبيد،ومحمد محرر النساء،ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً» .

[١٤] المفكر الفرنسي لامـــارتين قال في كتاب " تاريخ تركيـــا " الجزء الثاني صفحة - ٢٧٦ - ٢٧٧:

إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة

لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيّاً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (ﷺ) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة،وسنوا قوانين، وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم.

لكن هذا الرجل (محمد) ﷺ ـ لم يقد الجيوش ويسن القوانين ويقيم الإمبراطوريات ،ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ ، ليس هذا فقط، بل إنَّه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (ﷺ) موجهاً بالكلية إلى هدف واحد ،فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك، حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (ﷺ) وانتصاره بعد موته،كل ذلك لا يدل على الغش والخداع، بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطي النبي الطاقة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله،والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

[١٥] يقول المؤرّخ والفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ٦٠٥:

الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم. اهـ.

خلاصة القول في سيرته ﷺ وسنته والدين الحق الذي بعث به

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ في كتابه السياسة الشرعية:

نبذة من أخلاقه وأوصافه ﷺ ، وشيء من سيرته الدالة على أنه رسول الله حقاً ، وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الإيجاز .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ [القلم : ٤] ، من نظر إلى سيرته ﷺ في مبدأ أمره ومنتهاه وبين ذلك وتطورات أحواله، وما حصل بذلك من الأحوال والانقلاب العجيب في العقائد والأخلاق والآداب والتشريع العادل الرحيم والخير والرحمة مما لم يعهد له نظير في تاريخ البشر، وبعدما كانت الأرض مملوءة من الشرك والوثنية المستولية على عقول أكثر الخلق والإلحاد والظلم والشر والفساد وسفك الدماء وقطيعة الأرحام والمعاملات السيئة بكل وجوهها، استبدلت بأضدادها من عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله ، والقيام بعبوديته التي خلق لها الخلق، وبالقسط والعدل في جميع الحقوق، وبصلة الأرحام، والإحسان إلى جميع طبقات الخلق، عرف أن هذا من أكبر براهين رسالته ﷺ، وكمال دينه وشريعته، وأنه أعظم مرشد ومصلح للبشرية على الإطلاق . فقد كان ﷺ معروفاً بين قومه قبل بعثته بالصدق الكامل، والأمانة التامة، والبر والعدل ومكارم الأخلاق، متربياً على الأخلاق الجميلة، متنزهاً عن الأخلاق الرذيلة، لا يعرف له شيء يعاب به لا قليل ولا كثير، ولا جرب عليه كذبة واحدة ولا خيانة ولا ميل في شيء من أقواله وأفعاله .

وكان نقي القلب، ناصحاً للقريب والبعيد، وصولاً للأرحام، موفياً بالعهد والذمام، حاملاً للكلّ، معيناً على نوائب الحق، متواضعاً لله ولعباد الله. حليماً صبوراً عفواً محسناً، كامل العقل والرأي، حازماً مسدّداً موفقاً في حركاته وسكناته، مع أنه قد نشأ مع أمة أمية لا تعرف الكتب ولا تدرس الشرائع، وهو في نفسه لا يقرأ ولا يكتب ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) ﴾ [العنكبوت:٤٨] ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص:٨٦] ، فلم يزل محبباً له الخير، فعالاً له متنزهاً عن جميع الشرور، حتى فاجأته الرسالة والوحي من الله تعالى، ورحم الله به الخلق ، فجاءهم برسالة عظيمة عامة فيها صلاح البشر كلهم وسعادتهم، وجاءهم بكتاب كريم لم يطرق العالم كتاب أعظم منه ولا أجل ولا أجمع لكل خير ولا أغزر علماً منه.

وأخبرهم بأمور عظيمة وتفاصيل جمة لم يكن في قومه من كان يعرفها، ولا في الأرض أحدٌ عنده علم صحيح ينافيها وينكرها.

وأعلن بهذه الرسالة غاية الإعلان لعلمه اليقيني الذي لا ريب فيه أنها الحق، واعتماده على الحق، ووثوقه بوعد الله بالظهور. مع كثرة الأعداء وتوفر المعارضين، من أهل الكتاب والأميين وغيرهم، فبادأهم وصرّح لهم بإنكار ما هم عليه من الشرك والشرور والأخلاق الرذيلة، وأن شريعته نسخت جميع الكتب، وهيمنت على كل الشرائع السابقة، فرماه الجميع بقوس العداوة، وجدّوا واجتهدوا في ردّ ما جاء به، ونصر باطلهم.

وتحدَّى قاصيهم ودانيهم وأولهم وآخرهم أن يأتوا بمثل القرآن، فما استطاعوا ذلك، ولا قدروا على ردّ شيء من دينه، مع أنهم مكروا مكراً كباراً، وأتوا بكل وسيلة وحيلة، فرجعوا منهزمين أمام الحق خائبين، والمنصف منهم لم يجد بدأً من الاعتراف، والجاحد المكابر طفق ينصر باطله، فلم يبدِ حجة ولا برهان، بل ولا شبهة يتكىء عليها.

ومن أكبر أدلة الحق معرفة ما قاله أعداؤه ومعرفة حججهم التي لا تغني من الحق شيئاً.

وجاء ﷺ للخلق وحده، لم يكن له من أول الأمر أعوان ولا أنصار، إلا الحق الذي هو نعم العون على الأمور كلها، فلم يزل يتبعه الواحد بعد الواحد من أولي البصائر والألباب والعقول الرزينة، على شدة عظيمة، ومقاومات من الأعداء عنيفة، فلم تزعجهم الكوارث، ولا عوّقهم عن قبول الحق خوف ولا ضغط من الأعداء.

وأعداؤه هم أهل الرياسة ولهم السيطرة، فعادوه وعادوا أتباعه، وآذوهم أشد الأذية، وحرصوا على صرفهم عن دينهم، فلم يكن لهم طاقة ولا اقتدار، لأن إيمانهم صحيح ويقينهم تام، لم يؤمنوا لرغبة بذلها الرسول ولا رهبة، وإنما الرغبة والرهبة في ذلك الوقت عند أعدائه، ولكن هو الإيمان الحق متى وقر في القلوب لم يرتدّ عنه صاحبه سخطة له، بل يراه أحب الأشياء إليه، وألذها لقلبه، وأعظمها فوزاً وسعادة.

فلم يزل ﷺ يدعو إلى هذا الدين بعزم صادق، وهمة لا تني ولا تضعف، ويقين وثقة بوعد الله، مع قوة المعارضات وشدة المقاومات من جميع الأعداء.

ويتتبع العرب في مواسم الحج وغيره في منازلهم يدعوهم إلى الله وإلى دينه، وأكثرهم معرضون ومعارضون مقاومون، وهو صامد لأمر الله، مصمم على الدعوة لعباد الله، مستقيم على أكمل طريقة من الصدق والعدل والوفاء بالعهد، لا يتزعزع عن الاستقامة، والأخلاق الفاضلة، والنصح والقوة في أمر الله، والشجاعة التي لا نظير لها في الأولين والآخرين، مع اختلاف الأحوال عليه من خوف وأمن، وفقر وغنى، ويسر وعسر، وضيق وسعة، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر الإسلام في مكة مع الضغط العظيم، وانتشر في المدينة أكثر من ذلك، فأذن لأصحابه في الهجرة إلى المدينة ليتمكنوا من إقامة دينهم، فجعلوا يهاجرون إليها أفراداً وجماعات.

وفي ذلك الوقت عقد الرؤساء من قومه المجالس المتعدّدة للإيقاع به، وإطفاء النور الذي جاء به، ومكروا المكرات العظيمة، والله يكلؤه ويحفظه.

وحين بلغ الأمر أشدَّه، وعزموا على الإيقاع والفتك به، ورتبوا أمرهم وأجمعوا كيدهم ، أذن الله له بالهجرة، فخرج في تلك الحالة الحرجة إلى الغار هو وأبو بكر مختفين ، وبوعد الله واثقين.

واشتدَّ الطلب، وعز التخلص والهرب، ولكن لطف الله ونصر الله فوق مكر الماكرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وهذا النصر من أكبر الآيات والبراهين على عناية الله به ، وحفظه إياه ، ووعده الصادق بتمام أمره ودينه.

ثم هاجر إلى المدينة وعناية الله تصحبه، وحفظه وتوفيقه يرافقه، فتلقاه المسلمون، وكل قبيلة من قبائل الأنصار تدعوه إلى النزول عندها وتقول: هلمَّ يا رسول الله إلى العدد والعديد، فاختار الله له ذلك المنزل الذي بركت فيه ناقته ليكون مسجداً له ، ومساكن لنسائه، فاختط مسجده هناك ، وعمل فيه مع المسلمين، وبنى مساكن زوجاته بجواره، وسُرّ المسلمون بقدومه.

ولم يزل الله يشرع الشرائع الكبار،شريعة بعد أخرى، بحسب المناسبات، ثم أذن له في القتال لما اشتدت مقاومات الأعداء بكل طريق، فلم يزل معهم يدال عليهم ويدالون عليه حتى صارت له العاقبة والنصر عليهم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً حين شاهدوا أنوار الإسلام وهداية القرآن وإرشادات الدين، وكان دينه الحق، وما جاء به من أكبر الأسباب لدخول الخلق في الدين، فإنه يدعوهم بنفس الحق الذي جاء به، والذي تنقاد له القلوب السليمة والعقول الصحيحة، وتلين له الصعاب، ويختاره أولو البصائر والألباب الرزينة والآراء الصائبة، لما يرون من إصلاحه العقائد والأخلاق

والأعمال كلها، ودعوته للصلاح المطلق بكل وجه واعتبار.

وما زال ﷺ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ،وبكل طريق يوصل إلى الهداية، ويجادل المبطلين بالتي هي أحسن، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، وجمع الله به أمماً متباينة وقلوباً متفرقة ،وأهواءً متشتتة، وأصلح الله به الظواهر والبواطن ، وكلَّ أمر فاسد.

وبعدما كانت الأرض مملوءة من جميع أصناف الشرور،محقها الحق الذي جاء به، حتى امتلأت من الحق والعدل والرحمة والخير والنور، فمحا الظلمات المتراكمة، وحق الحق، واضمحل الباطل وزهق، إن الباطل كان زهوقاً.

فمعرفة الآثار والمنافع العامة العظيمة التي حصلت لأهل الأرض برسالته ودينه من أكبر البراهين الدالة على رسالته، وصحة ما جاء به من الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه، وهو دين جميع الرسل وأتباعهم، فهو الدين الذي أخباره في أعلى درجات الصدق، وهو الذي ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به.

بل لو اجتمعت عقول الحكماء وسائر العقلاء عل اقتراح دين أحسن منه وأصلح وأنفع للعباد لعجزت أفكارهم عن أن تصل إلى ما يقاربه.

وأكمل الناس عقلاً من حصلت له به الهداية والرشاد، فإنه تنزيل من حكيم حميد .ولهذا سمى الله ما أنزل على رسوله هدى ورحمة ونوراً وحكمة ورشداً، وحثّ فيه على كل إصلاح في أصوله وفروعه، وأرشد إلى المنافع الدينية والدنيوية.

ثم إنك إذا تأملت أحوال النبي ﷺ وتنقلاته في دعوة الخلق ومعاملاته مع أوليائه وأعدائه رأيت فيها الهدى الكامل والنصح التام، ورأيت آثار دعوته ملأت قلوب المسلمين علماً ويقيناً ومعارف ربانية، واهتدوا بها إلى كل خُلق جميل،وتنزهوا عن كل خُلق رذيل، فكما كانت آثار رسالته في نفسه أكمل الآثار،فتجمعت فيه أصناف الفضائل والكمالات على أكمل وجه، وصار بذلك أكمل البشر في كل

الأمور مطلقاً، فكذلك كانت آثار رسالته في أصحابه وأمته أكمل الآثار وأفضلها وأجلّها، فلم يصل أحدٌ من الأمم إلى ما وصل إليه أصحابه،وأئمة الهدى من أمته، وطبقات أهل العلم والإيمان من المعارف الصحيحة، والعلوم النافعة، والمعارف الربانية، والإيمان الصحيح، واليقين الكامل، والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه، والرحمة بالخلق، والإحسان والعدل، وهذا من براهين صدقه وصحة ما جاء به.

وكذلك من براهين رسالته أنه في هذه المدة القصيرة مكّنه الله وبارك في عمره الشريف حتى أسس هذا الدين الذي هو أكمل الأديان وأعمَّها وأهداها للخلق، فقرر أصوله وفروعه، وحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا، وصار المثل الأعلى والقدوة للخلق فيما يأتون وما يذرون، وما يقولون ويفعلون.

إن حُققت العقائد الصحيحة، والأخلاق الرجيحة النافعة المصلحة للقلوب، جُعل الميزان فيها عقيدته وأخلاقه، وإن فُصلت علوم الشريعة على سعتها وتنوعها كانت كلها مأخوذة من شريعته وتعليمه، وإن أريد الوصول إلى علم السياسة وفنون الحرب والسلم ومعاملة الأعداء من جميع الوجوه كان المدار فيها على هديه وعمله وإرشاده، وإن طلب علم الولايات كلها صغارها وكبارها: من الإمامة العظمى إلى ولاية الإنسان على عائلته وأهل بيته لم يوجد أكمل من طريقته فيها، وإن حصل البحث في أحوال القلوب ووسائل إصلاحها ودائها ودوائها لم يكن لذلك سبيل إلا بسلوك الطريق التي أرشد إليها.

فلا يوجد علمٌ صحيح ، ولا عمل ظاهر ولا باطن ، إلا وقد هدى الخلق إليه وأرشدهم إليه .اهـ .

فصل في
استحالة الإيمان بنبي من الأنبياء
مع جحد نبوة محمد ﷺ

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- : (١)

لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد ﷺ ، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً ، وهذا يتبين بوجوه :

أحدهـــا:

أن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته ،وأمروا أممهم بالإيمان به ، فمن جحد نبوته فقد كذَّب الأنبياء قبله فيما أخبروا به ، وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به والتصديق به . وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعاً .

الوجه الثاني:

أن دعوة محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه ـ عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم ، فالمكذِّب بدعوته مكذِّب بدعوة إخوانه كلِّهم ، فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به .

فإذا كذَّبه المكذِّب فقد زعم أن ما جاء به باطل ، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله،وكل كتاب أنزله الله ، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق ، وأنه كاذب مفتر على الله .

وهذا في غاية الوضوح،وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم وقال : هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون،ثم شهد آخر على شهادتهم سواء،فقال الخصم : هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها،وذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً .

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٧٣/ ١٧٤ .

ولا ينجيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وأنها شهادة حق مع قوله إن الشاهد بها كاذب فيما شهد به، فكما أنه لو لم يظهر محمد ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء قبله ، فكذلك إن لم يُصَدَّق لم يمكن تصديق نبي من الأنبياء قبله .

الوجه الثالث:

إن الآيات والبراهين التي دلَّت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل ، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد ﷺ مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها ، وإن لم يكن من جنسها .

فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر، والعلم بنقلها قطعي لقرب العهد،وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعاصرهم ، واستحالة تواطئهم على الكذب .

فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده ، بحيث لا تمكن المكابرة في ذلك .

والمكابرة فيه كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والأقاليم والجبال والأنهار، فإن جاز القدح في ذلك كله فالقدح في وجود عيسى وموسى ـ عليهما السلام ـ وآيات نبوتهما أجوز وأجوز، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ وآياته ونبوته أشد . ا هـ ، وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ٣٨٦-٣٨٧) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله -: [١]

وإن قالوا: معجزات محمد ﷺ لم تتواتر عندنا .

قيل: ليس من شرط التواتر أن يتواتر عند طائفة معينة، بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم: لم يتواتر عندنا معجزات موسى والمسيح عليهما السلام .

وإنما تتواتر أخبار كل إنسان عند من رأى المشاهدين له أو رأى من رآهم،وهلم جراً ، ومعلومٌ أن أصحاب محمد ﷺ الذين رأوه ونقلوا معجزاته أضعاف أصحاب

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٣-٤٤).

المسيح عليه السلام ، والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم ، كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح عليه السلام التصديق بمعجزات محمد ـ ﷺ ـ ، ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح عليه السلام .

وإن قالوا: عُرِفت نبوة المسيح ببشارات الأنبياء قبله .

قيل: وفي الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد ﷺ مثل ما فيها من البشارات بالمسيح عليه السلام وأكثر .

وإن تأولوا تلك البشارات بمحمد ﷺ بما يمنع دلالاتها قيل لهم : واليهود يتأولون بشارات المسيح عليه السلام بما يمنع دلالاتها على المسيح عليه السلام .

فإذا قالوا: تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة ، بُيِّن لهم أن هذه باطلة أيضاً بمثل تلك الوجوه وأقوى .

فما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح عليه السلام إلا ودلالته على نبوة محمد ﷺ أقوى وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح عليه السلام ثبوت نبوة محمد ﷺ ، ومن الطعن في نبوة محمد ﷺ الطعن في نبوة موسى والمسيح عليه السلام . أ هـ.



فصل في
ذكر شبهات وأباطيل حول نبينا محمد ﷺ وسيرته العطرة ،وشريعته الطاهرة ودحضها

مقدمة :

إنه لم يبعث نبي من الأنبياء إلا وجد له مناوئين وأعداء من جنود إبليس كذَّبوه وعادوه ،ولم يدخروا جهداً في أذيته والقضاء على دعوته.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (١١٣) ﴾ .

[الأنعام : ١١٢-١١٣] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

يقول تعالى مسليًّا الرسول ﷺ وكما جعلنا لك أعداءً يردون دعوتك ويحاربونك ويحسدونك ،فهذه سنتنا أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداءً من شياطين الإنس والجن يقومون بضد ما جاءت به الرسل.

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ أي يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل،ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق ولا يفقهون المعاني.

بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة والعبارات المموهة،فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقاً، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ ﴾ أي ولتميل إلى ذلك الكلام الزخرف ﴿ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة يحملهم على ذلك.

﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ بعد أن يصغوا إليه فيصغون إليه أولاً ، فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة رضوه ، وزين في قلوبهم ، وصار عقيدة راسخةً وصفة لازمة .

ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون،أي يأتون من الكذب بالقول والفعل ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة .

فهذا حال المفترين شياطين الإنس والجن المستجيبين لدعوتهم .

وأما أهل الإيمان بالآخرة وأولوا العقول الوافية والألباب الرزينة،فإنهم لا يغترون بتلك العبارات ولا تخلبهم تلك التمويهات،بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة . فإن كانت حقاً قبلوها وانقادوا لها ولو كسيت عبارات رديئة وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً ردوها على من قالها كائناً من كان ولو ألبست من العبارات المستحسنة ما هو أرق من الحرير . ومن حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداءً وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل ،والبصير من الأعمى .

ومن حكمته أن في ذلك بياناً للحق وتوضيحاً له ، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه،فإنه حينئذٍ يتبين من أدلة الحق وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته،ومن فساد الباطل وبطلانه ما هو من أكبر المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون أ هـ.

وقال سبحانه وتعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) ﴾ [الفرقان : ٣١] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي من الذين لا يصلحون للخير ولا يزكون عليه،يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل .

ومن بعض فوائد ذلك :

أن يعلو الحق على الباطل،وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحاً عظيماً ،لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحاً وبياناً وكمال استدلال،وأن نتبين ما يفعله الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة .

فلا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ يهديك فيحصل لك المطلوب،ومصالح دينك ودنياك ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا، فاكتف به وتوكل عليه . اهـ.

وقد قصَّ الله على نبيه وخليله محمد ﷺ شيئاً مما جرى لإخوانه الأنبياء الذين سبقوه تسلية له وتثبيتاً لقلبه،وتسليةً وتثبيتاً لأمته ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾ [هود : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) ﴾ [آل عمران : ١٨٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) ﴾ .

[الأنعام : ٣٣-٣٤] .

وممَّا قصَّه الله على نبينا ﷺ مما جرى للمرسلين قبله قوله تعالى عن نوح وقومه عليه السلام:

﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴾

[هود : ٣٢] .

وقال تعالى عنه وعن قومه : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ

قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ [هود : ٣٨] .

وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام وقومه:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾ [الأعراف : ٦٥-٦٨] .

وقال قوم نبي الله صالح عليه السلام له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) ﴾ [هود : ٦٢] .

وقال قوم شعيب عليه السلام له ساخرين منه : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ [هود : ٨٧] .

وقالوا له : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾ [هود : ٩١] .

وألقى قوم إبراهيم عليه السلام إبراهيم في النار وقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾ [الأنبياء : ٦٨] .

وهكذا موسى عليه السلام أوذي أذى شديداً حتى قيل أنه آدر ـ أي ضخم الخصيتين ـ، وقيل عنه ساحر ، وقومُه الذين أنجاهم الله معه من فرعون وقومه العجلَ من بعده وقالوا له : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] .

وهكذا عيسى عليه السلام قيل إنَّه ابن بغي،وحاشا أمَّه العذراء الطاهرة البتول،وإنما هو عبد الله ورسوله،وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه،وزعم اليهود أنهم قتلوه و افتخروا بذلك ،قال تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨] .

وهكذا نبينا ﷺ أوذي أذى شديداً من القريب والبعيد من المشركين، وحاولوا قتله، ورجموه، وأخرجوه من مكَّة، وهاجر أصحابه إلى الحبشة فراراً بدينهم، ثم إلى المدينة، وقالوا عنه ساحر، شاعر، كاهن، مجنون، كاذب. قال تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٣١) ﴾ [الأنفال: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ [القلم: ١-٤].

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) [١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثالثة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وآرى إبطُ بلال»** [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار) باب (ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة)، برقم ٣٨٥٦.

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٤٥) برقم ١٥١.

وغير هذا كثيرٌ جداً ، وهي سُنَّة الله في خلقه أن يتصارع الحق والباطل ، وأن يعادي الأشرارُ الأخيار ، والمؤمنين الكفار ، ولكل قوم وارث ، فلأهل الخير ورثة ، ولأهل الشر ورثة .

ولازال ورثة أهل الشر الأولين من الكفار والمنافقين ينفثون سمومهم ويثيرون الشبهات حول نبينا محمد ﷺ .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الصف : ٩] .

ولقد أغاظ كثيراً من الكفار والمنافقين في الوقت الحاضر إقبال كثير من غير المسلمين على الإسلام ودخولهم فيه طوعاً ، فأخذوا يبثون الشبهات حول الإسلام ونبيه الكريم ، ويسخرون منه ويستهزءون به، وليسوا بضاريه ولا ضاري دينه شيئاً، وإنما يضرون أنفسهم، ويزيدون في حميَّة المسلمين لإسلامهم ولرسولهم ﷺ ، وبإعمالهم العدوانية الظالمة يدعون الناس إلى التعرف على الإسلام ونبي الإسلام ، وقد أسلم أُناس كثير بسبب ذلك ، فلله الحمد والمنَّة .

ظن هؤلاء بسخريتهم وظلمهم أنهم سيحجبون ضوء الشمس عن الناس، هيهات .

فإن الشمس في وسط السماء لا يحجبها حجاب ولا يسترها سحاب أو ضباب .

وقل للعيون الرمد للشمس أعينٌ سواك تراها في مغيب ومطلعِ

ولقد أحسن من قال:

وهبك تقول إنَّ الصبحَ ليلٌ أيعمى الناظرون عن الضياءِ

الشبـــهات

أولاً: الشبهات المتعلقة بنبينا ﷺ وسيرته العطرة

قد حان الوقت الآن لإيراد أكبر الشبهات التي تنامت إلى سمعي حول نبينا محمد ﷺ التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين بغرض تشويه صورة الإسلام ونبيِّه الكريم، لتنفير الناس عن اعتناق الإسلام ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الشبهة الأولى:

قالوا: النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام اسمه أحمد ،ونبيكم اسمه محمد ، ونحن ننتظر ظهور أحمد الذي بشَّر به عيسى عليه السلام .

وقد أجاب عن هذا العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- فقال: (١)

الأقرب أن الله أوحى إليه بذلك لسببين هما:

[١] لكي يبين لبني إسرائيل أن النبي ﷺ هو أحمد الناس وأفضلهم.

[٢] لكي يبتلي بني إسرائيل ويمتحنهم، وذلك لأن النصارى قالوا:

إن الذي بشرنا به عيسى هو أحمد، والذي جاء للعرب هو محمد وأحمد غير محمد ، فإن أحمداً لم يأتِ بعد، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٧] .

ولكن نقول لهم: إنَّ قولكم : « إنه لم يأت بعد »كذبٌ ،لأن الله تعالى قال في نفس الآية: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦] ، وجاء فعل ماضٍ، يعني أن أحمد جاء،ولا نعلم أن أحداً جاء بعد عيسى إلا محمد ﷺ . اهـ.

ويقال لهم أيضاً: إن الأوصاف والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو

---

(١) شرح البيقونية ص ١٧ – ١٨ .

القذة بالقذة، بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو،كما عرفه سلمان الفارسي رضي الله عنه بتلك العلامات التي استفادها من كبار علماء النصارى، فآمن به عند أن رآها.

وهكذا هرقل عرف نبوّته بما وصف له من العلامات التي سأل عنها أبا سفيان رضي الله عنه فطابقت ما عنده، فقال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه سيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

«وذكره بصفاته ﷺ أبلغ من ذكره بمجرد اسمه،فإن الاشتراك قد يقع بمجرد الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز،ولا يشاء أحدٌ يُسمَّى بهذا الاسم أن يدعي أنه هو إلا فعل. إذ الحوالة إنما وقعت على مجرد الاسم وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى بخلاف ذكره بنعته،وصفته،وعلاماته،ودعوته،وصفة أمته،ووقت مخرجه، ونحو ذلك،فإن هذا يعيّنه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه،وهذا القدر مذكور في التوراة والإنجيل وغيرهما من النبوات التي بأيدي أهل الكتاب،ويدل على هذا ما يلي:

وهو أن رسول الله ﷺ كان أحرص الناس على تصديقه واتباعه وإقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته، ولا سيما أهل العلم والكتاب، فإن الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل، وهو بمنزلة من يقول لرجل: علامة صدقي أنك فلان بن فلان، وصنعتك كيت وكيت، وتعرف بكيت وكيت،ولم يكن الأمر كذلك بل بضده.

فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدقه أحدٌ على ذلك، ولا يتبعه أحدٌ على ذلك، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين لقوله.

ومن المعلوم بالضرورة أن محمداً بن عبد الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ نادى معلناً في هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم في الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم،وهو يتلو ذلك عليهم ليلاً،ونهاراً وسراً وجهاراً في

كل مجمع وفي كل نادٍ، يدعوهم بذلك إلى تصديقه والإيمان به، فمنهم من يصدق ويؤمن به ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره.

وغاية المكذب الجاحد أن يقول: هذا النعت والوصف حق، ولكن لست أنت المراد به، بل نبي آخر، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة » (١) .

وهكذا أيضاً كان يأتي أحبار أهل الكتاب إلى النبي ﷺ ويسألونه أسئلة يخبرونه قبل أن يجيب عليها أنه لا يجيب عنها إلا نبي، فيجيبهم عليها ﷺ .

كل هذا يدل دلالة قاطعة أنه النبي - ﷺ - الذي بشر به عيسى بن مريم والأنبياء قبله - عليهم السلام - وماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقد ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله - عدَّة وجوه تدل على أنه ﷺ مذكور في الكتب المنزلة قبله من أهمها:

[١] أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وأنه نبي آخر غيره. وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة.

[٢] أن كثيراً منهم صرَّح لخاصَّته وبطانته بأنه هو بعينه،وأنه عازم على عداوته ما بقي.

[٣] أن إخبار النبي ﷺ بأنه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم،وقصص الأنبياء المتقدمين وأممهم،وشأن المبدأ والمعاد،وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء،وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم،وتلك الإخبارات أكثر من أن تُحصى ولم يكذبوه يوماً واحداً في شيء منها،وكانوا أحرص شيء على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر إنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه.

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٤٢ .

بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرّون على عدم اتباعه،وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره.

[٤] أنَّه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم ، وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب،وأخبر به لأتباعه،فلو كان هذا باطلاً لا صحة له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك ، وتسليطاً لأهل الكتاب على الإنكار، وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه ،وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يُشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه،وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون ، وهذه الوجوه يُعلم بها صدق ما أخبر به . اهـ. (١) .

الشبهة الثانية :

قالوا : إن محمداً ـ ﷺ ـ أرسل إلى العرب خاصة ولم يرسل إلى غيرهم ، فليس غير العرب مطالباً بالإيمان به، ويدل على ذلك آيات من القرآن :

[١] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف :٣] ، وكونه عربياً ليفهمه العرب ، فإن الله أرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم.

[٢] ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء :٢١٤] .

[٣] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس : ٦] .

والجواب عن ذلك أن نقول:

أمَّا قولهم إن محمداً ﷺ أُرْسِل إلى العرب فهذا إقرار منهم بأن الله أرسله،وهذا يكذِّب من جحدوا رسالته أصلاً من بني جلدتهم ومن وافقهم،وإن حصروا رسالته في العرب دون غيرهم – وإقرارهم بأنه مرسل من عند الله يتضمن الشهادة له بالصدق، فإن أهل الملل قاطبة مجمعون على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله ، ولم يقل أحدٌ قط إن من أرسله الله يكذب على الله.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦– ٤٧ .

فإن كان ذلك كذلك وجب عليهم الإقرار بأنه مرسل إلى الخلق جميعاً والإيمان به، فإنه أخبر بذلك ، وسيرته تدل على ذلك،ومن الأدلة على عموم رسالته إلى الناس كافة عربهم وعجمهم ، بل إلى الإنس والجن .

[١] القرآن الذي بلغه عن الله :

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

فهذه الآيات الكريمات صريحة في عموم بعثته ، وأنه مرسل إلى العرب وغيرهم .

وفي القرآن آيات كثيرة تدعوا أهل الكتاب إلى الإيمان به ومنها قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

بل في القرآن آيات كثيرة يذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ فيها كفر من كفر من اليهود والنصارى ، ويأمر نبيه ﷺ بقتالهم .

❁ قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ

وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة ٧٢-٧٧] .

✿ وقال تعالى :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء : ١٧١-١٧٣] .

✿ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة : ٣٠-٣٢] .

✿ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

✿ وقال تعالى عن الجن :﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن

بَعْد مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢)﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

[٢] السنة المتواترة القولية والفعلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (١)

من المعلوم بالضرورة لكل من علم من أحواله ﷺ بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى -عيلهما السلام- وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه، وسُنَّته المتواترة عنه، وسُنَّة خلفائه الراشدين من بعده، أنه ﷺ ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم، عربهم وعجمهم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وسائر الأمم، بل إنه أرسل إلى الثقلين: الجن والإنس جميعاً.

وهذا كلّه من الأمور الظاهرة المتواترة عنه التي اتفق على نقلها عنه أصحابه ﷺ مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم، وقد صحبه عشرات ألوف لا يحصي عددهم على الحقيقة إلا الله تعالى، ونقل ذلك عنه التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً ثم ذلك منقولٌ قرناً بعد قرن إلى زماننا مع كثرة المسلمين وإنتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها. اهـ.

ومن تلكم الأحاديث ما يلي:

[١] ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود........... الحديث**». وفي لفظٍ: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**».

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٦٢-١٦٣).

[٢] روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» .

[٣] روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى . وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

[٤] روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من إتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تُسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾ [عمران : ٦٤] .

[٥] روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ،فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ،لما قرأه مزقه فدعا عليهم النبي ﷺ أن يُمزقوا كل ممزق » .

[٦] لما غزا رسول الله ﷺ يهود خيبر، لما نقضوا العهد أعطى الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، (**فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) رواه البخاري ومسلم

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الجواب الصحيح: (١)

ثم بعد الإرسال إلى الملوك أخذ ﷺ في غزو النصارى،فأرسل أولاً زيد بن حارثة

(١) (١ / ٣٠٠-٣٠١) .

وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في جيش فقاتلوا النصارى في مؤتة من أرض الكرك ، وقال لأصحابه: أميركم زيدٌ ، فإن قُتِلَ فجعفر، فإن قُتِلَ فعبد الله ابن رواحة، فَقُتِلَ الثلاثة رضي الله عنهم وأخبر النبي ﷺ بقتل الثلاثة في اليوم الذي قُتِلُوا فيه ، وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله على يديه.

ثم إنه بعد هذه غزى النصارى بنفسه ،وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة ، ولم يأذن في التخلف عنه لأحد ، وغزى في عشرات ألوف غزوة تبوك، وأقام بها عشرين ليلة ليغزوا النصارى عربهم وروميهم وغيرهم،وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه،وأنزل الله تعالى في ذلك أكثر سورة براءة ، وذم تعالى الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذماً عظيماً اهـ.

وأما ما استدلوا به من الآيات:

فقوله تعالى ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الزخرف:٣] لا تدل على أن غير العرب غير مخاطب به وذلك لوجوه:

[١] ما سبق ذكره من الأدلة على عموم بعثته ﷺ إلى العرب والعجم.

[٢] أن الحكمة من إنزال القرآن باللغة العربية « أن الناس متفقون على أن لغة العرب من أفصح لغات الآدميين وأوضحها ، ومتفقون على أن القرآن في أعلى درجات البيان والبلاغة والفصاحة ، وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول التي يذكر فيه أن الله تعالى أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم ما لا يحصى إلا بكلفة، ثم مع ذلك من النقول المتواترة عن سيرته ﷺ في دعائه لأهل الكتاب وأمره لهم بالإيمان به وجهاده لهم إذ كفروا به ما لا يخفى على من له أدنى خبرة بسيرته ﷺ ، وهذا أمر قد امتلأ العالم به وسمعه القاصي والداني.

فإذا كان الناس المؤمن به وغير المؤمن به يعلمون أنه كان يقول: إنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم ، وأن ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة ثم شرعوا يظنون أنه كان يقول: إني لم أبعث إلا إلى العرب واستمر على

ذلك حتى مات ،دل على فساد نظرهم وعقلهم أو على عنادهم ومكابرتهم » [١] .

فنزول القرآن باللسان العربي لأنه أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني، فنزوله به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره، وهو إنما خوطب به العرب أولاً ليفهموه ، ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ، ومن لم يعلم لغتهم ، ترجمه له من عرف لغتهم، وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً والإنعام به عليهم أولاً لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم »[٢].

[٣] أن التوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده وموسى - عليه السلام - لم يكن يتكلم إلا بالعبرية ، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية .

وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً ثم بعد ذلك تبلّغ الكتب ، وكلام الأنبياء لسائر الأمم إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب وإما أن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه .

وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به . وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم وما قالوا لهم وأكثرهم لم يكونوا عرباً ، وأنزله الله باللسان العربي،وحينئذٍ شرط التكليف تَمَكُّن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم،وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ، ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه،وهذا مقدور للعباد ، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التي أرسل بها وجب عليه ذلك » [٣] .

[٤] أن المسيح عليه السلام كان لسانه عبرياً،وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولا، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح - عليه السلام - .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٣٧١-٣٧٢) .
(٢) المصدر السابق (٢ / ٦) .
(٣) المصدر السابق (٢ / ٥٢-٥٣) .

فإن قالوا : إن رسل المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم .

قيل: هذا منقول في رسل المسيح و في رسل محمد ﷺ الذين أرسلهم إلى الأمم، ولا ريب أن رُسُلَ رُسلِ الله كرسل محمد ﷺ والمسيح عليه السلام إلى الأمم لا بد أن يعرفوا لسان من أرسله الرسول إليهم أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم،فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعبرية فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم .

وكذلك رسل النبي ﷺ الذين أرسلهم إلى الأمم، فإن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية أرسل رسله إلى أهل الأرض،فبعث إلى ملوك العرب باليمن والحجاز والشام والعراق، وأرسل إلى ملوك النصارى بالشام ومصر قبطهم ورومهم وعربهم وغيرهم وأرسل إلى الفرس المجوس ملوك العراق وخراسان » [١] .

[٥] أن النصارى فيهم عرب كثير من زمن النبي ﷺ ، وكل من يفهم اللسان العربي ، فإنه يمكن فهمه للقرآن وإن كان أصل لسانه فارسياً أو رومياً أو تركياً أو هندياً أو قبطياً » [٢] .

[٦] أنه ليس فهم كل آية من القرآن فرضاً على كل مسلم ، وإنما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به وما نهاه عنه بأي عبارة كانت، وهذا أمكن لجميع الأمم، ولهذا دخل في الإسلام جميع أصناف العجم من الفرس والترك والهند والصقالبة والبربر ، ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربي ، ومنهم من يعلم ما فرضه الله عليه بالترجمة ، وترجمة تفسير القرآن جائزة باتفاق المسلمين » [٣] .

وأما استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، وقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ [يس : ٦] ، على أن بعثته ﷺ خاصة إلى العرب فلا يسلَّم لهم بذلك ، فإن هذه النذارة الخاصة لا تنافي النذارة العامة .

« فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ كما بعث المسيح عليه السلام ، وإن كانت رسالته

(١) المصدر السابق (٢ /٥٩-٦٠). (٢) المصدر السابق (٢ / ٦٦).
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ /٦٧) .

أكمل وأشمل ، فأمر بتبلغ الأقرب منه مكاناً ونسباً ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] [١] .

فقد جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:

لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا ، فعمَّ وخصَّ ، فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب : أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس : أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف : أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم : أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب : أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد : أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها » .

« ثم أمره الله أن يدعو سائر العرب قبيلة قبيلة،وكانت العرب لم تزل تحج البيت من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، فكان ﷺ يأتيهم في منازلهم بمنى وعكاظ ومِجَنَّة وذي المجاز فلا يجد أحداً إلا دعاه إلى الله ويقول : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به .

يا أيها الناس إن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي،فمن يمنعني أن أبلغ كلام ربي ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي .

يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم بها العجم »[٢] .

ثم لما استقر ﷺ في المدينة،وتمكن فيها وأمن كاتب ملوك أهل الأرض يدعوهم إلى الدخول في دينه، امتثالاً لأمر الله له بذلك .

---

(١) المصدر السابق (١ /٣٨٢-٣٨٣) .

(٢) المصدر السابق (١ /٣٨٨-٣٨٩) .

مناظرة عظيمة جرت بين العلامة ابن القيم -رحمه الله - وأحد كبار علماء اليهود

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (١)

وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة فقلت في أثناء الكلام:

- أنتم بتكذيبكم لمحمد ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة.
- فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ .
- فقلت له اسمع الآن تقريره . :

إذا قلتم إنَّ محمداً ملك ظالم قهر الناس بالسيف وليس برسول من عند الله وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدَّعي أنه رسول الله أرسله للخلق كافة . ويقول إنَّه أمرني بكذا ونهاني عن كذا وأوحى لي بكذا ولم يكن من ذلك شيء. ويقول إنَّه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ولم يكن من ذلك شيء ، وهو يدأب في تغير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم ، فلا يخلوا أن تقول إن الله كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقول إنه خفي عنه ولم يعلم به فإن قلتم لم يعلم به، نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منه.

وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته وإطلاعه عليه، فلا يخلو إمَّا أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا . فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية.

وإن كان قادراً وهو مع ذلك يُعِزّه وينصره ويؤيده ،ويعليه ويعلي كلمته،ويجيب دعائه،ويمكّنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص ٨٣-٨٤).

على الألف ، ولا يقصده أحدٌ بسوء إلا أظفره به، ولا يدعو بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه، وهذا عندكم شهادة زور وكذب.

❁ فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفترٍ، بل هو نبي صادق، من اتبعه أفلح وسعد.

❁ قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟.

❁ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

❁ قلت له: غُلبتَ كل الغَلَب فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم. وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به.

فأمسك ولم يحر جواباً. اهـ.

الشبهة الثالثة:

يقول أعداء الإسلام: « لقد كان محمدٌ رجلاً شهوانياً يسير وراء شهواته وملذاته، ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدَّد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد، سيراً مع الشهوة وميلاً مع الهوى.

كما يقولون أيضاً:

« فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد، فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم ، وبين من يسير مع هواه ويجري وراء شهواته كمحمد ».

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

ما كان محمدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ رجلاً شهوانياً إنما كان رسولاً إنسانياً.

تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي.

وليس هو إله ولا ابن إله كما يعتقد النصارى في نبيهم،إنما هو بشر مثلهم فضَّله الله عليهم بالوحي والرسالة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف : ١١٠].

ولم يكن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بدعاً من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم ، فالرسل الكرام قد حكى القرآن عنهم بقوله جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] .

فعلام إذا يثيرون هذه الزوابع الهوجاء في حق خاتم النبيين ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ .

ولكن كما يقول القائل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سقمِ

وصدق الله إذ يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

« ثم إن ثبوت نبوة أي نبي من الأنبياء يلغي كل اعتراض عليه ويسقط كل شك في صحة تصرفاته،وقد ثبتت نبوة نبينا ﷺ بالعقل والنقل،وثبوت نبوته يفرض علينا الإيمان به،وبأنه على حق في كل ما يقول ويفعل،ثم إن هؤلاء الذين يقذفوننا بالحجارة ينسون أن بيوتهم من زجاج،وأنهم ينسبون لأنبيائهم ما لايليق أن يصدر من أحط الناس » [١] ، وحاشا أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ .

وهناك نقطتان جوهريتان تدفعان الشبهة عن النبي الكريم ﷺ ، وتلقمان الحجر كل مفتر أثيم يريد أن ينال من صاحب الرسالة محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ يجب أن لا نغفل عنهما وأن نضعهما نصب أعيننا حين نتحدث عن أمهات المؤمنين ، وعن حكمة تعدد زوجاته الطاهرات ـ رضوان الله عليهن أجمعين ـ .

هاتان النقطتان هما:

أولاً: لم يعدد الرسول الكريم زوجاته إلا بعد بلوغ سنِّ الشيخوخة،أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين.

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق النصرانية والتبشير للجبهان ص ٩٠- ٩١ .

ثانياً: جميع زوجاته الطاهرات ثيبات (أرامل) ماعدا السيدة عائشة رضي الله عنها فهي بكر ، وهي الوحيدة التي تزوجها ﷺ في حالة الصبا والبكارة – وبوحي من الله – .

من هاتين النقطتين ندرك تفاهة هذه التهمة وبطلان ذلك الإدعاء.

فلو كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوات،أو السير مع الهوى،أو مجرد الاستمتاع ، لتزوج في سنٍّ الشباب لا في سنٍّ الشيخوخة ، ولتزوج الأبكار الشابات لا الأرامل المسنَّات.

وهو القائل لجابر بن عبد الله رضي الله عنه حين جاءه وعلى وجهه أثر الطيب والنعمة:

«**هل تزوجت؟** ، قال: نعم. **قال: بكراً أم ثيباً؟** ، قال: بل ثيباً. فقال له صلوات الله عليه: **فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟**» .

فالرسول الكريم ﷺ أشار عليه بتزوج البكر ، وهو ﷺ يعرف طريق الاستمتاع وسبيل الشهوة ، فهل يعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأبكار؟، ويتزوج في سنَّ الشيخوخة ويترك سنَّ الصبا. إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟! .

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفدون رسول – ﷺ– بمهجهم وأرواحهم، ولو أنَّه طلب الزواج لما تأخر أحدٌ منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات.

فلماذا لم يعدد الزوجات في مقتبل العمر وريعان الشباب؟، إن هذا بلا شك يدفع كل تقول وافتراء ويدحض كل شبهة وبهتان ، ويردُّ على كل أفَّاكٍ أثيم يريد أن ينال من قدسية الرسول ﷺ أو يشوِّه سمعته الطاهرة.

فما كان زواج الرسول ﷺبقصد الهوى أو الشهوة،وإنما كان لحكمٍ جليلةٍ وغاياتٍ نبيلةٍ وأهدافٍ ساميةٍ ، سوف يقرُّ الأعداء بنبلها وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى، وحكَّموا منطق العقل والوجدان ،وسوف يجدون في هذا الزواج المثل الأعلى في الإنسان الفاضل الكريم والرسول النبي الرحيم ـ ﷺ ـ الذي يضحيٌ براحته في سبيل مصلحة غيره ، وفي سبيل مصلحة الدعوة والإسلام.

إن الحكمة في تعدد زوجات الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كثيرة ومتشعَّبة

ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

أولاً: الحكمة التعليمية. **ثانياً: الحكمة التشريعية.**

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية. **رابعاً: الحكمة السياسية.**

أولاً: الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هي تخريج بضع معلمات للنساء يعلمنهن الأحكام الشرعية.

فالنساء نصيف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصَّة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس، والجنابة، والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام.

وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل، كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان كما تروي كتب السُّنَّة: «أشد حياء من العذراء في خدرها».

فما كان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكني في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غُسلها من المحيض فعلمها ﷺ كيف تغتسل.

ثم قال لها: خذي فرصة ممسَّكة ـ أي قطعة من القطن بها أثر الطيب ـ فتطهري بها.

قالت كيف أتطهر بها؟.

قال: تطهري بها. قالت كيف يا رسول الله أتطهر بها؟.

فقال لها: سبحان الله، تطهري بها.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها من يدها فقلت: ضعيها في مكان كذا

وكذا وتتبعي بها أثر الدم ، وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه.

فكان ـ صلوات الله عليه ـ يستحي من مثل هذا التصريح ، وهكذا كان القليل أيضاً من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عمَّا يقع لها.

نأخذ مثلاً لذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها المروي في الصحيحين وفيه تقول:

جاءت أم سليم زوج أبي طلحة إلى الرسول ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق ، هل على المرأة من غُسل إذا هي احتلمت؟، فقال لها النبي ﷺ : نعم إذا هي رأت الماء. فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء،ويحك أو تحتلم المرأة؟.

فأجابها النبي الكريم ﷺ بقوله: « **إذاً فبم يشبهها الولد؟** ».

مراده ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الجنين يتولد من ماء الرجل وماء المرأة ، ولهذا يأتي له شبه بأمِّه وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** (٢) ﴾ [الإنسان : ٢].

قال ابن كثير -رحمه الله-:

﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ أخلاط ،والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا....».

وهكذا مثل هذا الأسئلة المحرجة كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات. ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « رحم الله نساء الأنصار ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» .

وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة رضي الله عنها في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة، وغيرها من الأحكام ، فكان نساء الرسول ﷺ خير مُعلمات ومُوجهات لهن،وعن طريقهن تفقَّهن النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السُّنَّة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب. بل هي تشمل قوله وفعله وتقريره. وكل هذا من التشريع الذي يجب على الأمة

اتباعه ، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في المنزل غير هؤلاء النسوة اللاتي أكرمهن الله فكنَّ أمهات للمؤمنين وزوجات لرسوله الكريم ﷺ في الدنيا والآخرة؟، لا شك أن لزوجاته الطاهرات ـ رضوان الله عليهن ـ أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ .

وقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلِّمات ومحدثات نقلن هديه ﷺ واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء .

ثانياً: الحكمة التشريعية:

وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة ، وهي أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة ونضرب مثلاً ببدعة التبني ، التي كانت العرب تفعلها قبل الإسلام ، فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم يتبنَّى أحدهم ولداً ليس من صلبه ويجعله في حكم الولد الصلبي ويتخذه ابناً حقيقياً له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال ، في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان ديناً تقليدياً متبعاً في الجاهلية .

كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له : أنت ابني أرثك إرثي .

وما كان الإسلام ليقرَّهم على باطل ، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة ، فمهَّد لذلك بأن ألهم رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يتبنى أحد الأبناء ،وكان ذلك قبل البعثة فتبنى ـ عليه الصلاة والسلام ـ زيد بن حارثة رضي الله عنه على عادة العرب قبل الإسلام .

وفي سبب تبنيه قصَّة من أروع القصص ، وحكمة من أروع الحكم ، ذكرها المفسرون وأهل السير . وهكذا تبنى النبي الكريم زيد بن حارثة وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم (زيد بن محمد) .

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إن زيد بن حارثة رضي الله عنهما مولى رسول الله ﷺ ما كنَّا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن :

﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥] . فقال النبي ﷺ: «**أنت زيد بن حارثة بن شراحيل**» .

وقد زوجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وقد عاشت معه مدَّة من الزمن ، ولكنها لم تطل ، فقد ساءت العلاقات بينهما فكانت تغلظ له القول، وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول - ﷺ - وهي ذات حسب ونسب.

والحكمة يريدها الله طلق زيد زينب رضي الله عنها ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يتزوجها ليبطل بدعة التبنِّي ، ويقيم أسس الإسلام ، ويأتي على الجاهلية من قواعدها.

ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجَّار أن يتكلموا فيه ويقولوا تزوج محمد امرأة ابنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قوله جلَّ وعلا: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، وهكذا انتهى حكم التبني ، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية، وكانت ديناً تقليدياً لا محيد عنه.

ونزل قوله تعالى مؤكداً هذا التشريع الإلهي الجديد: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله،ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله،وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية.

وقد صرَّح الله ـ عز وجل ـ بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ .

روى البخاري بسنده أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول:

زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وهكذا كان هذا الزواج للتشريع،وكان بأمر الحكيم العليم،فسبحان من دقَّت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام،وصدق الله : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية:

أما الحكمة الثالثة فهي الحكمة الاجتماعية،وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه وزيره الأول،ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه ، ثم باتصاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهنَّ مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق ، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان وإكبار وإجلال.

لقد تزوج النبي ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدراً لديه ألا وهو :أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام،وقدَّم نفسه وروحه وماله في سبيل نصرة دين الله،والذود عن رسوله،وتحمُّل ضروب الأذى في سبيل الإسلام حتى قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما عند الترمذي مشيداً بفضل أبي بكر: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة،وما نفعني مال أحدٍ قط ما نفعني مال أبي بكر وما عرضت الإسلام على أحدٍ إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم،ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً،ألا وإن صاحبكم خليل الله تعالى** » .

فلم يجد الرسول مكافأة لأبي بكر في الدنيا أعظم من أن يقرَّ عينه بهذا الزواج بابنته ، ويصبح بينهما مصاهرة وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج ـ صلوات الله عليه ـ بالسيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فكان ذلك قرَّة عين لأبيها عمر رضي الله عنه على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين.

وعمر رضي الله عنه هو بطل الإسلام الذي أعزَّ الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار

الدين ، فكان اتصاله عليه الصلاة والسلام به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدَّم في سبيل الإسلام .

وقد ساوى بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة ، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما ، بل أعظم مكافأة ومنَّة ، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف، فما أجلّ سياسته؟!!، وما أعظم وفاءه للمخلصين !!.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته ،وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه وخلفائه من بعده في نشر ملَّته وإقامة دعوته، فما أجلَّها من حكمة، وما أكرمها من نظرة؟!!.

رابعاً: الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله. فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة،وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته. **ولنضرب بعض الأمثال لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج :**

[١] تزوج ـ صلوات الله عليه ـ بالسيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما سيد بني المصطلق ، وكانت قد أُسرت مع قومها وعشيرتها.

ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال ، فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها ،فقبلت ذلك ، فتزوجها، فقال المسلمون :أصهار رسول الله تحت أيدينا؟، أي أنهم في الأسر ، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعاً ، ودخلوا في دين الله وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها،لأنه كان سبباً لإسلامهم

وعتقهم ، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخاري في صحيحة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً، فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس فجاءت إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيِّد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعنِّي على فكاكي.

فقال ﷺ : «**أؤدِّي عنك كتابك وأتزوجك**. فقالت: نعم يا رسول الله. فقال الرسول ﷺ: **قد فعلت**» .

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يُسترقون؟، فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت بتزويجه ﷺ بنت سيِّد قومه.

[٢] وكذلك تزوج ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها التي أُسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ، ووقعت في سهم بعض المسلمين.

فقال بعض أهل الرأي والمشورة: هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ ، فعرضوا الأمر على الرسول الكريم فدعاها وخيَّرها بين أمرين:

(١) إما أن يعتقها ويتزوجها ـ عليه الصلاة والسلام ـ فتكون زوجة له.

(٢) وإما أن يُطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة له،وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحُسن معاملته ، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

[٣] وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان ـرضي الله عنهاـ) .

وأبو سفيان كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك وألدُّ الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته في مكة ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها وهناك مات زوجها،فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس،فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها، فأبلغها النجاشي ذلك فسُرَّت

سروراً لا يعرف مقداره إلا الله ـ سبحانه ـ لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأجبروها على الكفر والردَّة أو عذبوها عذاباً شديداً.

وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة،ولما عادت إلى المدينة تزوجها النبي المصطفى ﷺ. ولَّما بلغ أبا سفيان الخبر أقرَّ ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يقرع أنفه»، فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله تعالى للإسلام.

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بابنة أبي سفيان ﵄، فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين سيَّما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة.

مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألدِّ بني أمية خصومة لرسول الله ﷺ ومن أشدِّهم عداءً له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته. كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها، لأنها خرجت من ديارها فارَّة بدينها، فما أكرمها من سياسة وما أجلّها من حكمة. اهـ [١].

ثانياً: الشبهات المتعلقة بالشريعة الطاهرة السمحة التي بعث بها نبينا ﷺ.

الشبهة الأولى:

قالوا: «إن الدين الذي جاء به محمد ﷺ دين عنف يجبر الناس على الدخول في الإسلام ولم ينتشر إلا بحد السيف، بينما انتشر الدين الذي جاء به المسيح ﵇ بالمحبة والسلام، وليس في الإنجيل ما يدل على استخدام السيف أو الأمر باستخدامه».

أقول مستعيناً بالله، عليه توكلت إليه أنيب:

هذه الشبهة تضمنت عدة دعاوى:

❁ الأولى: أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ دين عنف.

❁ ثانياً: أنه يجبر الناس على الدخول في الإسلام.

---

(١) هذه الشبهة وجوابها من رسالة بعنوان: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات النبي ﷺ للشيخ / محمد بن علي الصابوني.

❁ ثالثاً: أنه لم ينتشر إلا بحد السيف.

❁ الرابعة: أن الإنجيل ليس فيه ما يدل على استخدام السيف أو الأمر باستخدامه.

والجواب عن الدعوى الأولى:

أنها لا تستند إلى دليل صحيح ، بل الدليل والواقع على خلافها.

فإن الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ هو دين الرحمة والعدل والسماحة واليسر.

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ(١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيراً (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧) ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٧].

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل للنبي ﷺ: أدع على المشركين فقال ﷺ: « **إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة** ».

ومما جاء به نبينا ﷺ من كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٨].

ففي هذه الآية تتجلى عدالة الإسلام مع العدو قبل الصديق،فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ نهى فيها عباده المؤمنين أن يحملهم بغض قوم وعداوتهم واعتداؤهم على ظلمهم طلباً للتشفي والانتقام ،وأوجب معاملتهم بالعدل.

وهذا نبينا محمد ﷺ لَمَّا دخل مكة فاتحاً مظفراً بعد أن نقض أهلها العهد،وهم الذين آذوه وكذبوه حين كان بين أظهرهم قبل الهجرة،وهم الذين أخرجوه من مكة أحب البلاد إليه،وغزوه مراراً بعد الهجرة إلى المدينة،وقتلوا من أصحابه من قتلوا ، وشجوا رأسه، وكسروا رباعيته،وهجوه بالشعر ، لَمَّا تمكن منهم أرسل إليهم قبل دخوله إليهم أن من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ولما دخلها ـ ﷺ ـ لم يؤاخذهم بما قدموا ، بل عفا عنهم وأحسن إليهم، فدخلوا في دين الله وقد سباهم حلمه وعفوه وكريم خلقه ، وبان لهم سماحة الدين الذي يدعوهم إليه.

كما أن من أبرز خصائص هذا الدين الذي بعث الله به نبينا محمداً ﷺ أنه دين السماحة واليسر، ودفع الحرج ورفعه ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن :١٦] .

وقال سبحانه: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ونبينا ﷺ يقول كما في صحيح البخاري ومسلم: «**إن الدين يُسر ، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه** » .

وكان ـ ﷺ ـ يقول لدعاته حين يرسلهم إلى الآفاق: «**يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا**» .

ومن قواعد هذا الدين التي تتجلى فيها سماحته ويسره:

[١] المشقة تجلب التيسير.

[٢] لا واجب بلا اقتدار، ولا محرم مع اضطرار.

[٣] لا ضرر ولا ضرار.

وقد مضى شيء من رحمته ﷺ بالصبيان والضعفاء والبهائم وعموم الناس.

كل هذا وغيره يدل على أن هذه الدعوى دعوة ظالمة للإسلام ولنبي الرحمة والسلام.

والعنف والظلم عند غير المسلمين الذين يصفون من خالف آراءهم الفاسدة متمسكاً بوحي السماء بأبشع الأوصاف، وينزلون به أقسى وأبشع أنواع العقوبات،

العنف صفة صُنَّاع أسلحة الدمار الشامل وتجَّارها، العنف صفة المغتصبين لبلاد غيرهم الناهبين لثرواتهم القاتلين النساء والأطفال، العنف والعدوان صفة الذين يفسدون في الأرض ويبغونها عوجاً، أمَّا المسلمون ونبيهم ودينهم فهم بريئون من ذلك براءة الشمس من اللمس ،وواقعهم الماضي والحاضر خير شاهد على براءتهم ، وواقع أعدائهم الماضي والحاضر خير شاهد على إدانتهم.

أما الدعوى الثانية:

وهي أن نبينا محمداً ﷺ أجبر الناس على الدخول في دينه فهي كسابقتها عارية عن الدليل ومخالفة للواقع.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (٢٥٦) ﴾[البقرة : ٢٥٦] .

قال الحافظ المفسر ابن كثير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية:

يقول الله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، فإنه بيِّن واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً. وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً ، ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاة ـ التي لا يعيش لها ولد ـ فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا ،فأنزل الله عز وجل: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ اهـ.

ولم يجبر النبي ﷺ اليهود الذين كانوا بالمدينة على الدخول في الإسلام ، ولم يجبر أهل مكة حين فتحها على الدخول في الإسلام،وأمر ﷺ أصحابه إذا حاصروا

بلداً أن يدعوا أهلها إلى الإسلام أولاً، فإن أبوا دعوهم إلى دفع الجزية ويبقوا على دينهم تحت حماية المسلمين وتعصم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم ، فإن أبوا استعانوا بالله على قتالهم حماية للإسلام من ظلمهم وعدوانهم ، ولئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وكل منصف عرف الإسلام لا تسوِّل له نفسه اتهام هذا الدين بإجبار الناس على الدخول فيه.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ :

هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه واتضاح آياته ، وكونه هو دين العقل والعلم والفطرة والحكمة ، ودين الصلاح والإصلاح ، ودين الحق والرشد ، فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه عليه،لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق . أو لما تخفى براهينه وآياته،وإلا فمن جاءه هذا الدين وردَّه ولم يقبله فإنه لعناده . اهـ.

أما الدعوى الثالثة:

وهي أن هذا الدين لم ينتشر إلا بحد السيف ، فالجواب عنها إضافة إلى ما سبق قريباً كما يلي :

[١] أن النبي ﷺ بقي في مكة ثلاثة عشرة سنة والمسلمون في ازدياد، وكلما ازدادوا ازداد أذى كفار قريش لهم وحنقهم عليهم ،فهاجر من هاجر من الصحابة الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً بدينهم،ولم يؤمر النبي ﷺ وأصحابه بقتال طيلة هذه المدة ، بل أمروا بالصبر والعفو،وقد أسلم مَنْ أسلم من الرجال والنساء والأطفال طيلة هذه المدة الطويلة رغبة لا رهبة، بل كانوا يعانون ألواناً من الأذى بسبب إسلامهم من أقاربهم وقومهم، ولا يزيدهم ذلك إلا ثباتاً على هذا الدين ورغبة فيه وهذا وحده كافٍ في إبطال هذه الدعوى.

[٢] آمن أهل المدينة طواعية ورغبة فيما عند الله، فقد كان الرسول ﷺ

وأصحابه مستضعفين بمكة ، وبقية الصحابة قد فروا بدينهم إلى الحبشة ، فبأي سيف أسلم الأنصار؟ ، وأي جيشٍ توجَّه إليهم؟ ، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ وهو مستضعف ومن معه بمكة ، ثم هاجر إليهم ولم يزالوا يتسارعون إلى الدخول في الإسلام رجالاً ونساءً رضي الله عنهم وأرضاهم.

[٣] أسلم أهل اليمن دون قتال ، بل أرسل إليهم النبي ﷺ من يدعوهم إلى الإسلام فشرح الله صدورهم لذلك، فجاؤا مؤمنين ، فقال فيهم الرسولﷺ : « **أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ قلوباً وألين أفئدة ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية** » . فأي سيف سُلَّ عليهم حتى أسلموا قهراً؟.

[٤] أسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان من أعلم الناس بالنصرانية طوعاً بعد أن تحقق من علامات نبوة محمد ﷺ كما وصفها له كبار علماء النصارى قبل بعثة النبي ﷺ .

وهكذا ،كثير من أحبار اليهود ، ومنهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه،كلهم أسلموا باختيارهم دون أن يسلط عليهم سيف.

[٥] أسلم النجاشي وحسن إسلامه لما سمع القرآن وبلغه ما يدعو إليه نبي الإسلام ،وأهل الإسلام آنذاك في قلة وضعف ، وكثير من الصحابة قد فروا بدينهم إلى بلاده ، فأي سيف سُلَّ عليه؟ ، وأي جيش أرسل إليه؟ .

[٦] دخلت بعض دول شرق أسيا مثل أندونيسيا وماليزيا في الإسلام بلا سيف ولا جيش ، بل تأثروا بأخلاق تجَّار المسلمين وما سمعوا منهم عن هذا الدين ، فلما بان لهم أن هذا دين السماحة والرحمة والعدل والتوحيد دخلوا في دين الله أفواجاً ، فأي سيف سُلَّ عليهم؟ ،وأي جيش أرسل إليهم؟.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (١)

لَمّا بعث الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً،

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٤– ١٥ .

ولم يكرهه أحدٌ قط على الإسلام ،وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه - سبحانه - حيث يقول : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ وهذا نفي في معنى النهي، أي لا تكرهوا أحداً على الدين ، نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدين فنهاهم الله - سبحانه - عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام.

والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر... إلى أن قال - رحمه الله -:

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط ، وأنَّه إنما قاتل من قاتله، وأمَّا من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده ، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له ،كما قال تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**﴾ [التوبة :٧] .

ولَمَّا قدم المدينة صالح اليهود وأقرَّهم على دينهم ، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدأوه بالقتال قاتلهم فمنَّ على بعضهم وقتل بعضهم ، وكذلك لَمَّا هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله ونقضوا عهده ، فعند ذلك غزاهم في ديارهم. وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أُحد ، ويوم الخندق ، ويوم بدر أيضاً هم جاؤوا لقتاله، ولوا انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود أنه لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتة ،وإنما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعاً. فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لَمَّا تبين لهم الهدى،وأنه رسول الله حقاً.

فهؤلاء أهل اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم،كما قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: **(إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)** وذكر الحديث.

ثم دخلوا من غير رغبة ولا رهبة ، وكذلك من أسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير « عبد الله بن سلام » مذكورون في كتب السير والمغازي لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط، بل تحملوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم، فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام لا لرياسة ولا مال.

بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم ، لا يصرفه ذلك عن دينه.

وهؤلاء نصارى الشام كانوا ملئ الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الأبيض.

وكذلك المجوس كانت أمة لا يحصى عددها إلا الله، فأطبقوا على الإسلام لم يتخلف منهم إلا النادر ، وصارت بلادهم بلاد إسلام .اهـ .

ولنسألهم هنا سؤالاً:

أي سيف أسلم به من أسلم في أمريكا وأوربا وآسيا واستراليا في الوقت الحاضر؟ فنحن نسمع بين فترة وأخرى بأن أعداداً كبيرة يعتنقون الإسلام طواعية واختياراً، ومنهم العلماء المتخصصون، ومنهم القساوسة والرهبان، ومنهم أناس عاديون ، ليس هناك من سيوف وإنما بان لهم الحق وعرفوا معرفة يقينية سماحة الإسلام وسمو تعاليمه، وأنه الدين الموافق للفطرة والعقل، فبادروا إلى اعتناقه والانضواء تحت لوائه ، فنسأل الله أن يتقبل منهم وأن يثبتهم وأن يرزقهم الفقه في الدين.

« ولا يستطيع أحدٌ أن يثبت أن أحداً من الخلفاء أو أحد ولاتهم قد أتى بشخص واحد وخيَّره بين الإسلام والقتل، والإسلام لم تؤلف في ظله محاكم تفتيش لإجبار الناس على اعتناقه ، كتلك التي أقامها الصليبيون في الأندلس وفي روما » .

« والإسلام لم يتخذ من الدس والتآمر وسيلة لانتشاره، لأنه لا يحتاج إلى مثل هذه

الوسائل،ولأن الدين الذي يحتاج إلى مثل هذه الوسائل هو الدين الذي لا يملك من وسائل الإقناع إلا الغدر والقتل،ولا من الحجج الدامغة إلا أسلحة الفتك والتدمير ، ومثل هذا الدين لا يكتب له البقاء،ولا يستطيع أن يصمد في وجه الأعاصير.

بل الإسلام ينهى عن الإكراه في الدين، ويأمر أتباعه أن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) ﴾ .
[الغاشية : ٢١-٢٢] .

بل إن التاريخ يحدثنا بأن الجيش الإسلامي الذي فتح بخارى اجتاح إحدى مدنها قبل أن يخير أهلها بين الإسلام أو القتال أو الجزية، فاحتج أهل تلك المدينة على قائد الجيش ورفعوا شكوى ضده إلى عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فما كان من عمر إلا أن أمر قائد الجيش بإخراج الجيش من المدينة وتخيير أهلها بعد ذلك بين الإسلام أو القتال أو الجزية، فما كان من أهل تلك المدينة إلا أن أعلنوا إسلامهم بعد أن لمسوا مثالية الإسلام وسمو أهداف من حملوا رسالته.

ولو ترك الإسلام وشأنه لانتشر وعم المعمورة ، ولكن أبى أعداء الإسلام ممن قضى الإسلام على مصالحهم وألغى وجودهم وأعادهم إلى حجمهم الطبيعي إلا أن يحاربوه في السر بعد أن عجزوا عن قهره في العلانية، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الدس الرخيص والكيد اللئيم إلا جربوها للقضاء عليه، وما الجمعيات السرية وما المذاهب المنحرفة ولا الحركات الهدامة التي عاثت في كيان الأمة الإسلامية فساداً وتخريباً عبر القرون إلا أثراً من آثار تلك الحروب ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾ [التوبة : ٣٢] [١] .

ولعل القائلين بأن الإسلام انتشر بحد السيف نسوا أو تناسوا ماضيهم وحاضرهم المليء بالفضائح والمذابح ضد المسلمين ، فلا زالت سيوفهم تقطر من دماء المسلمين، ولا زالت بعض بلاد المسلمين تحت وطأة احتلالهم وظلمهم ، ولا زالت ثروات المسلمين في كثير من البلاد تحت تصرفهم، ولا زالوا ينشرون عقائدهم وأفكارهم بين المسلمين المخدوعين بهم تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب تحت شعار الحرية والمساواة ، ومن استغنى بوحي السماء عن أفكارهم دموه بالإرهاب والعنف ومحاربة السلام ، وما أشبه ذلك ؛ ربنا افتح بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاتحين.

وأما الدعوى الرابعة:

وهي أن الإنجيل ليس فيه ما يدل على استخدام السيف أو الأمر باستخدام السيف، فمكابرة مكشوفة ، فإن في الإنجيل ما يكذِّب هذه الدعوى.

ففي إنجيل لوقا نصٌ عن المسيح أنه قال : « أمَّا أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي » [٢] .

ونصٌ آخر عنه أنه قال: « لكن الآن من له كيس فليحمله ، ومن عنده مال فليأخذه ، ومن ليس له فليبع ثوبه وليشتري سيفًا » [٣] .

وفي موضع آخر قال: « بع ما لديك واشتر سيفاً واتبعني » [٤] .

وفي إنجيل متَّى نصٌ آخر عن المسيح عليه السلام يقول فيه:

« ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً جئت لأفرق بين المرء وأبيه، والأم وابنتها ،والحماة وكنتها ، وأعداء المرء أهل بيته » [٥] .

وبعد كل ما سبق علم أن الدين الإسلامي الحنيف الذي بُعِثَ به محمدٌ ﷺ بريءٌ مما ينسب إليه براءة الشمس من اللمس،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٩٥ – ٩٦ باختصار.

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر البند ٢٧ .

(٣) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني والعشرون البند ٦ .

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر البند ٢٧ .

(٥) إنجيل متى الإصحاح العاشر البند ١–٥ .

الشبهة الثانية :

فإن قالوا : إن الجهاد الذي تعتبرونه من أعظم شعائر دينكم يعدُّ إرهاباً لأنكم تستحلون به دماء أعدائكم وأموالهم وأعراضهم .

فالجواب عن هذا وبالله التوفيق ، هو حسبنا ونعم الوكيل ، كما يلي :

أولاً : الأمر كما ذكرتم من أننا نعتبر الجهاد في سبيل الله من أعظم شعائر ديننا ، ومن أعظم أسباب عزِّ الإسلام وأهله إذا كان على وفق شرع الله ، فهو كما قال نبينا ﷺ ذروة سنام الإسلام » [1]

والذي شرع الجهاد هو الذي أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الخلق ، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ والمسلمون ليسوا بدعاً من الأمم في القيام بهذه الشريعة العظيمة .

فقد كان في الأمم السابقة أن الأمة إذا عصت نبيها ،وعتت عن أمر ربها ، واستكبرت عن عبادة خالقها ورازقها ومالكها ، انتقم الله منها ،وأهلكها عن آخرها ، ونجَّى رسوله ومن آمن معه ، تطهيراً للأرض من شركهم وكفرهم ، كما حصل لقوم نوح ،وعاد ،وثمود ،وقوم لوط ، وقوم شعيب ، كما قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٦١٦ ،وابن ماجه برقم ٣٦٧٣ ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤١٣) وعبد الرزاق في مصنفه (١١ / ١٩٤) وغيرهم وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– في صحيح الجامع برقم ٥١٣٦ .

رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ

كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ [الأعراف : ٥٩-٩٣] .

ثم إن الله بعد ذلك شرع الجهاد بدلاً من الهلاك العام ، عقوبة لأعداء الله الذين أبوا أن يعبدوا الله وتكبروا عما خلقوا له من إفراد الله بالعبادة دون ما سواه، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإتباع رسله ، فشرع الله الجهاد عقوبة للكافرين المتكبرين الذين يعيثون في الأرض فساداً، وأمناً للمؤمنين ، ورفعة في درجاتهم ، فكان الجهاد من سُنن الأنبياء بعد القرون الأولى.

فهذا نبي الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج بقومه غازياً في سبيل الله فخذله قومه، كما قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [المائدة : ٢٠-٢٦] .

وكذلك في بني إسرائيل من بعد موسى ﷺ كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾ .

[البقرة : ٢٤٦] .

إلى أن قال لهم نبيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة :٢٤٧] .

فجادلوا طويلاً ، ثم خرج بهم طالوت غازياً في سبيل الله ، ثم قال لهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾ [البقرة : ٢٤٩-٢٥١] .

وهذا يوشع بن نون ﷺ وهو من أنبياء بني إسرائيل خرج غازياً في سيبل الله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس** » [1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ /٣٢٦) ،والطحاوي في مشكل الآثار برقم (١٠٦٩) ، الخطيب في تاريخه (٧ /٣٤-٣٥) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢ / ١٧٢) وسنده صحيح .

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: «**لا يتبعني رجلٌ ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبني بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم أحبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم فجاءت ـ يعني نار ـ لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا**» [١].

ثانياً: أن المسلمين عند أن يقوموا بالجهاد إنما يقومون به طاعة لله ورسوله، واتباعاً لسُنن أنبياء الله الذين جاهدوا أعداء الله الذين يفسدون في الأرض ويبغونها عوجاً.

ثالثاً: أن الذين يعترضون على هذه الشعيرة إنما يضادون الله في أمره، ويضادون كتبه ورسله.

رابعاً: أن في هذه الفريضة العظيمة مصالح كثيرة وحكم عديدة منها:

(أ) أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

(ب) لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)** ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال الله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)** ﴾ [التوبة: ٢٩].

(جـ) حماية دين الله وعباد الله من شر الكافرين، لأنهم لو تُركوا وشأنهم لاستطال شرهم على أهل الإيمان، لأنهم لا يرضون أن يبق على وجه الأرض أحدٌ يخالفهم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فرض الخمس) باب (قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم)، برقم ٣١٢٤.

قال الله تعالى :﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ .

[البقرة : ٢١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٩] .

(د) لأجل إنقاذ الكفار من النار وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

(هـ) « ليعم الخير أهل الأرض،ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد، وينعم العباد بحكم الشريعة العادل وتعاليمها السمحة،وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام،ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ـ سبحانه ـ ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة » (١)

وبذلك يتبين أن المسلمين إنما يجاهدون أعداء الله وأعداء رسله وكتبه وأعداء الفِطَر السليمة والعقول المستقيمة لا رغبة في سفك الدماء ولا طمعاً في بلاد الكفار وأموالهم ، ولكن لإقامة دين الله وحمايته في أرضه وبين عباده ،ولإنقاذ الكفار من عذاب الله وإخراجهم من ظلمات الشرك والإلحاد إلى نور التوحيد ، ويتحمل المسلمون في سبيل ذلك المشقة والقتل والجراح ، ومفارقة الأهل والأوطان ،كل ذلك لأجل مصلحة البشرية وأمنهم من عذاب الله .

فإن كان هذا يُعد إرهاباً لأعداء الله وأعداء كتبه ورسله، وأعداء الفطر السليمة والعقول المستقيمة المفسدين في الأرض ، فهم الجناة على أنفسهم .

فالجهاد في سبيل الله فيه رحمة بالمؤمنين والكافرين :

أمَّا الرحمة بالمؤمنين،فلأن الكفار لو تركوا وشأنهم للقي منهم أهل الإيمان الويلات، ولاغتر بهم بعض ضعاف النفوس،ولحقوا بهم في قافلة الكفر،والإلحاد ففي الجهاد يأمن أهل الإيمان على دينهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ويأمنون في بلادهم،ومن قتل منهم في سبيل الله نال شرف الشهادة، وفاز بالأجر العظيم والثواب الجزيل .

وأمَّا كون الجهاد رحمة بالكفار، فإنهم إما أن يسلموا طواعية واختياراً فيصبحوا

---

(١) فضل الجهاد والمجاهدين لسماحة العلامة ابن باز –رحمه الله – ص ٢٤–٢٥ .

إخوة للمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإما أن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فيقروا على دينهم ، ويأمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم تحت ظل الشريعة الإسلامية العادلة السمحة، ومن أبى منهم هذا وهذا فلا بد من استئصاله وتطهير الأرض من شركه وفساده وبغيه وعدوانه،وقتله خير من بقائه على الكفر، تزاد أوزاره وذنوبه فيزداد عذابه يوم القيامة.

الشبهة الثالثة:

قالوا إن الدين الذي جاء به محمد ﷺ يسترقُّ البشر، وفي هذا جناية على حقوق الإنسان:

فنقول، وبالله نصول ونجول:

عجباً لمن يتباكون على حقوق الإنسان وقد ضيعوا حقوق رب الإنسان ـ سبحانه وتعالى ـ وانتهكوا حقوق الإنسان وتمردوا على شرع الرحمن ورسله الكرام،وأفسدوا في أرض الله وتحت سمائه ،وسنُّوا القوانين التي تناقض أحكامه،وليعلم هؤلاء أن سبب الملك بالرق في الشريعة الإسلامية « هو الكفر ومحاربة الله ورسوله، فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم وجميع قواهم، وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفَّار ،جعلهم ملكاً لهم بالسبي، إلا إذا اختار الإمام المنَّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة على المسلمين.

وهذا الحكم أعدل الأحكام وأوضحها حكمة.

وذلك أن الله ـ جل وعلا ـ خلق الخلق ليعبدوه ويوحِّدوه ، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه،كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾** ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، وفي الآية الأخرى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾** ﴾ [النحل: ١٨] ، وجعل لهم السمع

والأبصار والأفئدة ليشكروه،كما قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾** ﴾[النحل:٧٨] .

فتمرَّد الكفار على ربهم،وطغوا وعتوا،وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمة الله هي العليا، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم الله عليهم بها في محاربته، وارتكاب ما يسخطه ومعاداته ،ومعاداة أوليائه القائمين بأمره ،وهذه أكبر جريمة يتصورها الإنسان.

فعاقبهم الحكم العدل، اللطيف الخبير ـ جل وعلا ـ عقوبة شديدة تناسب جريمتهم، فسلبهم التصرف ،ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوان فأجاز بيعهم ،وشراءهم ،وغير ذلك من التصرفات المالية ، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً، فأوجب على مالكيهم الرفق بهم والإحسان إليهم،وأن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون،ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، وإن كلفوهم أعانوهم كما هو معروف في السُّنَّة الواردة عنه ﷺ مع الإيصاء عليهم في القرآن ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء : ٣٦] .

وتشوَّف الشارع تشوُّفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق فأكثَرَ أسبابَ ذلك.

وأوجب سراية العتيق وأمر بالكتابة في قوله: ﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور : ٣٣] ، ورغب في الإعتاق ترغيباً شديداً،ولو فرضنا ـ ولله المثل الأعلى ـ أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك والرق،وتشنِّع في ذلك على دين الإسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النِّعم،وتُسدى إليه جميع أنواع الإحسان،ودبَّر عليها ثورة شديدة يريد بها إسقاط حكمها وعدم نفوذ كلمتها، والحيلولة بينها وبين ما تريد من تنفيذ أنظمتها التي يظهر لها أن بها صلاح المجتمع ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة ، فإنها تقتله شر قتلة.

ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه ، فهو أشد سلباً لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرِّق بمراحل.

والكافر قام ببذل كل ما في وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه ليسير عليه خلقه، فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية ، وتنتظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسماها

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل ٩٠] .

فعاقبه الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف ووضع درجته.

وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك.

فإن قيل: إذا كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق؟ مع أن سبب الرق هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال؟.

فالجواب: أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق ، والأحقيَّة بالأسبقية ظاهرة لا خفاء بها.

فالمسلمون عندما غنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع وهو الحكيم الخبير.

فإذا استقر هذا الحق وثبت ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقُّه في الخروج من الرِّق بالإسلام مسبوقاً بحقٍّ المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام،وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر،كما هو معلوم عند العقلاء.

نعم يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم،وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه وفتح له الأبواب الكثيرة،كما قدمنا ، فسبحانه الحكيم الخبير ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) ﴾ [الأنعام :١١٥] .

فقوله : ﴿ صِدْقًا ﴾ أي في الأخبار وقوله : ﴿ عَدْلاً ﴾ أي في الأحكام،ولا شك

بعد ذلك أن من ذلك العدل : الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن » (١) .

وقال العلامة عبد الرحمن البسَّام ـ رحمه الله ـ في تيسير العلام شرح عمدة الأحكام : المبحث الثاني: (٢)

نعى بعض أعداء الدين الإسلامي إقرار الشريعة الإسلامية الرِّق الذي هو ـ في نظرهم ـ من الأعمال الهمجية جملة .

لذا نريد أن نبين حال الرِّق في الإسلام وغيره، ونبين موقف الإسلام منه بشيء من الاختصار، لأن المقام لم يخصص لهذه البحوث .

✿ فالإسلام لم يختص بالرِّق، بل كان منتشراً في جميع أقطار الأرض .

✿ فهو عند الفرس والروم والبابليين واليونان، وأقره أساطينهم من أمثال « أفلاطون » و « أرسطو » .

✿ وللرق عندهم أسباب متعددة في الحرب والسبي والخطف واللصوصية .

بل يبيع أحدهم من تحت يده من الأولاد وبعضهم يعدُّون الفلاحين أرقاء ، وكانوا ينظرون إلى الأرقاء بعين الاحتقار والازدراء، فكانوا يمتهنونهم في الأعمال القذرة والأعمال الشاقة .

✿ فـ « أرسطو » من الأقدمين يرى أنهم غير مخلدين لا في عذاب ولا في نعيم،بل هم كالحيوانات .

✿ والفراعنة استعبدوا بني إسرائيل أشنع استعباد حتى قتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم .

✿ والأوربيون ـ بعد أن اكتشفوا أمريكا ـ عاملوا الأمريكيين أسوأ معاملة .

هذا هو الرق بأسبابه وآثاره، وكثرته في غير الإسلام ، ولم نأت إلا على القليل من شنائعه عندهم .

---

(١) أضواء البيان للعلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ (٣ /٣١٤-٣١٦) .
(٢) (٢ /٥٦٦-٥٦٩) .

فلننظر الرق في الإسلام :

أولاً: أن الإسلام ضيق مورد الرّق، إذ جعل الناس كلهم أحراراً لا يطرأ عليهم الرق إلا بسبب واحد : « وهو أن يؤسروا وهم كفار مقاتلون » مع أن الواجب على القائد أن يختار الأصلح من الرق، أو الفداء، أو الإطلاق بلا فداء،حسب المصلحة العامة.

فهذا هو السبب وحده في الرق، وهو سبب كما جاء في النقل الصحيح،فإنه يوافق العقل الصحيح أيضاً.

فإن من وقف في سبيل عقيدتي،وأراد الحدَّ من حريتي،وألّب عليَّ وحاربني، فجزاؤه أن أمسكه عندي ليفسح المجال أمامي وأمام دعوتي.

هذا هو سبب الرق في الإسلام لا النهب والسلب،وبيع الأحرار واستعبادهم ،كما هو عند الأمم الأخرى.

ثانياً: أن الإسلام رفق بالرقيق وعطف عليه، وتوعد على تكليفه وإرهاقه ، فقال ﷺ : «**اتقوا الله وما ملكت أيمانكم**» .

وقال ﷺ أيضاً : «**للمملوك طعامه وقوته، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق**» رواه مسلم.

بل إن الإسلام رفع من قدر الرقيق حتى جعلهم إخوان أسيادهم.

فقد قال ﷺ : «**هم إخوانكم وخولكم ،جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم ، فإن كلّفتموهم فأعينوهم**» متفق عليه.

ورفع من مقامهم عند مخاطبتهم حتى لا يشعروا بالضعة ، ولذا قال ﷺ : «**لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي**» .

كما أن المقياس في الإسلام لكرامة الإنسان في الدنيا والآخرة، لا يرجع إلى الأنساب والأعراق، وإنما يرجع إلى الكفاءات والقيم المعنوية ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقد بلغ شخصيات من الموالي - لفضل علمهم وقدرتهم - ما لم يبلغه ساداتهم، إذ قادوا الجيوش وساسوا الأمم،وتولوا القضاء والأعمال الجليلة بكفاءتهم التي هي أصل مجدهم. ومع ما رفعه الشارع من مقام المملوك فإن له تشوفاً إلى تحرير الرقاب وفك أغلالها ، فقد حث على ذلك ووعد عليه النجاة من النار والفوز بالجنة، وقد تقدم بعض ذلك.

ثم إنه جعل لتحريرهم عدة أسباب، بعضها قهرية وبعضها اختيارية.

فمن القهرية أن من جرح مملوكه عتق عليه.

فقد جاء في الحديث: أن رجلاً جدع أنف غلامه فقال رسول الله ﷺ : «**اذهب فأنت حر** » فقال: يا رسول الله فمولى من أنا؟،قال: «**مولى الله ورسوله**» .

ومن أعتق نصيبه من مملوك مشترك عتق نصيب شريكه قهراً ، كما في الحديث «**من أعتق شِرْكاً له في مملوك وجب عليه أن يعتق كله**» رواه البخاري.

ومن ملك ذا رحم محرم عتق عليه قهراً ، لحديث: «**من ملك ذا رحم محرم فهو حر** » رواه أهل السُنن.

فهذه أسباب قهرية تزيل ملك السيد عن رقيقه ، خاصة في هذا الباب لما له من السراية الشرعية والنفوذ القوي الذي لم يجعل في عتقه خياراً ولا رجعةً.

ثم إن المشرع - مع حثه على الإعتاق - جعله أول الكفارات في التخلص من الآثام والتحلل من الأيمان.

فالعتق هو الكفارة الأولى في الوطء في نهار رمضان،وفي الظهار،وفي الأيمان،وفي القتل ، فكيف - بعد هذا - يأتي الغربيون والمستغربون فيعيبون على الإسلام إقراره الرق،ويتشدقون بالحرية والمناداة بحقوق الإنسان وهم الذين استعبدوا الشعوب وأذلوا الأمم واسترقوهم في عقر دارهم،وأكلوا أموالهم واستحلوا ديارهم؟! ،أفيرفعون رؤوسهم وهم الذين يعاملون بعض الطبقات في بلادهم أدنى من معاملة العبيد؟! .

فأين مساواة الإسلام مما تفعله أمريكا بالزنوج الذين لا يُباح لهم دخول المدارس ،

ولا تحل لهم الوظائف، ويجعلونهم والحيوان سواسية؟!، وأين رفق الإسلام وإحسانه، مما يفعله الغرب بأسرى الحرب الذين لا يزالون في المجاهل والمتاهات والسجون المظلمة؟! ، بعد هذا ألم يأن للمصلحين ومحبي السلام أن يبعدوا عن أعينهم الغشاوة،فيراجعوا تعاليم الإسلام بتدبُّر وإنصاف، ليجدوا ما فيه سعادة الإنسانية في حاضرهم ومستقبلهم؟!!.

اللهم انصر دينك ، ووفق له الدعاة المخلصين . اهـ.

شبهات حول العقوبات الشرعية

التي جاء بها عن الله محمد بن عبد الله - ﷺ -

رحمة بالناس والجواب عنها

أولاً: الشبهات العامة:

الشبهة الأولى: أن العقوبات الشرعية قديمة وجامدة:

قد عفى عليها الزمن، وتجاوزتها الحضارة، ولم تعد ملائمة لهذا العصر: عصر التقدم والمدنية والتحضر التقني والصناعي. فالأخذ بها تقهقر بالإنسانية الراقية ورجعية بها إلى عهود الظلام الدامس والقرون الوسطى ،ولئن كانت هذه العقوبات صالحة للبيئة البدوية التي نزل فيها القرآن ومناسبة لأولئك الحفاة الجفاة من الأعراب قبل ألف وأربعمائة عام، فإنها لا تصلح للعالم المتحضر الحديث،ولا تناسب المتحضرين المتمدنين في القرن العشرين ، وكيف يليق بهم أن يخضعوا لقانون نشأ بين جبال مكة والمدينة ، وجلاميد الصحراء وأحراش الجزيرة.

دحض هذه الشبه:

كل ما في هذه الشبهة أن العقوبات الشرعية قديمة شرعت لمجتمعات بدائية تختلف طبيعتها وعاداتها عن المجتمعات العصرية المتحضرة ،وهذا دليل على عدم صلاحيتها للتطبيق في هذا العصر الذي بلغت فيه المدنية ذروتها.

وهذا قول متهافت ساقط من وجوه:

[١] أن العاقل المنصف لا يزن الأحكام والتشريعات بالزمان الذي صدرت فيه أو نقلت منه، ولا بالبقعة التي جاءت منها أو كانت فيها، ولكن الميزان الذي تُقوَّم به مدى صلاحيتها، وتحقيقها للغاية المبتغاة منها.

فالعاقل نصير الحق وناشد الحكمة أنى وجدها، ومن أي شخص جاء بها، وفي أي

زمان أو مكان وقعت فيه، وهو عدو الباطل، بصرف النظر عن مصدره وعن زمانه ومكانه ومن دعا إليه وعمل به.

وعليه فليس كل قديم مردوداً ، ولا كل جديد مقبولاً، ولا كل ما نشأ في البادية فاسداً ، ولا كل ما نشأ في الحضر صالحاً .

[٢]أن مصدر هذا التشريع ليس بقعة من بقاع الأرض ولا اجتهاداً بشرياً قاصراً، وإنما هو شريعة الله التي أنزلها هدى ورحمة للعالمين،عربهم وعجمهم باديهم وحاضرهم ، أولهم وآخرهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾[الأنبياء:١٠٧] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾[سبأ : ٢٨]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، فهو لم ينبع من أرض عربية أو أعجمية ، ولا اخترعته أدمغة بشرية،وإنما هو حكم الله الذي أوحى به إلى عبده ورسوله محمد ﷺ ليبلغه للناس وليحمله تبعة تطبيقه والعمل به ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾. [يونس : ١٠٨] .

[٣]أن تعلق هؤلاء بالجديد ونبذهم للقديم ليس مبنياً على منطق عقلي سليم، وإنما هو استجابة لوهم من الأوهام النفسية التي تتعلق بالجديد أياً كان نوعه ظناً منها بأنه لا يزال يحتفظ بذخره ومكنون خيراته،وتعاف القديم مهما كان نوعه ـ أيضاً ـ لتبرمها به وتوهمها بأن الزمن قد استحلب خيراته وقضى على فوائده،وأن العقل البشري لا بد أن يكون قد تجاوزه إلى ما هو أجدى وأنفع.

ولا يجوز لعاقل يحترم عقله أن يستجيب لهذه الإيحاءات النفسية الخاطئة ، ويلغي ما يقتضيه العقل السليم والمنطق الصحيح.

ولئن كانت النفس البشرية تخيل لصاحبها أن القديم قد زال نفعه وجنيت ثماره، فإن العقل السديد يقرر أن قيمة كل قديم وجديد بجدواه وآثاره وتحقيقه للثمرة المرجوة منه،ورب جديد كان مبعث شقاء ودمار على الإنسان،ورب قديم

شهد له العقلاء والتاريخ الغابر والواقع المعاصر ، على أنه كان ولا يزال مصدر خير وسعادة لكل من ظفر به .

ولقد علم كل إنسان أن مقومات الحياة في هذه الدنيا من شمس وهواء وأرض وماء وزرع وضرع لم يُخلِقْها تعاقب الزمان وكَرُّ الليالي والأيام! .

فهل قاطع أصحاب النفوس التي تشمئز من القديم هذه المقومات الأساسية لقدمها؟ وهل تحولوا ساعة عن التعامل معها؟

والعقوبات المقدرة في الشريعة إنما هي عقوبات على جرائم ثابتة،لا يتبدل وجه المفسدة فيها مهما اختلفت الأزمان والأماكن،وتطورت الحياة والنظم،ولهذا فإنها لا تزال صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

[٤] أن هذه الشبهة جاءت من قياس العقوبات الشرعية على العقوبات الوضعية التي تتطور مع الزمن ويحصل فيها التغيير والتبديل بين الحين والحين تلافياً لما فيها من الأخطاء،وتحقيقاً لما هو أجدى وأكمل .

وما دامت القوانين تلغى أو تعدل فلم لا نفعل مثل ذلك في العقوبات الشرعية؟ ، وهذه نظرة خاطئة إلى الشريعة الإسلامية،ومكمن الخطأ فيها قياس شريعة الله ـ عز وجل ـ العادلة المحكمة على الاجتهادات البشرية القاصرة التي تتأثر بما حولها من مؤثرات شخصية أو اجتماعية أو بيئية أو غيرها .

ولو سلمنا جدلاً : أنه ينبغي مسايرة التشريع للعصر فما مقياس ذلك؟ ، إن كان يرجع إلى انتشار الفساد و كثرة الإجرام وتفشي الظلم والعدوان،فإن العقوبات في هذا الزمن يجب أن تزيد قسوة وشدة،وما كان يصلح لأولئك الأعراب البسطاء ذوي الإمكانات المحدودة فإنه لا يصلح لمجرمي العصر،حيث الإجرام المنظَّم وتوظيف التقنية الحديثة لخدمة محترفي الإجرام، والساعين في الأرض بالفساد والظلم .

وإن كان المقياس هو التقدم العلمي والتقني والتطور الصناعي والمدني،فإن الذي سن هذه العقوبات الشرعية هو الذي منح البشرية ما وصلت إليه من العلم والتقدم ،

فلا يمكن أن تكون هذه العقول المخلوقة أعلم من خالقها ، وأكثر منه إدراكاً لمصالح البشرية وأسباب سعادتها وأمنها !! .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

وإن كان المقياس ضعف النفوس ورخاوتها والرغبة في إطلاق العنان لها للتمادي في الظلم والإجرام من غير رادع ولا زاجر فليس هذا بمقياس .

[٥] أن تحقيق هذه العقوبات الشرعية للأمن وحمايتها لمصالح الناس ومكافحتها للجرائم على مدى القرون الماضية التي طبقت فيها، مع اختلاف البيئات والثقافات والأجناس دليل على أنها تشريع من حكيم خبير ، وأنه لا يمكن أن يقوم غيرها مقامها ، ولا أن يحقق الثمرة التي تتحقق من خلالها .

الشبهة الثانية :

أن العقوبات الشرعية تتسم بالقسوة والهمجية التي تبعث على الاشمئزاز:

ولا تتناسب مع روح هذا العصر وإنسانيته، وحمايته لحقوق الإنسان وكرامته .

دحض هذه الشبة:

وهذه شبهة داحضة من وجوه:

أولاً: أن العقوبات ليست مكافأة على عمل مبرور، وإنما هي جزاء مقرر على ارتكاب جريمة يقصد به الإيلام والردع ، وإذا لم تكن العقوبة مؤلمة فليس لتطبيقها أي أثر في الزجر والردع .

حتى تأديب الرجل ولده لا بد أن يكون فيه شيء من الإيلام والقسوة ليتأتى تأديبه وإصلاحه . وقديماً قال الشاعر الحكيم :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس أحياناً على من يرحم

ولا شك أن الإنسان يتمنى ألا توجد في المجتمع جريمة أبداً حتى لا توجد

عقوبات أصلاً،بحيث يفهم كل فرد ما له فيقتصر عليه وما عليه فيؤديه عن طواعية واختيار. ولكن هذا حلم لا يمكن أن يتحقق،ورغبة خيالية تصطدم بالواقع المعاش.

فهناك نفوس جاهلة حمقاء لا تلتزم بما لها وما عليها،ونفوس شريرة ظالمة قد تأصَّل فيها الإجرام والإفساد،وسعت للإضرار بالآخرين وبخسهم حقوقهم.

والحياة لا يمكن أن تستقيم وتنتظم إلا بالالتزام، واحترام حقوق الآخرين وعدم المضارة بهم،فمن خرج عن هذا الالتزام وسعى للإضرار بنفسه وبغيره كان ردعه واجباً عقلاً وشرعاً، ولا ردع إلا بقسوة وإيلام،واسم العقوبة مشتق من العقاب، ولا يكون العقاب عقاباً إذا كان موسوماً بالرخاوة والضعف.

فعنصر القسوة إذاً يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة ، فلو فقدت القسوة فقدت معها العقوبة بدون شك.

ولكن ما هي الدرجة التي يجب أن تقف عندها قسوة العقوبة على جريمة ما ؟:

إن الذي يحدد هذه الدرجة هو تصور مدى خطورة الجريمة التي استلزمتها، أي أن القسوة يجب أن تكون ملائمة للجريمة، فتزيد بزيادة خطورتها وشدة آثارها وتنقص بنقص ذلك ، وهذه الحقيقة محل وفاق عند جميع المشتغلين بالتشريع والتقنين مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب، وإن اختلاف القوانين العقابية الوضعية أكبر شاهد على ذلك.

فإذا كان في الناس من يصف العقوبات الشرعية بقسوة زائدة على مقتضى هذه القاعدة التي لا خلاف فيها، فسبب ذلك أنهم يخطئون في تقويم خطورة الجرائم التي رتبت عليها هذه العقوبات دون أن يعتبروا في ذلك نظرة المشرع لها وتقويمه لخطورتها ، والعجيب أن خصوم الشريعة الإسلامية يدركون هذه الحقيقة ويفقهون هذا المعنى عندما يكون البحث متعلقاً بقانون من القوانين الوضعية ، فرب كلمة لا نرى بها بأساً ، يتفوه بها فرد من رعايا دولة ، تطبق قانوناً وضعياً تواجهه بسببها عقوبة الإعدام.

ورب فاحشة عظمى يجب مكافحتها تشيع بين رعايا تلك الدولة فلا يؤبه بها ولا يلتفت إليها بأي نقد أو استنكار!! .

وليس أيسر على خصوم الشريعة الإسلامية من أن يدافعوا عن كلا المذهبين بأن كل أمة إنما تسن قوانينها حسب مبادئها وفلسفتها التي تنظر بها إلى الإنسان والكون والحياة.

أفيحق لكل أمة أن تسن ما تشاء من قوانين الردع والزجر حسب نظرتها إلى الكون والإنسان والحياة خطأً كانت النظرة أو صواباً ، ثم لا يحق لخالق الكون والإنسان والحياة أن يشرع هو الآخر قوانين الردع والزجر بما يتفق مع مقاصد شريعته، ويتسق مع نظام كونه ويحقق مصالح عباده؟!! .

والحكمة في تغليظ العقوبات الشرعية التي توصف بالوحشية والهمجية من قتل القاتل،ورجم الزاني،وقطع السارق وغيرها من العقوبات المقدرة ظاهرة جلية ، فإن هذه الجرائم هي أمهات المفاسد،وكل واحدة منها تتضمن اعتداءً على واحدة من المصالح الخمس الكبرى،والتي أجمعت الشرائع والعقلاء في كل زمان على وجوب حفظها وصيانتها، لأنها لا يمكن أن تستقيم الحياة ة بدونها.

ولأجل هذا كان المرتكب لشيء منها جديراً بأن تغلظ عليه العقوبة حتى تكون زاجرة له ورادعة لغيره.

وهاهي ذي الجرائم الكبرى تعصف بكثير من ا لدول التي لا تطبق الشريعة الإسلامية، مع كل ما توفر لها من إمكانيات وقدرات وتقدم مادي وتقني وأجهزة أمنية وإدارية واستخبارية.

ثانياً: أن هؤلاء الطاعنين في هذه العقوبات قد اعتبروا مصلحة المجرم ونسوا مصلحة المجتمع ، وأشفقوا على الجاني وأهملوا الضحية، واستكثروا العقوبة وغفلوا عن قسوة الجريمة.

ولو أنهم قرنوا العقوبة بالجريمة ولاحظوا الاثنين معاً لخرجوا موقنين بالعدالة في

العقوبات الشرعية ومساواتها لجرائمها.

فإذا استحضرنا مثلا فعل السارق وهو يسير في جنح الظلام متخفياً ينقب الجدار ويكسر القفل ويشهر السلاح ويروع الآمنين هاتكاً حرمة البيوت وعازماً على قتل من يقاومه ، وكثيراً ما تقع جريمة القتل كوسيلة يتذرع بها السارق إلى إتمام سرقته أو الفرار من تبعاتها فيقتل من غير تمييز.

وإذا تصورنا حالة النساء والأطفال في البيت وهم يستيقظون ويفتحون أعينهم على وجه السارق المرعب الشرس،وهو شاهر سلاحه يهدد من يواجهه ، وتصورنا ما يحدثه فعل السارق من قلق عند الناس جميعاً وتعطيل لحركتها وبث للرعب في نفوسهم وإذهاب لطاقاتهم في حماية أموالهم وتأمينها بالمغاليق والأقفال، لأن السارق يبغي المال وهو موجود عندهم جميعاً فهم معرضون لإجرامهم دون تمييز.

لو تصورنا هذا أو بعضه مما يحدثه فعل السارق ثم قارناه بقطع يده الآثمة الظالمة لما قلنا عن عقوبته إنها قاسية ظالمة.

وهكذا الشأن في بقية العقوبات، علينا أن نستحضر جرائمها وما فيها من أخطار وأضرار وظلم واعتداء،حتى نستيقن أن الله تعالى قد شرع لكل جريمة ما يناسبها، وجعل الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

ثالثاً: أن الله تعالى أراد للناس أن يعيشوا آمنين مطمئنين، ولن يتيسر لهم ذلك إلا ببتر الفاسدين وقطع دابرهم. وهذه سُنَّة الله في خلقه.

فإن الإنسان إذا كان فيه عضو فاسد لا علاج له إلا بقطعه كله أو بعضه فلا مناص من الإقدام على ذلك. وهذا الطبيب الذي يستأصل بمبضعه المرهف هذا العضو الفاسد من جسم أخيه أليس ضربه المبضع في لحمه وقطعه الجزء الفاسد من جسمه مظهراً من مظاهر القسوة؟!

ولكنها قسوة هي عين الحكمة والرحمة والمصلحة،وبخاصة إذا قيست بما يترتب على تركها من هلاك وتلف،وما ينشأ عنها من آلام وأوجاع تفوق مصلحة بقائها.

والمجتمع هو الجسم كله،وما الفرد الفاسد إلا عضو من أعضائه ، فهي تحفظ للمجتمع حقه،ولا تضحِّي به في سبيل الأفراد الخارجين عليه،والعقوبة التي تحابي هؤلاء الأفراد على حساب الجماعة إنما تضيع مصلحة الفرد والجماعة معاً،لأنها تؤدي إلى ازدياد الجرائم واختلال الأمن وانحلال المجتمع،وإذا دب الانحلال في المجتمع فقل على الأفراد وعلى المجتمع العفاء.

قال عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ:

« وربما كانت أسباب المصالح مفاسد ،فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد بل لكونها مؤدية إلى المصالح،وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظاً للأرواح، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد بل لأدائها إلى المصالح المقصودة من شرعها، كقطع يد السارق وقطاع الطرق ،وقتل الجناة ،ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم ، وكذلك التعزيرات،كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقية » .

رابعاً: أن الإسلام قبل أن يستأصل هؤلاء المجرمين ويقرر عليهم العقوبات الرادعة قد أعذر إليهم:

حيث قدم لهم من وسائل التربية والوقاية ما كان يكفي لإبعادهم عن الجريمة التي اقترفوها لو كانت لهم قلوب تعقل أو نفوس ترحم.

ثم إنه لا يطبقها أبداً حتى يضمن أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مسوغ ولا شبهة اضطرار، فوقوعه فيها بعد كل هذا دليل على فساده وشذوذه واستحقاقه للعقوبات الرادعة المؤلمة.

فهو مثلاً لا يقطع يد السارق إلا بعد توفر الوسائل التي تمنع من السرقة،فقد عمل على توزيع الثروة توزيعاً عادلاً،وجعل في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء، وأوجب النفقة على الزوج والأقارب،وأمر بإكرام الضيف والإحسان إلى الجار، وجعل الدولة مسؤولة عن كفالة أفرادها بتوفير تمام الكفاية لهم في الحاجات الضرورية من

مطعم وملبس وغيرها ، بحيث يعيشون حياة لائقة كريمة ، كما أنها تكفل أفرادها بفتح أبواب العمل الكريم لمن يستطيعه، وتمكين كل قادر من أن يعمل بمقدار طاقته، وتهيئة الفرص المتساوية للجميع.

وبذلك يمنع الإسلام الدوافع المعقولة للسرقة، فإن وقعت بعد ذلك فإنه يتحقق من ثبوتها وانتفاء موانعها وعدم وجود شبهة تسقطها،كأن يرتكبها بدافع الحاجة والاضطرار.

وهو يعترف بقوة الدافع الجنسي وعنف إلحاحه على البشر، ولكنه يعمل على إشباع هذا الدافع بالطرق المشروعة: طريق الزواج، فيدعو إلى الزواج المبكر ويعين العاجز عن تكاليفه المادية بوسائل كثيرة من الزكاة والصدقات والنفقة وبيت المال.

كما أنه يحرص على تنظيف المجتمع من كل وسائل الإغراء والإثارة التي تؤجج الغريزة وتحك كوامن الشهوة ،كما أنه يأمر بغض البصر وحفظ الفرج والاستعفاف، ومجاهدة النفس والتسامي بها.

ويحرص كذلك على شغل أوقات الفراغ واستنفاد الطاقة الحيوية الفائضة بالتقرب إلى الله والمسارعة إلى الخير ، وفعل كل ما من شأنه أن يحقق لصاحبه النفع في الدنيا والآخرة ، وبذلك كله يمنع الدوافع التي تسوغ الجريمة.

ثم إذا وقعت فإنه يحتاط احتياطاً شديداً في إثباتها، فلا يقيمها إلا على من أقر بها إقراراً صريحاً أربع مرات،وطلب تطهيره بالحد ، ولم يتراجع عن إقراره حتى تنفيذ الحد عليه ، أو يكون قد تبجح بارتكابها حتى ليراه أربعة شهود وهو على هذه الحال.

وهكذا شأن الإسلام في بقية العقوبات يعمل على وقاية المجتمع أولاً من دوافع الجريمة ، ثم يدرأ الحدود بالشبهات زيادة في الاحتياط.

فليست العقوبة هي الوسيلة الأولى أو الوحيدة للإصلاح ، والتقويم ولكن حين يأتي دورها في التطبيق فإنها تمثل مواجهة حاسمة للظاهرة الإجرامية.

فهل يبقى بعد ذلك مجال للطعن في عدالة هذه العقوبات ومناسبتها؟!! .

خامساً: أن الغاية الكبرى من هذه العقوبات هو التخويف والردع الذي يمنع وقوعها ابتداء ، ولا يحوج إلى اللجوء إليها إلا في أضيق الحدود .

فإن هؤلاء الذين يشنعون بهذه العقوبات يتصورون خطأً أنها كالعقوبات الوضعية ستطبق كل يوم وعلى أعداد غفيرة من الناس،فيتصورون في المجتمع الإسلامي مجزرة هائلة : هذا يجلد،وهذا يقطع،وهذا يرجم،ولكن الواقع أن هذه العقوبات الرادعة لا تكاد تنفذ إلا في نطاق محدود، وعلى أعداد يسيرة غارقة في الفساد،ومتأصلة في الشر والإفساد ، وفي إيذاء الأمة وزعزعة أمنها واستقرارها .

وللدكتور محمد سعيد البوطي كلام قيم في هذا المعنى أنقله مع طوله حيث يقول : « إن ادعاء القسوة والشدة في حدود الشريعة الإسلامية مظهر من مظاهر السطحية في فهمها ، بل الجهل العجيب بطبيعتها وأنظمتها وقيودها .

وإن كل دارس للشريعة الإسلامية يدرك أن ما قد يبدو في حدودها من القسوة لا يعدو أن يكون قسوة تلويح وتهديد، فهو أسلوب تربوي وقائي أكثر من أن يكون عملاً انتقامياً أو علاجاً بعد الوقوع ، وهي بهذا تنطلق من أدق الأسس التربوية السليمة للمجتمع .

وتبرز هذه الحقيقة إذا لاحظنا الأمور التالية:

أولاً: لقد أعلنت الشريعة الإسلامية أن عقوبة الزاني المحصن هي الرجم، وهو إعلان مخيف وتلويح بسلاح رهيب ـ ولا شك ـ ولكنها شرطت لوقوع هذه العقوبة شرطين : الاعتراف القاطع الصريح ،أو شهادة أربعة شهود برؤية الفعل على حقيقته .

فأما الإقرار فشيء نادر لا يقام عليه أي اعتبار،وعندما يقع هذا الشيء النادر فإن على القاضي أن يبادر فيقطع سبيل الإقرار على الزاني قبل أن يتفوه بالاعتراف القاطع الصريح وأن ينصحه بالتوبة والستر، وكلنا يذكر هدي رسول الله ﷺ في ذلك .

وأما الشهادة: فإن علينا أن نلاحظ أن ثلاثة أرباع الشهادة التامة فبها تنقلب ردعاً للشاهد وزجراً له عن التفوه بالشهادة كي يظل المتهم في حماية من الستر ونجوة من العقاب ، وحسبك أن تعلم أن عدد الشهود ما لم يتكاملوا أربعة يعدون آثمين متلبسين بجريمة القذف ، وتغدو شهاداتهم سبباً لإنزال العقوبة عليهم بدلاً من أن تكون موجبة لأخذ المتهم بجريمة الزنا.

فإذا ما تكامل الشهود أربعة فإن العقوبة تتحول عندئذ إلى المشهود عليه حيث يستحق عقوبة الزنا... فإنه لم يقترف جريمته هذه بحيث رآه متلبساً بها أربعة من الرجال الثقات العدول إلا وهو مستعلن بعمله في الناس مستهين بكرامة الأمة وسمعة المجتمع ،وتصرفٌ من هذا القبيل من شأنه أن ينشر وباء الفاحشة فيه كما تنتشر النار في الهشيم.

لا جرم أن فاحشة ترتكب بهذا الشكل تستدعي عقوبة صارمة تحقق الغاية المرجوة منها وهي العبرة والردع.

ثانياً: لقد أعلنت الشريعة الإسلامية أن الحدود تدرأ بالشبهات ، هي قاعدة شرعية كبرى أجمع على الأخذ بها جماهير الأئمة والفقهاء.

ومعنى القاعدة: أنَّ أي احتمال لعدم تكامل شروط إقامة الحد يطوف بالمتهم أو بالظرف الذي تمت فيه الجريمة يسقط الحد ويلغي ثبوته. وعلى الحاكم أن يستعيض عنه بما يراه من أنواع العقوبات التعزيرية الأخرى.

وإننا لنتأمل فنجد أن هذه الاحتمالات كثيرة متنوعة لا تكاد تتناهى،وننظر فنجد لها التطبيقات الكثيرة والمختلفة في عهد الصحابة والتابعين،كما نجد لها التطبيقات المتنوعة في تخريجات الفقهاء وفتاويهم.

فإذا ما ألغي الحد لشبهة، فإن الجاني لا يؤخذ عندئذ إلا بمسؤوليتين اثنتين:

أولاهما: التسوية الحقوقية إذا كانت الجناية مما يستلزم ذلك ، كالسرقة وقطع

الطريق ، حيث يجب أن يغرم السارق ما قد سرقه.. وهو خطاب وضعي يواجه به حتى من لم يكن أهلاً للتكليف.

الثانية: عقوبة التعزير، ويتخير الحاكم نوعها وكيفيتها وكميتها حسب ما تقتضيه المصلحة ، ويحقق الغاية من شرعية العقوبات.

فتلك هي قصة القسوة التي ينعت بها بعض الناس حدود الشريعة الإسلامية ، وإنه لنعت ظالم باطل يندفع إليه من لا يريد لهذه الأمة أن ترقى إلى شيء من الالتزام بمنهج الفضيلة والخلق الإنساني القويم ،ويشفق على وباء الإباحية الذي تسفيه علينا رياح الغرب والشرق أن ينقطع سيله أو تسكن ريحه.

وإنه لشيء مثير للعجب حقاً أن يضخم أناس من مظهر هذه القسوة الخيالية التي عرفنا حقيقتها في غيبوبة من التأمل العقلي، ثم لا يلتفتوا بأي نظرة إلى النتائج الإنسانية الحميدة التي تنبسط في ساحة المجتمع كله لدى اتخاذ قرار جاد بتطبيق هذه الحدود.

وأعجب من هذا أن يعبروا عن مشاعر الرحمة في نفوسهم بصدد ما يتخيلوه من قسوة الحدود ،ثم لا يستشعروا أي رحمة بالمجتمعات التي تشيع فيها القرصنة، وينتشر فيها الإجرام ، وتزهق فيها الأرواح رخيصة طمعاً في تمزيق عرض أو الوصول إلى مال! ، ولكم سمعنا وقرأنا قصص أسرٍ طاف بها الموت في جوف الليالي خنقاً أو تذبيحاً ابتغاء اقتناص ثروة من المال!!.

كل هذه الشراسة المتوحشة لا تحرك قلوب أولئك الذين يمثلون الرحمة والرحماء، حتى إذا ما أقبلت الشريعة الإسلامية تلوح بعصا التأديب التي لا بديل عنها لتقي المجتمع من هذه الفوضى والوحشية المرعبة، وتغرس في مكانهما الأمن والنظام والرحمة ، استشعروا القسوة فجأة وتذكروا الرحمة على حين غرة » .

الشبهة الثالثة:

أن العقوبات الشرعية تهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه:

فهي لا تتفق مع النظرية الحديثة في تحليل نفسية المجرم ، وأنه مريض النفس منحرف المزاج ، متأثر بما حوله ، بل هو ضحية من ضحايا المجتمع والذي يعد مشتركاً معه لسبب أو لآخر فيما أقدم عليه فكان من العدالة أن يتقاسم معه المسؤولية وأن يعمل على علاجه لا عقابه.

دحض الشبهة:

وهذه شبهة أيضاً داحضة من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن الظروف المحيطة بالفرد ذات أثر بعيد في تكوينه ، والعقد النفسية والأمراض العصبية تدفع أحياناً إلى الجريمة ، ولكن الإنسان مع ذلك ليس كائناً سلبياً بحتاً بإزاء هذه الظروف.

إن عيب المحللين النفسين أنهم بطبيعة عملهم ينظرون إلى الطاقة المحركة في الإنسان وإلى الغرائز الكامنة في ذاته،والتي تدفعه إلى إشباعها والاستجابة لها، ولكنهم لا ينظرون إلى الطاقة الضابطة له وإلى قدراته العقلية التي كان من المفترض أن تعقله عن الإقدام على ارتكاب الجريمة والاستجابة المطلقة لهذه الغرائز الدافعة.

إنهم – كما قال محمد قطب – ينظرون إلى الطاقة المحركة إلى (الدينامو) ولا ينظرون إلى الطاقة الضابطة إلى (الفرامل) مع أنها جزء أصيل من كيان النفس البشرية غير مفروض عليها من الخارج، إن الطاقة التي تجعل الطفل يضبط إفرازاته فلا يتبول في فراشه بعد سنّ معينة حتى لو لم يدر به أحد لهي ذاتها أو شبيهة بها الطاقة التي تضبط انفعالاته وتصرفاته ،فلا ينساق دائماً وراء الشهوات الجامحة أو وراء النزوة الطارئة.

ولأجل هذا أسقط الإسلام الحدود والقصاص عن الصبيان والمجانين، فلا تقام إلا على من كان بالغاً عاقلاً.

فما دام المجرم بالغاً عاقلاً مختاراً ، فإن أحواله النفسية وبيئته وثقافته لا تصلح

مسوغاً لارتكاب الجرائم والاعتداء على الآخرين.

كما أن هذه الأمور عائمة لا تقوم على أساس متين ولا يضبطها ضابط معين ولا حدود تنتهي إليها ، مما يؤدي إلى إفلات المجرمين من العقاب الرادع ،ومن ثم كثرة الجرائم وانتشار الفوضى ، وزعزعة الأمن والاستقرار.

قال الشيخ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ : « إن بعض النظريات الحديثة ترفِّه عن المجرم حتى يظن أنَّه موضع إكرام بما جنى ، وتدَّعي أن القصد من العقاب التربية والتأديب فقط، وأنه لا يجوز أن يقصد به إلى الانتقام ،وتزعم أن الواجب درس نفسية (الجاني) فتلتمس له المعاذير من ظروفه الخاصة وظروف الجريمة، ومن نشأته وتربيته ، ومن صحته ومرضه ، وما يعتمل في جوانحه من عواطف وشهوات ، وما يحيط به من مغريات أو موبقات إلى آخر ما هناك. . . ونسي قائلوها أن يدرِّسوا (المجني عليه) هذا الدرس الطريف ليروا أي ذنب اجترح حتى يكون مهدداً في سربه، معتدى عليه في مأمنه من حيث لا يشعر!! .

ولم يفكروا أي الفريقين أحق بالرعاية : أمن جعلته ظروفه ونشأته ونفسيته وما إلى ذلك هادئاً مطمئناً لا ينزع إلى الشر فكان مجنياً عليه أم من كان على الضد من ذلك فكان جانياً؟! .

إن الله خلق الخلق وهو أعلم بهم ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما يصلح الفرد وما يصلح الأمة ، وقد شرع الحدود في القرآن زجراً ونكالاً بكلام عربي واضح لا يحتمل التأويل » .

الوجه الثاني: أن الشريعة الإسلامية إذ ترسم أحكامها لمعاقبة الجانحين والمجرمين لا تنطلق في ذلك من حصر المسؤولية فيهم وتحميلهم وحدهم عاقبة ما أقدموا عليه ، بل هي تجعل المجتمع مسؤولاً في بعض الحالات عن هذه الجرائم التي ارتكبوها، وقاعدة درء الحدود بالشبهات أبلغ تجسيد لهذه الحقيقة وأوضح برهان عليها.

الوجه الثالث: أن رغبة المعترضين في جعل العقاب كالعلاج للمريض متحققة في

العقوبات الشرعية التي هي مبنية على أساس الرحمة بالمجرم والمجتمع.

ولكن هؤلاء فاتهم أن العلاج لا يشترط فيه أن يكون لذيذاً تشتهيه النفس، فقد يكون كريهاً مراً وقد يتضمن إسالة الدماء وقطع الأعضاء وهو في جميع هذه الصور يبقى علاجاً موصوفاً بالرحمة في حق المريض خالياً من الانتقام منه.

كما فات هؤلاء أن العقوبات شرعت لوقاية المجتمع وتطهيره من جراثيم الأمراض والأعضاء الفاسدة التي سرت فيها الأمراض المزمنة والمعدية، وغفلوا أو نسوا أن التغاضي عن هذه الأعضاء الفاسدة والتسامح معها رغبة في صلاحها وصحتها سينتج عنه تفاقم المرض واستفحاله وانتشاره في سائر الجسد، فلم يصح العضو ولم يسلم الجسم.

وهذا هو الشأن في العقوبات، فقد شُرعت لتكون علاجاً لمن لا يجدي معهم علاج الوعظ والتذكير والإنذار.

ثانياً: الشبهات الخاصة:

الشبهة الأولى: حول حد الزنا:

يقولون: إن الزنا برضا الطرفين حرية شخصية، وإقامة الحد في هذه الحالة مصادرة لهذه الحرية التي يجب أن تصان، كما أن حد الزنا فيه إهدار لآدمية المجرم وإيذاء له، لم يعد مقبولاً في العصر الحديث.

دحض هذه الشبهة:

أما الاحتجاج بالحرية الشخصية إذا وقع الزنا برضا الطرفين فإنه قول متهافت مردود، لأن الإنسان ليس حراً في فعل ما يضره أو يضر غيره، فله مطلق الحرية إلا فيما يعود عليه أو على غيره بالضرر.

وقد ثبت بالشرع والعقل والحس أن الزنا شر سبيل، وأن له أضراراً كثيرة على الزانيين وعلى أسرتيهما وعلى مجتمعهما، وعليه فإن وقوع الزنا بالتراضي لا يبيح الزنا، ولا يزيل أضراره وآثاره السيئة، فوجب معاقبة فاعله والأخذ على يده.

وأما القول بقسوة هذه العقوبة وإهدارها لآدمية الزاني بجلده أو رجمه، فالجواب عنه: أن الزاني هو الذي أهان نفسه وعرضها للإذلال والإهدار، فإنه لو لم يفعل هذه الفاحشة المنكرة لبقي محترماً موفور الكرامة، حرمته مصونة ونفسه معصومة.

وأما اتهام هذه العقوبة بالقسوة والشدة فقد تقدم الجواب عنه قريباً.

الشبهة الثانية: حول حد الردة:

قالوا: إن هذه العقوبة القاسية مصادمة لمبدأ عدم الإكراه في الدين والذي قرره الله في أكثر من آية في كتابه، كقوله تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)** ﴾ [يونس: ٩٩]، وهي كذلك مصادمة للحرية الشخصية في اختيار الدين الذي يراه الإنسان، كما أنها سبب لانتشار النفاق في صفوف المسلمين.

دحض هذه الشبهة:

أما قولهم: إن حد الردة مصادم لما قرره القرآن من مبدأ عدم الإكراه في الدين:

فإنه غير صحيح، لأن الإكراه المنفي في الآيتين إنما هو الإكراه على الدخول في الإسلام ابتداءً، فالإسلام يريد ممن يدخل فيه أن يدخله عن قناعة ورغبة واختيار وإدراك لحقائقه وميزاته، وأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وجعله مهيمناً على الأديان كلها ولن يقبل من أحدٍ ديناً سواه.

فإذا دخل فيه كذلك فليس له من بعد أن ينكص عنه ويشتري الضلالة بالهدى، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، إذ ماذا بعد الحق إلا الظلال.

وإن القلب الذي تذوق حلاوة الإيمان وعاش في ظلاله الوارفة لا يمكن أن يرتد عنه وينكص على عقبيه إلا إذا غلب عليه هواه وفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً، ومن كان هذا حاله فجدير به أن يقتل ويستأصل.

وأما قولهم: أنها مصادمة للحرية الشخصية في التدين بما يراه الإنسان فالجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول: أن الحرية الشخصية مقيدة كما سبق بعدم الإضرار بالنفس أو بالغير، والردة تُلحق بصاحبها وبالمجتمع المسلم أشد الضرر وأبلغه.

فبالردة يحبط عمل المرتد ويخسر الدنيا والآخرة ، وبها يحصل العدوان على الدين والطعن في عقيدة الأمة ونظامها الذي تقوم عليه جميع شؤونها.

الوجه الثاني: أن عقوبة الردة لا تتنافى مع الحرية الشخصية في اختيار العقيدة التي يرتضيها ،لأن حرية العقيدة توجب أن يكون الإنسان مؤمناً بما يقول ويفعل، وبأن يكون له منطق سليم في انتقاله من عقيدة إلى أخرى، وإعلانه ذلك أمام الناس.

ومن أين يكون المنطق والعقل السليم لمن يخرج من ديانة التوحيد إلى الوثنية؟ ومن ذا الذي يخرج من دين كل ما فيه موافق للفطرة والعقل المستقيم إلى دين مناقض للعدل والمصلحة ولا يستطيع العقل تسويغ ما فيه؟.

لا يفعل ذلك أحد وهو ذو حرية فكرية حقيقية، إنما يخرج من هذا الدين إتباعا للهوى أو جنوحاً إلى المادة يطلبها، أو كيداً للإسلام وطعناً فيه، فإذا حارب الإسلام اتخاذ الأديان هزواً ولعباً وتظليلاً وعبثاً فإنما يفعل ذلك لحماية الفكر والرأي من هؤلاء العابثين والمخربين. وليست الحرية في أي باب من أبوابها انطلاقاً عابثاً لا يعرف حدوداً أو حقوقاً، إنما هي اختبار مبنى على حسن الإدراك وتبين الحقائق.

وأما قولهم: إن عقوبة الردة تؤدي إلى انتشار النفاق في صفوف المسلمين ، لأن المرتد إذا علم أنه سيقتل أخفى على الناس كفره وأظهر ما ليس في قلبه.

والحقيقة غير هذا فإن عقوبة المرتد من أكبر العوامل المانعة من النفاق،ذلك أن من يكثر منه الارتداد هم الدخلاء على الإسلام لهوى أو طمع دنيوي أو رغبة في التجسس على المسلمين وكشف عوراتهم من الداخل، فهم لم يدخلوه عن رغبة واقتناع وإنما دخلوه لتحقيق حاجة في نفوسهم، فهم منافقون منذ دخولهم فيه

عازمون على الارتداد عنه عند قضاء حاجتهم.

فإذا علموا أن الموت ينتظرهم إذا ارتدوا امتنعوا من الدخول في الإسلام ابتداءً، وبهذا ندرك أن في عقوبة الردة قطعاً لرقاب المنافقين وليس فيها زيادة لعددهم.

الشبهة الثالثة: حول السرقة والحرابة:

قالوا: إن العقوبة بتقطيع الأطراف فيها إضرار بالمجتمع،وذلك بإشاعة البطالة فيه وتعطيل بعض الطاقات البشرية التي كانت تسهم في العمل والإنتاج، وتكثر المشوهين والمقطعين الذي أصبحوا عالة على المجتمع بسبب عجزهم عن الكسب والإنفاق، فيجب أن يستعاض عن العقوبة بالحبس مع التربية والتوجيه.

دحض هذه الشبهة:

هكذا يزعمون!! وهو زعم ينقصه الإنصاف والنظر الصحيح، بل هو مغالطة صريحة وقلب للحقائق.

ذلك أن ترك السرَّاق والمحاربين دون عقوبة رادعة يجعلهم يعيشون في الأرض فساداً، ويهددون أمن المجتمع،ويهتكون الحرمات،ويقطعون على الناس سبل العيش والكسب، ويعطلون مصالحهم ويخيفونهم في مأمنهم، ويفجعون النساء والأطفال في مساكنهم،ويسرقون جهود الآخرين،ويستبيحون أموالهم بغير حق.

كما أن ذلك يدعوهم إلى البطالة والقعود عن العمل والكسب المشروع، لأنهم يستطيعون تحصيل ما يريدون عن طريق السرقة وقطع الطريق.

كما أن العاملين المجتهدين في تحصيل الأموال بالسبل المشروعة سينقبضون عن العمل وينتظمون في سلك الكسالى العاطلين ما دامت أموالهم مهددة بالاستلاب والضياع،فتتعطل الأعمال وتفسد الأحوال،ويقعد الناس عن التكسب وجمع المال.

ومعنى ذلك أن السارق لا يسرق المال فقط وإنما يسرق معه أمن المجتمع واستقراره وطمأنينته، فكان في التساهل مع هؤلاء السراق خراب العمران وشل قدرات الإنسان، واستنفاد طاقته ووقته وجهده في حفظ ماله وحمايته.

كما أن السرقة تتبعها في الغالب أقسى الجرائم المباشرة من القتل والجرح،وانتهاك الأعراض ،وهتك حرمات البيوت ،وغيرها وإن السُرَّاق يتسلحون دائماً خشية الظفر بهم فيدافعون عن أنفسهم أو لقتل وجرح من يقف في طريقهم ويحول بينهم وبين تحقيق مرادهم أو يخشون منه أن يكشفهم ويعلن عنهم ،ولا يكاد أن يمر يوم في المدن الكبرى من غير ارتكاب جريمة قتل لأجل السرقة.

وقد سبق الكلام مفصلاً عن هذه الأضرار وغيرها حين الكلام على الحكمة من مشروعية حد السرقة وحد الحرابة.

فقطع طرف واحد كما أنه تنكيل بالمجرم وزجر له ، فإنه يؤدي إلى زجر الجناة من أمثاله وحفظ مئات الأرواح وآلاف الأطراف سليمة طاهرة عاملة منتجة.

وأما دعوتهم إلى الاستعاضة عن القطع بالحبس كما هو الحال في القوانين الوضعية، فقد شهد واقع الدول التي تطبق عقوبة الحبس على إخفاق هذه العقوبة في ردع المجرمين واستصلاحهم.

وإن الطواف على السجون وعد نزلائها يرينا أنهم في ازدياد دائم وتفاقم مستمر، فما ردعت السجون عن الجريمة إلا قليلاً ، بل أصبح السجن مدرسة يتعلم فيها المجرمون كثيراً من فنون السرقة وأساليبها الخفية، ثم يخرجون بعد ذلك أكثر خطورة وخبرة وإقداماً ، فصار السجن محضناً للإفساد، وتلقين أساليب الإجرام ،وكسب متعاونين جدد من حدثاء العهد بالجريمة، بل لقد جعلوا من السجن ساحة ممهدة لرسم الخطط وتقاسم المهمات يشاركهم إخوان لهم في الإجرام خارج القضبان.

أضف إلى ذلك ما يخلق لديهم السجن من شعور بالعداء ورغبة في الانتقام للنفس وإثبات الذات.

كما أن السجن يؤدي إلى تحطيم الطاقات القادرة على العمل وقتل الشعور بالمسؤولية في نفس المجرم تجاه ذاته وأسرته،ويحبب إليه القعود والكسل،حيث ينعم بتوفير وسائل الراحة والترفيه له،وتقديم الغذاء والكساء والدواء له مجاناً طيلة بقائه في السجن ، ولربما رغب في البقاء في السجن طلباً لذلك الذي لا يحصله خارج

السجن ،وقد يعاود الجريمة بعد خروجه منه من أجل العودة إليه والتنعم بما فيه وضمان لقمة العيش بين جدرانه.

هذا فضلاً عما تخسره الدولة في الإنفاق على هؤلاء المساجين وحراستهم والقيام عليهم ،وما تخسره من تضييع جهودهم وهدر طاقاتهم وحبسهم عن العمل والكسب ،وفضلاً عما ينتج من سجنهم من عزلهم عن بيوتهم وزوجاتهم وأولادهم وتعريضهم للحاجة والضياع.

أضف إلى ذلك كله أن حبس المساجين عن مزاولة نشاطهم وحرمانهم من الإتصال بزوجاتهم وجمعهم في مكان واحد قد لا تتوفر فيه المواصفات الصحية الكاملة في أغلب الأحيان سبب مباشرة لانخفاض المستوى الصحي والأخلاقي بينهم ،وانتشار كثير من الأمراض فيهم ، وانتقال العدوى من بعضهم لبعض.

هذه بعض عيوب العقوبة بالحبس والتي ينادون بتطبيقها بدلاً عن العقوبة الشرعية ، والفرق الأساسي بين هذه العقوبة الوضعية وبين العقوبة الشرعية وسبب نجاح هذه دون تلك: هو أن العقوبة الشرعية قد وضعت على أساس من طبيعة الإنسان وعلم بما يزجره ويردعه.

فإن السارق حينما يفكر في السرقة إنما يريد منها تكثير ماله وزيادة كسبه بكسب غيره، فهو يستصغر ما يكسبه عن طريق الحلال ويريد أن ينميه من طريق الحرام ، وسرقة جهود الآخرين وثمرة أتعابهم.

وهو يفعل ذلك ليزيد من قدرته على الإنفاق أو الظهور، أو ليرتاح من عناء الكد والعمل ، فهذا هو الدافع الذي يدفعه إلى السرقة.

وقد حاربت الشريعة هذا الدافع في نفس الإنسان بتقرير عقوبة القطع،لأن قطع اليد أو الرجل يؤدي إلى نقص الكسب، إذ اليد والرجل كلاهما أداة عمل أياً كان، ونقص الكسب يؤدي إلى نقص الثراء، وهذا يؤدي إلى نقص القدرة على الإنفاق وعلى الظهور،ويدعو إلى شدة الكدح ، وكثرة العمل والتخوف الشديد على

المستقبل، كما أن قطع يده أو رجله فيها فضح له وتشهير به وقطع للثقة فيه بخلاف ما كان يقصده بسرقته من الظهور والتباهي.

فالشريعة الإسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التي تدعو لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف عن ارتكابها، فإذا تغلبت العوامل النفسية الداعية وارتكب الإنسان الجريمة مرة كان في العقوبة والمرارة التي تصيبه منها ما يغلب العوامل النفسية الصارفة ، فلا يعود إلى الجريمة مرة ثانية.

وأما عقوبة الحبس فإنها لا تخلق في نفس السارق العوامل النفسية التي تصرفه عن جريمة السرقة،لأن عقوبة الحبس لا تحول بين السارق وبين العمل والكسب إلا مدة الحبس،وما حاجته إلى الكسب في المحبس وهو ملبَّى الطلبات مكفي الحاجات؟ فإذا خرج من محبسه استطاع أن يعمل وأن يكسب،وكان لديه أوسع الفرص لأن يزيد من كسبه وينمي ثروته من طريق الحلال والحرام على السواء،لأنه لم يخسر شيئاً يحد من كسبه ويفقده ثقة الناس به ، ولكنه إذا قطعت يده نقصت قدرته على الكسب نقصاً كبيراً ،ولن يستطيع أن يخدع الناس ويحملهم على الثقة به والتعاون معه وهو يحمل أثر الجريمة في جسمه،وتعلن يده المقطوعة عن سوابقه،فالخاتمة التي لا يخطئها الحساب أن جانب الخسارة مقطوع به إذا كانت العقوبة القطع،وجانب الربح مرجح إذا كانت العقوبة الحبس،وفي طبيعة الناس كلهم لا السارق وحده أن لا يتأخروا عن عمل يرجح فيه جانب المنفعة ، وأن لا يُقدموا على عمل تتحقق فيه الخسارة.

كما أن عقوبة السجن فيها إخفاء للجريمة وستر على المجرم، فتنسي جريمته ويخرج من السجن وكأنه لم يقترف ذنباً ولم يرتكب جرماً ، أمّا تطبيق الحد الشرعي فإنه بمثابة إعلان بالخط العريض يحمله المجرم حيثما كان معلناً دناءته وخسته وقبح فعله وسوء عاقبته ،فيرتدع بذلك كل من رآه أو سمع به، فتنقطع جذور البلاء ،وينقمع المجرمون وأهل المطامع والأهواء.

ذلك هو الأساس التي قامت عليه عقوبة السرقة في الشريعة الإسلامية، وهو السر

في نجاح هذه العقوبة في الحد من السرقة أو القضاء عليها في البلاد التي طبقت فيها قديماً وحديثاً.

لقد كانت الجزيرة العربية قبل تحكيم الشريعة فيها من أسوأ بلاد العالم أمناً، فكان المسافر إليها وكذلك المقيم فيها لا يأمن على نفسه وماله وعياله ساعة من ليل أو نهار، بالرغم مما له من قوة وما له من عدة ، وكان كثير من السكان لصوصاً وقطاع طرق ديدنهم السلب والنهب والغارات والثارات.

فلما طبقت الحدود أصبحت الجزيرة العربية خير بلاد العالم كله أمناً واستقراراً ، يأمن فيها المسافر والمقيم ، حتى إنه لتترك الأموال على الطرقات دون حراسة فلا تجد من يسرقها أو يزيلها من مكانها على الطريق،وتترك المتاجر مفتوحة أوقات الصلاة مدة غير قليلة والمعروضات في متناول اليد فلا يمسها أحدٌ ،ويأخذ أصحاب الأموال ودائعهم من البنوك مهما كثرت غير متحرجين أو خائفين ، فيذهبون بها إلى حيث أرادوا وهم آمنون مطمئنون.

فقد أقامت هذه العقوبة الشرعية أعراب البادية الذين هم أجرأ من العقبان أقامتهم على سواء السبيل ، فلا تمتد يد أحد منهم إلى ما ليس له، ولو كان في معرض ناظريه ومتناول يديه.

وننظر في المجتمعات الغربية وغيرها من الدول التي تطبق القوانين الجاهلية ممن يرمون حد السرقة بهذه التهمة ، وكيف يعيش الناس هناك في فزع دائم وخوف مستمر من سطو اللصوص عليهم واعتدائهم على أموالهم وأنفسهم في الطرقات والمنازل والمصارف والمتاجر وغيرها جهاراً نهاراً ، يأخذون ما تصل إليه أيديهم دون خوف من رادع يردعهم أو عقوبة تنزل بهم ، اللهم إلا عقوبة السجن التي يجدون فيها كل ما يشتهون.

ولو أنه أقيم عليهم الحد الشرعي للسرقة لتفيأ الناس ظلال الأمن والسكينة، واطمأنوا على أموالهم ومصالحهم،ولما رأوا أكثر من يد أو بضعة أيد تقطع خلال عام

أو أكثر ، وكونها تشوه أو تعطل هذه القلّة القليلة من المجرمين،فإن هذا هو فعلهم بأنفسهم وهو جزاء ما اقترفته أيديهم من ظلم وإجرام . وهو أمر لا بد منه لحماية أمن الجماعة وتحقيق الطمأنينة للكافة .

فهم حينما يقطعون يداً واحدة خائنة يحفظون نفوساً كثيرة،ويصونون أيدي أمينة عاملة لا تعد ولا تحصى .

ويا ليت الناس يوازنون بين عدد المشوهين والمجروحين والمقتولين الذين جنت عليها جرأة اللصوص والمجرمين وبين من يقطعون لكف عدوانهم وقطع شرهم عن أنفسهم ومجتمعاتهم،حتى يدركوا أن إقامة الحد الشرعي تأمين للمجتمع وتحصين لمصالح الناس،وتوفير للطاقات العاملة والقوى البشرية المنتجة .

وصدق الله ـ عز وجل ـ حيث قال : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

قال الشيخ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ مخاطباً رجال القانون في مصر، وهو يقارن بين أثر العقوبة الوضعية والشرعية لجريمة السرقة:

« وهذه جرائم السرقة ليست بي حاجة أن أفصل لكم ما جنت كثرتها على الأمة وعلى الأمن،وها أنتم أولاء تسمعون حوادثها وفظائعها وتقرؤون من أخبارها كل يوم،وترون السجون قد ملئت بأكابر المجرمين العائدين،وبتلاميذهم المبتدئين الناشئين ثم كلما زادوهم سجناً زادوا طغياناً ، ولو أنهم أقاموا ما أنزل الله إليهم من ربهم وحدوا السارق بما حكم الله به عليه لكنتم تتشوقون إلى أن تسمعوا خبراً واحداً عن سرقة ، ثم لو وقع لكان فاكهة يتندر الناس بها ، ذلك أن عقوبة الله حاسمة لا يحاول اللص معها أن يختبر ذكاءه وفنَّه .

نعم أنا أعرف أن كثيراً منا يرون أن قطع يد السارق لا يناسب مبادئ التشريع الحديث! ، ولكن المسلم الصادق الإيمان لا يستطيع إلا أن يقول : ألا سحقاً لهذا التشريع الحديث! .

أفندع الألوف من المجرمين يروِّعون الآمنين لا يرهبون قوياً ولا يرحمون ضعيفاً في سبيل حماية يد أو يدين تقطعان في كل عام وقد يكون ذلك في بضع أعوام؟! ، وأنتم ترون أنه قد تزهق عشرات من النفوس لاختلاف على مبدأ سياسي أو لمظاهرة قد لا تضر ولا تنفع بحجة المحافظة على الأمن والنظام.

لا تظنوا أنكم ستقطعون من السارقين بقدر ما تسجنون ،فهاكم الأمن في الحجاز وبادية العرب وقد كان مجرموهم قساة لا يحصيهم العد، وعجزت الحكومات السابقة عن تأديبهم بمثل قوانينكم ، فما هو أن جاءت الدولة الحاضرة ، واتبعت شرع الله ، وأقامت حدوده ، حتى استتب الأمن ، ثم لا تكاد تجد سارقاً هناك إلا أن يكون من الغرباء في موسم الحج » .

الشبهة الرابعة : حول عقوبة القصاص:

قالوا: إن القصاص عقوبة قاسية لا تراعي شخصية المجرم وظروفه ودوافعه ،كما أن جعل القصاص حقاً لأولياء القتيل فيه تغليب لجانب الانتقام واعتباره أساس للعقاب، وهذا من الهمجية الأولى ، ولا يتفق مع التحضر والمدنية واعتبار العقاب تهذيباً واستصلاحاً.

دحض هذه الشبهة:

أما أن القصاص عقوبة قاسية فهذا حق، ولكنها هي مقتضى العدل والإنصاف،لأن القصاص يفعل بالجاني مثل فعله بالمجني عليه، فهو جارٍ على سنن المساواة بين الجريمة والعقوبة مساواة دقيق، ولا ظلم في القصاص، بل الظلم أن يترك الجاني من غير قصاص.

وأما إهمال شخصية المجرم فقد ذكرت ـ فيما سبق ـ أن الشريعة تراعي شخصية المجرم بالقدر الذي تستلزمه هذه الرعاية ، فلا تقيم القصاص إلا على من كان عامداً عاقلاً بالغاً.

فإن كانت الجناية خطأً أو شبه عمد فلا قصاص ، وإن كان الجاني صغيراً أو مجنوناً فعمده خطأ ولا قصاص عليه أيضاً.

أما تجاوز هذه الحدود بحجة ملاحظة نفسية المجرم وميوله وتربيته ، فإن ذلك من شأنه أن يوقع في متاهات الأهواء ، ويجعل أحكام القصاص مضطربة قلقة ، ويؤدي إلى إفلات المجرمين من العقاب وانتشار الجريمة وعدم السيطرة عليها.

وأما اعتبار القصاص من حق المجني عليه أو أوليائه لا من حق المجتمع، فإن هذا من حسنات تشريع هذه العقوبة لا من مثالبها ، لأن الجريمة تمس المجني عليه وأهله مباشرة، فهم الذين اكتووا بنارها وتلوعوا بما وقع على قريبهم.

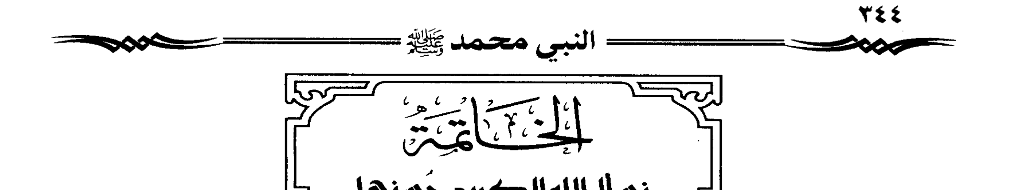
أما تضرر المجتمع فيأتي بصورة غير مباشرة. فكان من العدل والحكمة شفاء غيظ المجني عليه خاصة ، وإطفاء نار الغضب في نفسه بتمكينه من القصاص إن أحب أو الدية أو العفو المطلق.

ولا شك أن العناية بشفاء غيظ المجني عليه وتمكينه من الجاني عليه يقتل في نفسه الرغبة في الثأر والانتقام ، ويمنعه من الإسراف في القتل والاعتداء.

وإذا عفا المجني عليه أو وليّه عن الجاني فللقاضي أن يعاقبه بعقوبة تعزيرية تتناسب مع جرمه وحاله حفظاً للنظام العام وحماية لحق المجتمع. ويتأكد ذلك إذا كان هذا الجاني معروفاً بالشر والفساد » (١) .

---

(١) بحث قيم جداً للدكتور : عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان ـ حفظه الله تعالى ـ وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وقد اكتفيت بإيراد أصل البحث دون ذكر مراجعه الكثيرة لئلا يطول الكتاب جداً.



« إذا تأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ﷺ،وحميد سيرته،وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه،وجملة كماله،وجميع خصاله،وشاهد حاله،وصواب مقاله،لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته،وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به.

فقد روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: « لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل: قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبتُّ وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجه كذّاب » .

وروى الإمام مسلم أن ضماداً لمّا وفد عليه فقال له النبي ﷺ: « **إن الحمد لله نحمده ونستعينه،من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله**. قال له: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فلقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك » [١] .

وبهذا أكون قد فرغت مما كتبت ، والله يعلم ما أردت وما بجمعه قصدت،فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطّلع على نيته وكسبه فيارب لك الحمد عدد خلقك، وزنة عرشك ، ورضا نفسك ، ومداد كلماتك ، اللهم يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا أرحم الراحمين ، أتوسل إليك بتوحيدي لك واتّباعي ومحبتي لعبدك ورسولك محمد ﷺ أن تجعل هذا العمل وسائر أعمالي خالصاً لوجهك الكريم،وأن تنفعني به في الدنيا والآخرة إنك خير مسئول ومأمول.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (١ / ٢٤٦ – ٢٤٧)

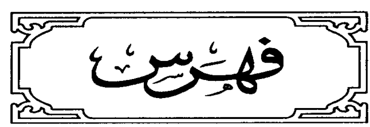
تم الكتاب وربنا المحمود ... وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته ... ما ناح قمري وأورق عود

أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا ، وأن ينفعنا بما كتبناه ، وينفع به من قرأه ، إنه سميع مُجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تأليف أبي عبد الرحمن
نعمان بن عبد الكريم الوتر
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





فهرس

رقم الصفحة



فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠